



مركب النقص والعقد النفسية

Looloo

www.dvd4arab.com

التأليف
المؤسسة العربية الحديثة
للتعليم والثقافة والتدريب

ماي ماري



مَرَبُّ النِّقْصِ

وَالْعَقْدُ النِّفْسِيَّةِ

أَسْبَابُهَا وَعِلَالَتُهَا

وَأَمْتَلُهَا عِنْدَ الْعُظَمَاءِ

لِلدُّعَاةِ النَّفْسَانِ الْكَبِيرِ
و.ج. مَكْبُرِيد

Loloo
www.drdkhalid.com

هدف الكتاب

شاعت في العصر الأخير مصطلحات : « الشهور بالنقص » و « العقد النفسية » وغيرها .. وهي مصطلحات لم تعهد في اللغة قبل مطلع هذا القرن ! .. فعلم النفس الذي يبحثها — وهو الصق العلوم وأهمها بالنسبة للإنسان — علم ولید ... لكنه برغم ذلك نما وترعرع في سنوات معدودات حتى صار من أضخم العلوم وأولها بالاهتمام ! ..

ولا غرو ، فهو العلم الذي يعالج مشكلات الحياة الحديثة ، والحياة الحديثة محيط واسع زاخر بالمشكلات .

والأسناذ الكبير « ماكبرايد » من أشهر من بسطوا مشكلات علم النفس للجماهير في بلاد العالم المتمددين ، وقد ترجمت كتبه لجميع اللغات ...

وكتابه هذا على الخصوص يعالج أهم موضوعات علم النفس ومشكلات العصر : موضوع « مركب النقص » .. وهو الداء الذي لا يكاد يخلو إنسان من عرض من أعراضه ، وإن تفاوت الناس طبعاً في نصيبهم منه ..

وقد بسط العالم الكبير هذا المرض النفسي وبين مدى اتصاله الكبير بأحوال الحياة ومتاعبها المختلفة ، كما بين وسائل العلاج له ، ومسائل الوقاية منه .. ولا سيما وقاية الصغار من هذه العوارض البعيدة التأثير في الحياة !..

فالكتاب الذى اقدمه لك اليوم هو بمثابة « امرأة نفسية » لكل شاب وشابة ، ومرشد ممتاز لكل اب وام في القرية ، وخير معين على فهم الإنسان لنفسه ، ولغيره !..

السالب والموجب ..!

الكهرباء سالب وموجب ، والناس في هذه الدنيا كالكهرباء : فريق منهم « سالب » يفعل بالحياة ويتأثر بها ، دون أن يحاول التأثير فيها .. والفريق الآخر « موجب » ، يحاول التأثير في الحياة بقدر ما تؤثر فيه الحياة ، فله « شخصيته » وله « ذاتيته » .

وقد درج الناس في الزمن الأخير على إطلاق كلمة « مركب النقص » أو « عقدة النقص » ، على من يغلب عليهم الطابع السلبي دون الإيجابى ، مستغلين بذلك في عرفهم على أن هذا الموقف السلبي نتيجة « نقص » في تكوين الشخص .. بالذى يقادى إلى عرف عامة الناس أن مركب النقص عبارة

عن شيء ناقص كان ينبغي أن يوجد — كما أن العشى مثلا هو نقص حاسة النظر ! — فهو نقص حاسة كان من شأنها أن توجد .. أو هو عبارة عن كمية أهمها علامة ناقص (ـ) بدلا من علامة زائد (+) المعروفة في الحساب .. فمن أصابه مركب النقص يعتبره العامة في الغالب رجلا رصيده من قوة الشخصية ومقوماتها مسبوق بعلامة ناقص ، فحسابه في « بنك الحياة » معين .. لا دائن !

والواقع انه قلما تطابق الفكرة العامة عن شيء حقيقة ذلك الشيء ، لكن فكرة عامة الناس في موضوع مركب النقص بالذات من الأفكار القليلة الصحيحة رغم شيوعها — إذ الأغلب أن الخطأ أقرب إلى الشيوع بين الناس ! — وإذن فمعنى مركب النقص علميا هو ما أدركه الناس من هذه الكلمة ببدايتهم الفطرية فكل عرض من الأعراض الدالة على تزعزع الثقة بالنفس وثبوت الهمة معناه أن الشخص مصاب « بعقدة النقص » أو « مركب الدونية » — ومعنى « الدونية » هنا أن الشخص يشعر أنه « دون » المستوى الواجب لمجابة موقف معين ، أو جميع مواقف الحياة بصفة عامة ...

والد هذه النظرية

ومبتدع اصطلاح « عقدة النقص » أو « مركب الدونية » هو والد نظرية التحليل النفسى « سيجموند فرويد » . وقد وضع هذا الاصطلاح أصلا للدلالة على كل انفعال سلبى ناجم عن خوف القصور الجنسى أو عن إحساس سلبى بغيره .

القصور ، ولا سيما حين يتجسم ذلك التصور في عيب ظاهر في أعضاء التناسل .

ومرجع هذا الحصر لعقدة النقص في مجال الوظيفة التناسلية ، أن سيجموند فرويد يرد كل مظاهر الحياة الوجدانية أو التفسانية إلى التناسل ، بالفريزة الجنسية في اعتقاده هي « أساس الحياة جميعا » ، فكل ما يعوق تيار الشهوة عن التحقق والاكتفاء التام يسبب تكديرا لتيار حياة الشخص ، والتواءات في وعيه الباطن ، وعبويا ومسخا في مسلكه . ذلك أن كبت الرغبات الجنسية - وقد يحصل هذا الكبت دون وعى من الإنسان ، فيقف تيار الرغبة قبل أن يخرج من اللأوى - يسبب « خرابيج » في الوجدان أن العقل الباطن ، ينجم عنها هذا الاضطراب في التصرفات ، ويسمى هذا « الخراج » النفساني « عقدة النقص » !

تعديل مقول

وقد ظلت هذه النظرية الفرويدية قائمة وحدها بعبء التحليل النفسي والتعليل لكل اضطراب سيكولوجي ، إلى أن قام « آدلر » - تلميذ فرويد ثم زميله وصنوه في إقامة صرح التحليل النفساني - بتعديل هذه النظرية على ضوء التجارب الكثيرة التي مارسها مع أستاذه أولا ، ثم منفردا بالعمل بعد ذلك .

ولول ما نيه إليه آدلر ، أن « عقدة النقص » عامل فعال جدا في ظروف نشأة الإنسان ونموه ... وأن مرد هذه العقدة إلى أسباب كثيرة جدا ، ومتباينة جدا ، بحيث قد لا تمت في أحيان كثيرة إلى الفريزة الجنسية بصلة ..

فربما كانت « وحة » في صدغ طفل سببا في تكوين « عقدة النقص » عنده ، من جراء المضايقات التي قد يلحقها من زملاء الطفولة والصبا ، فيشرب رجلا عزوفها عن الاختلاط ، قليل الثقة بالناس .. وليس لهذا بالفريزة الجنسية أى اتصال .. ومن هذا المثل يتبين لنا أن « الشعور بالدونية » أو النقص راجع في الواقع إلى مجرد أى تجربة مؤلمة تصد الطفل عن فتح قلبه للآخرين ، وتجعله ينطوى على نفسه .. فأى تجربة تجرح كبرياء الشخص أمام نفسه وتسلفه جانبيا من تقديره لذاته واحترامه لشخصيته ، عرضة لأن يكبر في ظلها هذا « الجرح » ، ولا سيما بتكرار الاهانة أو الصدمة ، حتى يتقبح ويصير « خراجا » نفسيا أو « عاهة نفسية » يحرص الشخص على مداراتها - كما يدارى صاحب العاهة الجسمية ماهته عن العيون - بالانطواء والبعد عن المجتمعات والانصراف عن المساهمة الكاملة في النشاط الاجتماعي .. !

والفرد المصاب بهذا الشذوذ يقال أن لديه « مركب نقص » ... تختلف حدته أو درجة تعقده باختلاف « عمق الإصابة بالجرح النفساني » وباختلاف زمنها ودرجة تقبحها ، فثبت عقد مزمنة ، وأخرى حديثة ، وهكذا ...

فلباب عقدة النقص إذن هو « الخوف » من تجدد الجرح النفساني أو الاهانة إذا ترك الشخص نفسه على سجيبتها ، فيضطر إزاء هذا الخوف إلى مداومة « كبت » رغباته المتعلقة بهذا الموضوع ، ويكون سلوكه فيما يتصل به سلوكا سلبيا ، ولا سيما بعد أن يكبر وبحس أنه فقد الحماية التي كان يتمتع بها زمن الطفولة من والديه .. !

وقد يعجز الشخص عن الايمان على الخمر أو المخدرات أو الميسر ، مضطرا .. كأن تحول ظروف حياته دون ذلك ، أو أن يكون امرأة محببة محاطة بالقيود ، وفي هذه الحالة تكون اعراض عقدة النقص أو « رد الفعل » الناجم عنها هو « القلق الخالي من الغرض » فيتحرك الشخص دائما ولا يستقر ، ولكن حركاته لا هدف لها ولا نفع فيها ، وإنما هي مجرد مظهر لعدم الاستقرار الداخلي ، أو « الحمى النفسائية » التي تقيم الشخص وتعمده ، كما تقيمه وتعمده الحمى الجسمية سواء بسواء .

ولكن هذا السلوك المتمثل في الخمر أو الميسر أو القلق ، سلوك سلبي في مجموعه ، يدل على معاناة الشعور بالنقص أو الهرب من المعترك .. بيد أن هناك نوعا آخر من السلوك الناجم عن عقدة النقص ، مضسدا للسلوك السالف الذكر تماما ، فهو لا يتمثل في الهرب أو الاذعان ، بل يتمثل في عكس ذلك وهو الاقتحام والتبجح وفرض الذات . وإلى هذه الفئة ينسب البلطجية وجميع الشواذ من المجرمين والرقعاء !..

الفرق بين الشعور بالنقص .. ومركب النقص !

والواقع أن كل شخص في الدنيا لابد أن يشعر بالنقص في ناحية من النواحي ، وهذا الشعور ناجم عن تفاوت الناس في الملكات والظروف والحظوظ ..

ولكن يجب التنبه إلى الفرق بين « الشعور بالنقص » وبين « مركب النقص » . فالشعور مجرد إحساس بسيط

وإلى هذا السبب يرجع ما نشاهده غالبا من « طفولة » في تصرفات المصابين بعقدة النقص ، فهم « يحتسون » إلى العهد الذي كانوا فيه تحت حماية الأهل ، يدفعون عنهم الأذى ، ويشكون إليهم ما يلقونه من جرح أو إهانة ، فيجدون الترضية والتدليل ... الترضية والتدليل اللذين لا يجدون إليهم اليوم سبيلا وقد كبروا وصاروا رجالا ، وبناتوا يواجهون اللطمات دون حماية ، ودون مواساة !..

إيمان الخمر والقمار .. مركب نقص !

ويختلف رد الفعل الناشئ عن هذه اللطمات القديمة أو عن « عقدة النقص » ، من النقيض إلى النقيض : فهناك اشخاص يستولى عليهم الشعور بالفشل والعجز ، وتلاشى ثقتهم بأنفسهم تماما ، فلا يجدون لهم ملاذا الا الهرب من الواقع المؤلم .. ولا يتسنى ذلك الهرب إلا عن طريق شاذ ومرضى ، مثل ايمان الخمر !.. ذلك أن الخمر تطلق العنان للمكبوتات تحت تأثير التخدير الوقتي ، فينفس السكران بعض ما تجمع في « الخراج النفسائي » من القبح والصديد الذي نقل عليه . وكم من شخص يبدو ذليلا ، حتى إذا شرب وانتشى صار متفتح النفس للفكاهة ، جريئا ، بل أنه قد يصل في الجراءة إلى حد السلاطة والعنوان !..

والميسر أو القمار منفس آخر كبير للمصابين بعقدة النقص : فإن هزات القمار العصبية المفاجئة تعوض الشخص عن خموله في الحياة الواقعية وتعمده عن كل نشاط فعال ...

يحاول الإنسان علاج أسبابه ببساطة ، ولكن مركب النقص عادة انتقلت من إحساس بضربة إلى جرح عميق أو خراج .

ومجال الشعور بالنقص هو الإحساس ، أما مجال مركب النقص فهو السلوك أو عمل الشخص وصرغائه . فإذا كان الشعور بالنقص صفة إنسانية عامة ، فإن العقدة مرض فردي ، وإن كان هذا المرض شسائعا جدا في العصر الحديث . . .

وعلى عكس مركب النقص ، نجد الشعور بالنقص مزية أو نعمة ، لأنه هو الدافع للفرد على تلافي أخطائه ، وباعته على طلب الارتقاء والتفوق . . . ولا يصبح هذا الشعور نعمة أو بلية إلا حين ينقلب بالشخص من قوة دافعة وباعث على العمل إلى قوة معطلة ومثبطة للهمة . . . فهنا يبدأ تكون العقدة الملعونة !

البداية هي الأساس

وقد صار من الأمور المحتقة المتطوع بها علماء في الأعوام الأخيرة أن عهد الطفولة هو أهم عهود العمر من الوجهة النفسية ، وأن كل ما يجرى فيه من الأحداث ذو أثر جليل فيما يلي ذلك من سنوات العمر . ففي هذه المرحلة الأولى توضع « الخطوط الرئيسية » لشخصية الطفل ، وتبذر البذور لجميع خواص مزاج الطفل ، تلك البذور التي تثبت وتؤتى ثمارها الحلوة أو المرة في كل الأطوار التالية من عمر الشخص ، حتى نهاية حياته . .

فمن القواعد المقررة الآن ، حتى أنها تعد من بداهيات علم النفس الحديث ، أن الإنسان يتكون التكوين الصالح ، أو يفسد الفساد الفادح ، قبل أن يغادر مهد طفولته . . أى في السنوات القليلة الأولى من عمره . . فالبداية هي الأساس وعليها المعول في حياة الشخص النفسية وصحته الوجدانية . .

ففي هذه السنوات الأولى ، سنوات المهد ، يتعلم الطفل درسه النفساني الأول ، ويعرف هل بيئته بيئة مواتية عطوف تساعد على التفتح ، أو هي بيئة مدللة تفسده بالاقبال الزائد عن الحد اللازم . . . وهل من حوله يفهمونه حق الفهم فلا يفسدونه بالتدليل ، ولا يفسدونه كذلك بالصد والامراض الجاف . . . أم هم قوم جهلة لا يدركون ما ينبغي وما لا ينبغي؟ كل هذه الأمور تستقر في وجدانه القرض وتترك آثارها في عقله واضحة لا تمحى حتى بعد أن تنتهي الطفولة ، بل تلازمه وتؤثر في عقله ، في صباه . . وبناعته . . ونسوجه !

كلمة السر . . !

وإذا القينا نظرة على هذه المرحلة ، مرحلة الطفولة — أخطر مراحل العمر نفسانيا — وجدنا أن كلمة السر التي تفتح لها مغاليق تلك المرحلة هي « العجز » . . فالطفل بحكم ودلانه وعجزه في بداية الحياة يعتمد على سيواه — أى على والديه عادة — في الطعام والمسئوى والحماية من عوادي المرض والألم ، والأنس من الوحشة . . الخ — ومن ثم يكون من الطبيعي أن يشعر بناء على هذا الاحتياج إلى غيره أنه عاجز ، وأنه ما من حاجة من حاجاته يستشعر الحاجة إليها وسدها

بنفسه ، بل هو محتاج إلى غيره في كل شيء بلا استثناء ..
وإن ماول ما يستقر في ذهن الطفل هو الشعور بعجزه ،
وقصوره .. وبأنه عالة على غيره ! .. وهذا الشعور نفسه
هو هو البداية الطبيعية للشعور بالنقص ..

ويخلل البنا أن شعور الإنسان بالنقص ليس له نظير لدى
سائر الحيوانات الأخرى : ذلك أن مدة طفولة الإنسان أطول
نسبياً بكثير من مدة طفولة الحيوانات الأخرى . فقير من
الحيوانات سرعان ما يملك أطفالها زمام أنفسهم فيستقلون
بأمورهم ويعتمدون على ذواتهم في تحصيل معاشهم دون حاجة
إلى أم أو أب .. أما الإنسان فيظل يرضع مدة طويلة ، ثم
تتأخر أسنانه نسبياً في النمو . وإذا انقضت مرحلة الرضاعة
والحاجة البدنية إلى الأهل في الطعام ، بدأت مرحلة التربية
والتعلم ، وهي مرحلة تطول سنوات كثيرة قد تبلغ ربع قرن
من الزمان ، يظل فيها الفتى أو الفتاة عالة على أهله ، لا بدبر
بمعاشه ولا يستقل بأموره ولا يحمي نفسه ومصالحه
الخاصة ، إلى أن يتم الدراسة ويبدأ في استئصال أعباء الحياة
العملية ..

وبعبارة أخرى أن من الناس في العصر الحديث نسبة كبيرة
لا تعتمد على نفسها قبل أن تبلغ مرحلة الرجولة أو الأثوثة
النافضة . ومعنى هذا طبعا أن الشعور بالنقص ، أي العجز
أو القصور عن كفاية المرء لنفسه والقيام بكل لوازمها ،
شعور يلزم المرء إلى سن النضج .. ولا سيما من ناحية
المطالب المادية والضرورات والتكاليف المالية ، والمركز

الاجتماعي . وهذا الشعور بالنقص أو القصور ينقص
النشء أو الشاب ويلقى خلاقاتها لا سبيل إلى تجاهله على
جميع أفكاره وتصرفاته ...

ولا شك أن طول العهد بالشعور بالنقص أو القصور إلى
أن يبلغ الشخص سن الخامسة والعشرين تقريباً يجعله
لا يستطيع طرح هذا الشعور من نفسه حتى بعد زوال
مقتضياته ، أي حتى بعد استقلاله بأمه دون ولى أو وصى ..
وإلى هذا السبب يرجع بعض الفلاسفة والكتاب الاجتماعيين
طفولة الجماعة الحديثة وسرعة انسياقها للطفأة وجميع من
يحاولون سوتهم قطعاناً تحت راية زعامتهم بكلمات مزوقة
وعبارات رنانة ! .. ذلك أن الاستقلال والاعتماد على النفس
لم يتأصل فيهم ، فهم يخشون إلى من يقودهم كما تعودوا ،
فيلقون إليه زمامهم في الأمور العامة ، رغم بلوغهم مرتبة عالية
من العلم والثقافة ! ..

ومصادق هذا ما يشاهد في هذا القرن الأخير من نجاح رقم
قياسي من الطفاة والدكتاتوريين في الاستبداد بأمور أهم راقية
وشعوب مثقفة متعلمة .. فالدكتاتور يلقى التأييد من
الشباب ، على الخصوص ، لانتكاسهم إلى عهد الطفولة ..
ولكنه انتكاس يضع مسؤوليات الرعاية في يد « الأب العمومي »
بدلاً من يد « الأب الخصوصي » الذي ظل مضطرباً برعاية كل
منهم في مرحلة الشباب .

ويعززون أيضاً إلى طول عهد القصور وعدم التعود على
القيام بالمسؤوليات ما فشا من الطغاة الذي لا يبر له إلا

النقص الجسماني !

ينبغي ألا يقرب عن البال أن حالة الطفولة وما يلزمها من شعور الطفل بالاحتياج إلى سواه كي يعيش ، ليست هي السبب الوحيد لنشوء الشعور بالنقص أو عقدة النقص .. فهذه حالة عامة يشترك فيها جميع الأطفال بلا استثناء ، ولا يمكن القول أن جميع الأطفال يصابون بمركب النقص ! .. وإذن فهناك حتماً - عدا حالة الطفولة العامة - أحوال خاصة غير مشتركة بين جميع الأطفال ، ونعني بها حالات الشعور بالنقص لأسباب خاصة بالشخص نفسه وبأحوال طفولته هو بالذات ، لا بحالة الطفولة بوجه عام .

وأول هذه الحالات الخاصة - وعددها ثلاثة على سبيل الإجمال - حالة الشعور بالنقص العضوي ، ونعني بها وجود عيب جسماني أو حيوي لدى الطفل يجعله مخالفاً في الشكل أو في السلوك الجسماني للمألوف في أطفال بيئته . فالطفل الأبيض في بيئة من السمرة ، والطفل الأسمر الداكن في بيئة من السمرة ، يدخلان تحت هذا النوع ... ويدخل فيه من باب أولى كل طفل ذو عاهة ، وكل طفل مصاب بالعدم ملكة من ملكات الجسم الأساسية أو حاسة من حواسه الرئيسية ..

وقد تفرغ العلامة « بيرن غولف » لدراسة هذه الناحية ، فلاحظ أن أي اختلاف عن المألوف قد يسبب « الشعور » بالنقص ويكون لدى الشخص « عقدة » النقص ، إذا كان هذا الاختلاف في الشكل محل اضطهاد خاص أو « مرحلة

الاضطراب العصبي دون سبب ظاهر يدعو إلى تفسيره ربط الزواج .. وما فتئ كذلك من حب الأخبار المثيرة في الصحافة الرخيصة ، والإعجاب الخرافي بأبطال تافهين مثل نجوم الشاشة البيضاء والمتفوقين في الألعاب المختلفة ، فإن هذا يدل على تاصل روح « الخضوع » في الشبان لطول عهدهم به في زمن الطلب والتعلم - وعلى عدم القدرة على « تكيف » النفس حسب المواقف ومعالجة المشاكل الناتجة ، مما يؤدي إلى المصادمات التي تسبب الطلاق بغير موجب وجيه ، والتمرد على الأعمال والرؤساء لأنه المناسب ... فذلك كله من أعراض « طفولة العتل » الناجمة عن تاصل الشعور بالنقص والعجز ! ..

مركب النقص من أسباب الحروب !

بل أن « طفولة العتل » هذه هي داء البشرية الأكبر اليوم ، فما كانت الحروب لتحدث ، وهي الجائر البشرية البشعة التي لا نظير لها في وحشيتها ، لولا « طفولة عتل » الفريقين المتحاربين : فآلات الحرب الحديثة تدهش الإنسان الساذج العتل والنفس ، بحيث تقتله طرافة المدفع أو القنبلة المدمرة وتلويه عن رؤية الملايين الذين يذهبون ضحيتها ، وقد يكون هو من بينهم شخصياً ! .. أما إذا تضج العتل ونضجت نفسية البشر ، وذهب مركب النقص منهم ، فأنهم لا ينساقون وراء المضللين من القادة ، ولا يغفلون بشاعة الدمار الحديث مقننين بالفرحة الصبيانية « باللعبة الجديدة » التي يقدمها لهم أولئك القادة ، تارة باسم قاذفة القنابل ، وطورا باسم الفواصة ، وحيناً باسم القنبلة الذرية ! ..

الطفولة ... حتى ولو كان هذا الاختلاف مجرد إفراط في الطول ، أو انحراف في القصر ، أو ضخامة في الأنف ، أو غزارة في الشعر ، أو بروز في الأسنان ، أو حول العينين ... الخ ... بل إن الجمال أو الوسامة الشديدة قد تكون عاملا من عوامل تكوين عقدة النقص ، إذا كانت علة لاضطهاد الطفل أو مضايقته وملاحقته بالمذامبات ..

فالملاحظ دائما أن فريقين من المخلوقات لا يعرفان الرحمة :
 ١- وهما الحيوانات والأطفال ! - وتلك حقيقة قررها الشاعر الفرنسي « لافونتين » الذي امتاز بدراسته لنفسيات المخلوقات الحية من الحيوان والإنسان .. وقد اثبتتها الملاحظة العلمية إما إثبات .. فمتى وجد الأطفال في زميل لهم نقطة ضعف استغلوها وأتهالوا عليه بلا رحمة منتهزين عجزه عن المقاومة أو الانتقام . لذلك نجد ضعاف الأطفال موضع عدوان زملائهم لغير سبب إلا حب العدوان . ولما كان الضعيف لا يملك إلا السكوت ، فإنه « يكبت » غيظه وعواطفه ، وينطوى على كبريائه الجريئة ... وهذا الكبت بالذات هو سر تكون العقدة النفسية لديه من جهة هذا الموضوع المؤلم ...

وإذن فاول ما يجب العناية به أن يتاح للأطفال التنفيس عن الآلام التي يسببها لهم زملاؤهم . ويكون ذلك بالتنفيس عند الاقواء برد العدوان والعراك .. أما عند الضعفاء فبالعمل على « رد اعتبار » الضعيف أمام نفسه ، بأن يشعر أنه موضع تهم وعطف وتقدير من شخص أكبر منه سنا أو

مقايها ، مثل زميل كبير أو أستاذ أو قريب من أقربائه .. فينسى بهذا الاحترام والتقدير جرح كبريائه ، ويرى فيه « تعويضا » عما نزل به من زملائه « الصغار » .

الطفل المدلل ..

وإذا تركنا النقص العضوي أو الضعف الجسماني جانباً ، وجدنا أن النموذج الثاني للشعور بالنقص هو « الطفل المدلل » ... وقد يبدو هذا الكلام غريباً ، ولكنها حقيقة اليمة من حقائق المجتمع المعاصر ، وما أكثر الحقائق الموجعة في المجتمع الحديث ! .. ذلك أن أول ما تتطلبه حياة القرن العشرين هو الشجاعة ومواجهة التبعات في ثقة وثبات .. فلامحل في الحياة المعاصرة إلا أن يعرفون الاعتماد على النفس .. و « المدلل » لا يعوزه أو ينقصه شيء كما ينقصه الاعتماد على النفس والشجاعة في مواجهة المواقف وتحمل التبعات في ثقة وثبات .

فمن هو الشخص « المدلل » ؟ ..

إنه شخص تعود منذ نعومة أظفاره أن يجد كل حوائجه متضية مهما كانت مخيفة واستبدادية ، وأن يكون الجميع من حوله تحت خدمته ورهن إشارته ، يتحكم فيهم بغير رادع ولا وازع ! فلا شيء ينقصه ، ولا شيء يضايقه ، ولا يكلفه أحد ما لا يرضى ... فهو دكتاتور في أسرته وبين أهله .. ولا خبرة له بكل ما يتصل بمعاني « المشاكل » و « الصعاب » و « المسئوليات » ... فكيف يراد منه إذن أن يواجه هذه

الاشياء العربية عليه إذا سبى عوده ويعين عليه أن يحوص
غمرات الحياة مستقلا بنفسه !؟

الصدمة الأولى

وأول صدمة سببها شخص المدلل في أعقاب هي أكثر
الحقائق أبو صدمه بداعه لو أنه كان يعقل ، وبذلك احتقنت هي
أنه ليس الصل الوحيد في عالم ، وأنه ليس محسرا للعصف
والرعاية في أسرته !

وبصدمه هذه لحقته لمر - لأوى حين يكلمه ، أن صاعب
آخر قد احتل حجر أمه ! .. أي عسدها بولد له أخ أو أخت
أصغر منه ! .. وهذه صدمه على جانب كبر جدا من
الخطورة من الوحية النفسية ، فيجب أن يهتد لوقوعها
بمهتد طويلا بارع ، وإلا كان وقع الصدمة شديدا جدا ومزرا لا
لكانه الوحيداني ، عما بالكم شخص مر في نفسه ورشح أنه
السلطان الوحيد والملك المرد لميكه هي سرته . بحد نفسه
في عصاة عين وإساعتها وقد شركه في « العرس » شخص
آخر ! .. بل بحد هذا الشخص قد احتل ذويه مكن الصدارة .
و « ركنه » هو قصر « على هامش الهامش » من عشابة
الأسرة . فهو « عزيز قسوم دل » وعزير القوم اذا دل قد
يجن ، وقد تنطوى نفسه على الحقد والإحرام ! ..

و الواقع أن الطمس في هذه بحالة بقلب عليه أن يكتف عطفه
وكبره الشديد يقال أنه « واحد على حاصره » .. وقد يؤدى
شعوره بالذلة والهوان إلى هبوط في مستوى سلوكه

وتصرفه الاجتماعي والشخصي ، وكان يعود إلى السؤل في
ثيابه بعد أن يكون قد أضع عن هذه العادة من مدة ، أو يقوم
في الليل صرحا من أوهام وبحيلات مرعبة لا أساس لها ،
إلا استرعاء انتباه والده ليعلم بحصانه ببعض ما سحبه
منه من العناية ... الخ .

عجز « المدلل » عن مواجهه الحياة . .

فإذا مرت هذه الصدمة الأولى وجدت صدمه من نوع آخر
في انتظار « المدلل » عسدها نسب عن لطوق ، ويخص له أن
بخوض عمار الحياة كندف في سبيل يعيش ... فويل له إذ
كانت مهسه من تلك المهن الحرة غير الثابتة المرتب المصوبه
الدخل ، فإنه سيحد نفسه كالنبتة في الصحراء أو انعارق في
شعر من الماء ... فهو لم يتعود الكفاح والمشغل وأعراض
الربائن ... وهو ينظف من بيئته في رحولته أن تكون نظير
بيئته في طموانه : طريقا مبروشا بالورود والبرحال ، وليس
للناس من حوله شغل إلا طلب رضاه وبغى الاكدار عن محباه !

ولهذا نجد « المدلل » يوصل دائما العمل على مكتب ،
موظفا صغيرا في ديوان ! .. وهو لا يخوض معركة الحياة
الحرة ما وجد عنها مخصصا . أما إذا أرغم على خوضها فإنه
سرعان ما يفشل ، لا لصعوبة المفترك ، بل لصور في نفسه
وتزعزع يقينه بكفايته ! .. ثم مسلمه انشغل في الفالب إلى
الأياس ، أو « البلطحة » ، فيكون عائلة سى أمه ، أو أخيه ،
أو روحته ، أو « دخله الموروث » . . . بعد أي معارة
الخير والميسر والمخدرات ، لطرف حراة رذالة على بحد

التي احتلت طيه ، وما طيه إلا أن تتوجه الدنيا ملكا عليها ،
لا شيء سوى « سواد عينيه » !

فكما أن نبات البرية الذي سمو في الظل لا يصلح للحياة
في الشمس والهواء وتحت لطر والرواسع .. كذلك لا يصلح
الشباب « الدمية » لدى ربى في « قمع من الذهب » للحياة في
العراء حيث تضطرب البيارات ، لا يصدها أو يحد من شوكتها
القوة شيء ، ولا نحى منها إلا « المداغة الطبيعية » ، تلك
المداغة التي ليس لدى « المدلل » منها أدنى نصيب !..

القبوذ ..!

فيأدا تحطينا النمط الأول وهو « الشعور بالنقص
العضوى » ، والنمط الثاني وهو الشعور بالنقص المعنوى ،
عند الشخص المدلل .. وحدنا النمط الأخير هو الشعور
بالنقص المصاد للشعور لصل المدلل ، وتعنى به شعور
الطفل بأنه مقبوذ !

مإذا ما شعر الطفل أنه غير مرغوب عنه ، أو أنه مكروه ،
كال يكون وجوده في أسرة غير طيبة — إذ كاي والداه قد
انفصلا مثلا — بحيث مات الطفل عبئا على والده أو والدته ،
ولا سيما إذا كان من تكفل به منها قد كون أسرة أخرى
بزواج جديد — أو لغير ذلك من الأسباب التي تزهد الناس في
الأطفال ، وتحملهم يملونهم ولا يولونهم العطف والرعاية ..
فإن الطفل في هذه الحالة يشعر ويستقر في نفسه أن الحياة
لا تريد ، وأن المجتمع يضطهده ويتنذه . ذلك أن سنة الطفولة
وأهل الطفل هم صورة الحياة والمجتمع كليهما في نظر الطفل !

وليس المول في خلق هذا الشعور عند الطفل على
المقويات البدنية أو انفسه الجسمانية ، مثل الصرب
والتعذيب والتجويع . كلا !! بل المقياس هو التصورات التي
تحدث — مهما كانت تامة في ظاهرها — أصرارا وجراحا في
« نفسية » الطفل الغضة .. لا في جسمه !

وخطورة هذا النمط من الشعور بالنقص أن قريسته تشك
في الغالب على كراهه المجتمع البشري ، فيصير منه أخطر
الحارجين على القانون . ذلك أن الحب هو عصب الاجتماع .
فمن لم يشعر به في طفولته فقد الاحساس بصلته بالمجتمع ،
ومن شعر بعكس الحب في طفولته شب على الضعف والسطح
والحسد لن يتمتعون بنعمة الحب والمودة الاجتماعية .

ولهذا السبب يقرر علماء النفس والاجتماع أن الأسرة
ضرورية لتكوين مجتمع صالح متعاون متماسك ، أما المبادئ
التي ترمى إلى إلقاء الأسرة أو إضعاف رابطتها القوية ماينا
قصة أن تقضى على الوحدة الاجتماعية كلها ، فيشب انسان
أشرارا أو على الأقل غير مكترئين للصالح العام ، وغير
شاعرين بالتعاطف والتواد لغيرهم . فكيف اشبات من
الانانيين ، ينهر أحدهم إلى الآخر نظرتة إلى المسافس أو
العدو ، لا نظرتة إلى الشريك والصديق ..!

ويجب الا يتبادر إلى الذهن أن الواووس أو الأهل وحدهم
هم الأسباب الوحيدة لهذا الشعور بالسذ . كلا . فقد يكون
الأهل على خير ما يرام برا بطلهم . لكن الطفل نفسه قد
يكون محل اضطهاد زملائه وسذهم ، مما يفتوق ذكائه

سديد عليهم في انفسه . فيحبونه حمداً له . وحقداً عليه . . . فيكون « عدم الشعور » هذا سبباً لشعور الطفل بالانحدار ، وبذره لمركب انقص . لانه يحس بالمهانة والوحشة ، وتبني كبريائه — وما أشد كبرياء الأطفال ! — أن يستجدي لعنت والورد . فيصوى على نفسه ويحكم عواطفه . وهذا الكمالي أو الكب هو البره الحسية التي يبيض فيها مركب النفس ويفرخ !..

ويلحق بهذا اسوع من الشعور بالنقص ما يحسه الطفل صغير المتواضع بشده . لا في ثنولته الاولى . فقد يكون محل عطف من أهل بيوتهم . ولكن الانه في الأوساط التي يعمل فيها . ويطرد دائماً إلى من هم أعلى منه وأرقى حسبا وأعلى اهلاً نظره يطلو على المهابة الخفية ، فيسيطر هذا الشعور بالنقص على جميع تصرفاته ، فاما أن يكون مثالا للحصوع لهؤلاء ، فيصيح : « مندا » ، وإما أن يعوض النقص بالساعد والشموع . فيستد علائفه بالناس لغير سبب ظاهر وإن كان السبب متجوهاً في صلو التحليل النفسي لنشأته الاولى .

الصنم الذهبي !

ومهما يكن من شيء ، فالصنم الذي يتكون منه عقدة انقص يتوقف على كل حال على شكل « صنم الأحلام » لكل شخص حلم ذهني أو مثل أعنى بقدره ، إما في نفسه سلطوح إليه . وإما في غيره باحترامه . . . وإلى هذا الصنم

— صنم الأحلام الذهني — يرد جميع تعذرات الشخص ، ونظرتة إلى الحياة ومقاييسه فيها . .

فإذا كان صنم الأحلام هو المعنى الواسع والثراء العريض ، شعر الشخص بالنقص في حصرة آلهه المال . أو كل من هم أعلى منه بمقدار ملحوظ . . وربما شعر بالعكس . أي بالتفوق والاستعلاء إذا كان من حوله أقل منه ثراء وعسى . وكذلك من « صنمه الذهني » الثقافة والعلم قد شعر بالنقص من ذي قوى الشهرة والمكانة في العلوم والآداب . .

لكن العن هؤلاء جميعاً من صنمه الذهني ما يسمى بالنقص أو الحاء أو المكانة الاجتماعية . . لانه سطر نعيمه لثيران الحمد والنقص أمام دوى المنصب أو الوحامة والألقاب . . وسيحسب المسكين كلما نال رتبة أو درجة من درجات المناصب أنه « كبير » ، فتتغير نظرتة لنفسه ، ويطالب الناس بتغيير نظرتهم إليه !..

شعور شائع . .

ولعل من أشيع اسباب شعور النفس ما يحس من شدة الحساسية « الدينية » . . فالشخص الذي يؤمن بدين إلهاني قويا لابد أن يشعر « إذا رل وارترك أية معصية ذات بال . أنه قد هوى من القمة إلى الدرك الأسفل من المهابة . ويرى نفسه في عيني ديه وره حقيراً مدساً مهيناً ، مشعر أنه منبوذ ، وأنه « دون » مستوى يؤمن به . . . في شعر بالنقص في أوضح صورته .

- ١ - القلق أو النشاط الذي لا هدف له .
- ٢ - الحجل من المحسصات وتحاشي الاجتماع بالناس .
- ٣ - فرط الحساسية وبخس بتقدير الشخص لنفسه .
- ٤ - السطحية وفرط الرضى عن النفس .
- ٥ - فترات متناقضة من الصحة والثروة .
- ٦ - التهكم الناجم عن حب للنقد الهدام .

القلق الخالي من الفرض ؟

والمعنى الذى يستمد من « القلق الذى لا هدف له » ان الشخص يشعر في قرارة نفسه انه كان ينبغي ان يعمل شيئا لم يعمل . . . ولولا هذا الشعور لما صدرت عنه هذه الحركات التى لا لزوم لها ، ولا تستقر في مكانه واطمان . . . ومن هذه الحركات الخفية من العرض ، الدال على القلق وتوتر الاعصاب ، سوء النوم وكثرة الارق لغير ذاع مفهوم من الهموم أو المرض الجسماني . . . فليسو كان الشخص مستريح النفس مطمئن السريرة لنام . . . بيد ان اشعور المذنبون الكامن في أعماق صيرته بأن عليه شيئا يجب ان يقوم به ولكنه تقاعد منه ، هو الذى لا يترك له راحة في ليل أو نهار .

وقد يكون هذا الشعور بالتقصير أو التقاعد عن عمل واجب الاداء راجعا إلى تجربة قديمة جدا ، في رمل الطفولة مثلا . ربما تكون قد نسيت تمام النسيان . . . ولكنها مثل الحرح العميق قد نسي الشخص ملامساته كل النسيان ، ولكن هذا لا يمنع من بقاء اثرها في الجسم مؤثرا في قلبه بوظيفته .

ويغلب على إنسان هذا حاله ان يكون شديد الحياء ، فلا يفضي بسبب خربه ، وبطوى النفس على مهائنه وثائمه ، ولكن هذا التأمم يقض مصححه ولا يترك له سبيلا للراحة ليلا أو نهارا . . . وإلى هذا النوع من التأمم يرجع اتسيع عقد النفس في الأوساط المدينية .

وليس معنى ذلك طبعاً ان تخفف شدة الشعور الدينى حتى لا يتأثم الخطاة ، بل معناه ان يبشأ الناس على احترام أوامر الدين ويواهبه ، وان يذكر الخطاة في الوقت نفسه ان التوبة تغسل الذنوب . . . وان الله غفور رحيم لمن تاب توبة صادقة . . .

وكل الانماط السابقة - وهى النقص العضوى ، وشعور التذلل ، وشعور السد والاعراض - يمكن علاجها بسهولة ، ما لم تتطور وتعتقد وتحدث لها مضاعفات هستيرية . . . !

اعراض النقص

لمركب النقص - كما لاى مرض آخر - أعراض تتم عنه ويعرف بها . . . وقد جرى العرف على تقسيم النقص إلى قسمين « نقص بسيط » و « نقص حبيث » . والنقص البسيط ما اقتصر على أمور سطحية في الشعور ، ترجع إلى سوء المعاملة أو سوء السياسة في عهد الطفولة . والنقص الخبيث راجع في الغالب إلى تجربة عاطفية عنيفة كان لها اثر عميق في مجرى الشعور . . . !

ونبدأ بالنقص البسيط أو الخفيف ، منجد أمراضه مجملة في :

الحجل الاجتماعي ..!

أما الحجل الاجتماعي وبتأيد عن الناس معرض من وضع أعراس نشعر بالنقص . ومرد في المجال إلى شعور بالسد وانكراهه شاء الصبي أو لطلوله .. كان يلقي الطفل أو انعلام بفسه مردولا محدودا عنه من أحواله أو أهله . مقتضى ذلك على ثقته بفسه . وكلما أغنى بفسه بعد أن يكرر أمام غرباء طفت هذه التحيرة الأليمة من العقل الباطن بحال دون اندماج الشخص أو ارتباطه إلى هؤلاء الغرباء ..

فرط الحساسية والتضائل

ويلحق بالحجل الاجتماعي عرمد الحساسية والتضائل — أي بحس الشخص لقمة بفسه . ويرجع ذلك في الغالب إلى النائم . أي الاحساس الشديد بارتكاب الإثم فيما مضى ، أو معاناة بحقير شديد في موقف من المواقف ، بحث بفسح في نفس الشخص أنه زهيد القبة هن على الناس ، ويتطور هذا الشعور مع الزمن حتى يعتقد هو أيضا في هوان نفسه ، وإن الناس محقون في الاستهانة به ..!

ويعلق على الدكور المصابين بهذه الآفة أن يهتوا بكل جانب من جوانب مظهرهم أمام الناس ، ملون ملابسهم ، ونوع تلك الملابس . وشكل الحذاء ، ومظافته . وألوان الطعام وما إلى ذلك .. كلها أمور يهتوون جدا بان تكون مما يرضى عنه الناس ، فرأى الناس عندهم شيء مقدس . له المقام الأول من الاعتبار !

كما يعلق على الإناث المصابات بهذه الآفة أن يهتوين اهتماما مفرطا بجواربهن وبوبها ونوعها وبسرعتها ، وشكل شعر وطريقته بصبغه ، لأنهن يحسبن أي اعتقاد بريهن ووجاهتهن . كما يعلق إلى النفس من قدر حسنها والإبقاء عليه باللوم ، على مسبيل التعويض عن الشعور بالنقص بالنسبة للحسن الآخر . مكن المصابة بهذا النمط بنرا من جنسها ونفائسه بهذا التجنى ..!

السطحية ..

ومن أعراض الشعور بالنقص أيضا ما يسمى بسطحية لوحدا . وعلامتها أن يكون الشخص غير مكثرت لشيء فاف بالنسكوت كأنه الإله بودا . مكنت بالتأمل في بفسه في رضى عنها ! .. لا يهيم إلا بمعراته ومطالبه الخاصة .. ولا يعنيه مصير أحد أو مصير شيء في الدنيا غير رفايته الشخصية ..!

النويات المتناقضة : من المرح والانقباض !

وقد يصاب الشخص تحت تأثير شعور النقص ببولات متناقضة ينقل منها من الصبوت والانقباض إلى التفرقة والفرح و لحيور ! بذلك دليل لا شك منه على عدم الاتزان الوجداني ، ووجود متاعات " حب سطح الوجدان بسبب أهلى وعدم الاستقرار على حال .. وغالبا ما ينجم ذلك عن تجربة عسرة . أي صدمة وجدانية كبت كثيرا شديدا . فصارت حائلا دون الاستقرار الوجداني بما تسببه للشخص من تفنصات وبرعات . كأنها ذاء الفرس الذى يه واد الشخص غير سابق إنذار كما تركه بغير سابق إنذار ..!

— اجنبية غالبا — في كلامه بهر مناسبة ، مع التطاهر بلوقار والثراء وسائر مظاهر العقليين في النعمة !

أما الشخص الذي يرجع شعوره بالنقص إلى التذ ونماعد زملائه في طفولته عنه ، يميل إلى التائق في ملبسه تنقا حارجا على المألوف ليكتسب صفة الوجاهة ..!

ومن مظاهر التعويض أيضا ان تميل المرأة لتقليد الرجال ، ويميل الرجل لتقليد النساء ، في الرينة والحديث والإشارة !

وقد يميل من يشعر نزهد اللباس منه إلى العرلة مع الاستعلاء ، وادعاء التفرد والتفوق على سائر الناس بمزايا لا يعلم حقيقتها إلا الله . ويميل مثل ذلك الشخص إلى خرق العرف في لبسه وزينته ، لأنه « فطوحده » و « فريد عصره » فلا يصح أن يقلد أحدا ، بل يعتبر نفسه المشرع الوحيد لداته الفريدة !

وقد يستط الشخص المزهود منه في التعويض فيصبح من الأشقياء الشرسين والطفاة المتمردين على كل قانون أخلاقي أو ديني أو وصى ، الذين يميلون إلى القسوة والعنف في كل شيء ..!

التعويض الصحيح

كل هذه الضروب من التعويض ليست في محلها ، فهي تعويضات زائفة تعتبر من أعراض حدوث « مضاعفات » في الداء الأصلي ..! وإنما التعويض الصحيح أن يحاول الشخص الشاغر بالنقص الحصول على مزايا حقيقية ،

حب الهدم !

وغير نادر أن يصاب الشخص أشاعر بدقصة بدء العتير ، فيميل إلى تحقير كل جبل وتشويه كل جميل ، وانتقاد كل حركة أو من اسفادا لا عيه به سوى المسح والهدم . ومثل ذلك الشخص لا يؤمن بشيء ، ولا حرمة عنده لبدأ أو عقيدة أو مزية خلقية ..!

رد الفعل ..

ويضاف إلى هذه الأعراض السلبية أعراض إيجابية ، هي بمثابة رد فعل للشعور بالنقص ، أي ما يسمى « التعويض » عن النقص !

ولكن هذا الصرب من التعويض ليس بعرض منه المنع العام ، بل حماية الشخص لنفسه من حرائر الشعور بالنقص الذي يعاينه ... وينصب عاب على المصهر دون المحبر ، فيكون هم الشخص في هذه الحالة أن « ييضاير » بعكس ما يعاينه من الشعور بالنقص ، عالمسالة ادعاء مواهب ومزايا ، لا حصول حقيقي على تلك المواهب والمزايا ...!

من قبل ذلك أن يعمد الشخص القصير القامة إلى ليس حذاء له كعب عال وطربوش طويل ، ثم يبط قامته ، ويكثر من التلويح والتكشير ، و « الشخط وانظر » كي يوقع في الأدهان أنه شخص عظيم مهيب ..! كما قد يعمد الشخص القليل الحظ من التعليم ، أو المتواضع الأصل والنسبة ، إلى اصطفاك لكحة اجنبية في كلامه ، وحشر العاط منه وعلمية

لا ادعاء تلك المراتب ، بحيث يشعر اناس انه شخص ماضى
حقا وصدقاً وأنه لا عنى لهم عنه . ولا مصلح لهم من تقديره
واحترامه وخطب وده . وبذلك يرول سبب الشعور الاصلى
بالنقص تهايم الزوال ..

الكبت هو السبب !

ولكى نفهم « عقدة » أو مركب النفس على حقيقته نسعى
أن نعرف كيف يكون .. كيف يتحول من « شعور بالنقص
— أى من شعور قد يكون سطحياً عابراً — إلى « عقدة
نقص » — أى إلى داء مقيم مستقر يعوق تمام النفس بوظيفتها
على انبوذها الأكمل . والعامل الأكثر في تحول الشعور بالنقص
إلى عقدة مستعصية هو « الكبت » . مكبت الشعور بالنقص
وتكرر ذلك الشعور مع تكرار الكبت هو سبب تحول ذلك
الشعور إلى عقدة ، كما تلبس الحراح على مسامح تحول إلى
أخراج خبيث ..

فلو عمد المرء إلى « التنفيس » عن كل شعور بالنقص .
وكل حرج بصب الكرامة والكبرياء ، دون حرج من ذلك
التنفيس أو تخرج ، وذلك بالانصاف بما وقع منه آخه لشخص
يظن إليه ، للاثى أثر الشعور بالنقص في وقته . قل أن
يتحول بالتكرار وعامل الوقت إلى عقدة مستعصية الحل ..
وبأنى صرر العقدة من اتصال الصراع الوجدانى .
فالشعور بالنقص يحاول دائماً أن يخرج ، أى أن يحدث له
« تنفيس » لأنه مكنوم مكنوت . والوعى يضغط عليه دائماً
حتى يظل مكنوتاً ولا يطلع إلى السطح .. وهذا الصراع

أو الأشكال الدائم هو سبب القلق وعدم الاستقرار وعدم
الإنسان الذى يشاهد دائماً على المصابين بعقدة النفس ،
بحيث تلوح شخصيتهم في جميع مظاهرها بهذه العقدة
المعقودة ..

التوحس !!

وقد تبدو العقدة في شكل توحس أى خوف دائم من
حصول ما يمس موضوع العقدة ، أى سبب الشعور الدائم
بالنقص ... وقد يشتد التوحس فيصير نورسانياً مصحوبة
بالأرق ... وربما تطورت النورسانيا إلى انهيار عصبي تام
يؤدى بمستقبل الشخص ، وربما أودى بحياته ، لما يصحب
ذلك من فقد الشهية والقيء والأرق المتصل .

وقد يؤخذ الشخص إلى « زار » أو « حمل تحضير أرواح »
متهدداً أعصابه مؤقتاً بفعل الموسيقى ، أو يعالجه طبيب
بالكهرباء والحقن وما إلى ذلك فيتحسن قليلاً ، ولكنه يعود
عائداً إلى حالته الأولى أو أشد ... ذلك أن علاج عقدة
النقص لا يكون بعلاج أعراضها ، فالأعراض نتيجة ، والعلاج
يجب أن يكون علاج العلة أو السبب . وبغير استخراج
السبب المدفون في أعماق السيرية ، لا يفتح الخراج ، وبغير
تنظيف الخراج لا يتم الشفاء !!

عندما يخلق المرء لنفسه عالماً وهماً !

وقد لا يصاب صاحب عقدة النفس بالنورسانيا أو
التوحس أى الخوف الدائم من إثارة اشهر . بخصيه ..

مستقرة لا يتغير فيها الأب كلما ولدت الأم طفلا جديدا ...
أى لا قيام للأسرة إلا بالزواج كما نعهده في مجتمعنا ..

وإننا لنجد الحيوانات التى تحتاج صغارها إلى رعاية خاصة طويلة . تقارب الرعاية الواجبة للطفل البشرى ، يقوم فيها نظام الأسرة مماثل للأسرة البشرية من وجوه كثيرة جدا .. فليس الزواج قيادا اجتماعيا تعسفيا ، وإنما هو ضرورة بيولوجية ونفسانية لا محيص عنها .

أوهام العقلة !

وقد يعمد صاحب عقدة النقص إلى الهرب من الواقع ، لا بمعاقرة الخمر والميسر ، والمخدرات ، بل باصطناع جو من العقلة يحيط به نفسه ، وبما حبذا لو انخدع فيه نفر من الناس وطاوعوه في ذلك ، فانه يعوض ما يشعر به من النقص بذلك الوهم الذى لا يحتاج لتحقيقه إلى حمر أو أفيون ... ومن هذا القتل أوهام الأباطرة القدماء أمثال كاليحولا ونبيرون اللذين ادعيا الألوهية ... وما العهد معلوم الثانى وهتلر سعيد ! .. ولو أننا دخلنا أى بيمارستان (مستشفى للأمراض العقلية) لوجدنا ضحايا هذه الأوهام بالعشرات ، بل بالمئات ..

قيصر .. وبيتهوفن .. وروزفلت

ومن حكمة العناية الإلهية أن جعلت لكل شيء إلى جانب شره نفعاً . فإذا كانت عقدة النقص - وهى مبعث الشعور بالنقص - من عاهات البشر وأدواتها المعطلة

يعمد إلى الهرب من الواقع المؤلم الذى يذكره دائما منقصه ، فيرفض ذلك الواقع . ويرمض الحياة الواقعية ، ومنصرف إلى إيمان الخمر ، أو الميسر . أو المخدرات .. لأنه تحت تأثير تلك السموم يستطيع بحيل حياته توافقه ولا يكون مكانه فيها مما يتغصه .. فهو خلق عالما جديدا يعيش فيه نصف مجنون ، ولكنه معذور في ذلك ، لأنه يستحيل عليه احتمال حياة الواقع التى يحياها العقلاء ، نظرا لأن نصيبه في تلك الحياة قدرى مؤلم .

القتل في الحب

وقد كثر في الزمن الأخير إعراض الناس عن الزواج محبة ان الزواج والأسرة من اسباب تعاسة الحياة ، وار النسل شيء سخيف ! .. لكن سبب هذا القول إما يرجع في الغالب إلى قتل الشخص في الحب أى في الاتصال الجسدى اتصالا طبيعيا ناجحا .. فيدارى الشخص هذا المشل الذريع يستار من « الآراء التقدمية » ، متناسبا أن يطبق هذه الآراء معاه انقراض الجنس البشرى في مدى جيل واحد ! ..

فالواقع أن الحب والزواج ليسا إصلاحا اجتماعيا محسب ، بل هما ضرورة بيولوجية ، بصرف النظر عن مقتضيات العرف والدين . فلا بد من النسل لاستمرار الحياة . إذن لابد من الحب . ولابد من الأسرة وتعاون الأب والأم على تربية الطفل تربية نفسية صحيحة ، لا مجرد إطعام وكسوة ... فالحب العائلى والرعاية الوالدية هما البثرة الأولى لكل عاطفة سامية في الطفل . ولا يمكن قيام ذلك كله بدون أسرة

لقواها ، فإن الشعور البسيط بالنقص — وهو شائع جدا لا يكاد يحلو منه أحد — كان سببا في تنافس الناس ومحاولتهم التفوق على أقرانهم والتغلب على نقائصهم ..

وأعظم من هذا وأحل خطرا ، أن الشعور بالنقص كان السبب الكامن وراء عظمه كثيرين من عباقرة الزمان ومواقع بنى الإنسان : فهذا يوليوس قيصر كان مصابا بالصرع منذ صباه ، حتى خشى أن يعوقه ذلك عن احتشاد الجندي والانتظام في ملك الجيش ، ماذا ذلك يفعله إلى التفوق والتغلب على نفسه داك ، حتى صار مارس العصر وعاهل الدهر ، وأنيغ قواد روما القديمة غير منازع !

وهذا بينهوفس أعظم عباقرة الموسيقى كان يشكو من ضعف خاص في سمعه ، ماذا به يعوض ذلك النقص بأن يكون أعظم من شنف الآداب ، بحيث كان يميز بين ٤٠٠٠ طبقة مختلفة من طبقات الأصوات !

وهذا الرئيس روزفلت الذي قاد امته في أحرج أوقات تاريخها ، بل قاد العالم الديمقراطي كله في أحرج أوقات تاريخه ، وكان أول رئيس تجدد انتخابه مرارا وبكرارا رغم معاداة الرأسماليين واليهود والمحافظين والعمال لسياسته ... هذا الرجل الجبار كان مصابا منذ سن باكورة جدا من شبابه بشلل الأبطال ، فظل يقاوم هذا النقص مقاومة جبارة حتى وصل إلى قمة الجحاح والنشاط : محميا ، وحاكما لنيويورك ، وعضوا في الشيوخ ، وخطيبا ، ورئيسا للجمهورية ، وزعيما للديمقراطية في العالم أجمع ، وختم حياته بهزيمة قوى الدكتاتورية العاتية ...

ليس الشعور بالنقص في ذاته علة وداء خطيرا ، بل العلة في شرعز الثقة بالنفس الذي ينجم عن ذلك الشعور . أما إذا قويت الثقة بالنفس وشحذت الهمة للتغلب على النقص ، فذلك هي النعمة التي تكمن في باطن النعمة ، والتي تدن لها الإنسانية بأكبر عدد من عظمائها وقادتها النابهين ..

من هنا نبدأ ..

يجب إذن أن نعرف هذه الحقيقة جيدا ، وأن نعمل على مراعاتها كل المراعاة . فلا نتالم ونحن عزائمنا لمشغورنا بالنقص ، بل نعدد إلى التفتيس عن ذلك الشعور ، بتوحيه ومحاولة التغلب عليه وتعويضه بتبعية مراهينا الإيجابية الأخرى بحيث نعطي على ذلك النقص وتطمسه .

أما إذا كان النقص مما لا بعالج ، كان يكون عاهة ظاهرة ، فيجب أن نركز ههنا في مواجهة ذلك الواقع بشجاعة ، وعدم الخزي منه ، لأنه لا يعيننا في الواقع أن نصاب بعاهة ، وإنما يعيننا أن نستسلم لها بحيث يستفحل أثرها ويقسد علينا كل حياتنا .. فالشجاعة وعدم الاستخذاء والتفاسل بسبب العاهة هو مفتاح التغلب عليها وعلى عقدة النقص التي قد تنجم عنها .. ولنعلم أن في كل إنسان نقصا ، وأن الإنسان خلق ضعيفا ، وأن الرابطة التي تربط الناس بعضهم ببعض هي الضعف المشترك ، والحاجة إلى التواصي والتعاطف ، فلهيت الحياة كلها مضمار سباق ، بل هي قتل كل شيء رابطة الة ومودة وسلام ..



كيف تفهم "مرض"

انجمل!

للعالم النمسائي س. ه. - تيار

هذا الكتاب

الخجل صفة من اشيع الصفات الانفسية ، بحيث لا يكاد يحلو منها فرد من الأفراد . بيد أنها ككل شيء في الحياة يمكن ان تتضخم فنغدوا «ورما» خبيثا او «عاهة نفسية» مرئولة وضارة بصاحبها اعظم الضرر ..!

فالشخص الشديد الخجل شخص مروع ، منزعج ، مضطرب الحياة : لانه شخص لا ثقة له بنفسه ، فلا سبيل له إلى الطمأنينة على حقه ، او الامتناع باطاب العيش الساحة له ، لان بوتر اعصابه المستمر يحول دون ذلك ..

وقد يجب الخجول الناس ، ويميل إلى معاشرتهم ، والاتس بمجالستهم ، بيد أنه يشعر ان ثمة حاجزا يحول دون وصوله إلى تلك الأمنية !

وليس ذلك الحاجز هو لب المشكلة ، وإنما لب المشكلة هو جهل الشخص الخجول بان هذا الحاجز الذي يعصل بينه وبين ميله إلى مخالطة الناس إنما هو من صنع نفسه ، ولا وجود له في الواقع إلا في وجدانه الخاص .

ويقلب ان يكون ذلك الخجل المرضي ناجما عن صدمة أصابته في طفولته ، او في صباه الباكر ، فاثرت في

وجدانه ، ثم احترم ذلك التأثير في أعماقه حتى غدا عقدة من عقد النفس بضى على سلوكه كله اوبها الخاص .

ولا مندوحة لمن يريد الخلاص من تلك العقدة ان يعرف اسبابها الأولى ، عن طريق تحليل نفسيته والبحث في ماضيه . فقد انقضى ذلك الزمن الذي كان يقال فيه للمريض بمرض نفسياني « نزرع بقوة الإرادة تتقلب على خجلك الشديد » .. ففوق الإرادة قد تعالج العرض الظاهرة ، ولكنها قد تضاعف العلة الكامنة .

وهدف هذا الكتاب ان يبين للناس طريق التخلص من هذا الخجل المزائد ، وان يعينهم بالتحليل والشرح المبسط على استعادة الصحة النفسية .. ويحطم الحوائل التي تحرمهم من التمتع ببهاج الحياة الاجتماعية ..

الناس فريقان

الناس فريقان : فريق منهم يجد عاة السعادة في صحبة الجماعة ، والاندماج في الجمهور ، نجد أفراد يعيشون طهرا وباطنا للقاء العرباء . والسعير إلى أصدقاء جدد . وهؤلاء هم الانساطيون او « المنسجون بالحياة » ... وتل ان يصاب احد من اهل هذا الفريق بالخجل الشديد دى المضاعفات ...

أما الفريق الثاني فيكره طسحة الجماعة . يرضى بالجمهور ، ولا يهتم في الحياة اهلها حد ... و حد أو

أمرين ، ينصرف إليهم بجماع وجدانه . ولا يمنح صداقته والفته إلا لعدد من الناس محدود جدا ، أما الباقون فلا يفتح لهم نفسه ، ولا يميل إلى المباشرة القائمة على المحاملة السطحية والصحة السهلة . وهؤلاء هم « الانطوائيون » ، ويعلم عليهم أن يكونوا من أهل الخجل والمصابين بمضاعفاته .. !

والواقع أن لكل إنسان من الناس « وسطا وجدانيا » لا يستريح إلا إذا وحده وعاش فيه ، ولا يمكنه أن يشعر بالسعادة إلا في ذلك الوسط . فليس معنى التعلب على الخجل ، بالنسبة للشخص المنطوي على نفسه بمطرفته ، أن يفتد محور المرح وباعث الحدة والحركة في كل مجموعة يحد نفسه فيها . كلا ، وإنما الفرص طبعها هو ألا يصيق بالوجود في الجماعة ، والألا يبدو للناس ظاهرا النفسي هو المخالفة للمجموع .. وإما يكون قابلا للاندماج في الجمهور ، ولا يشقبه الزحام والضجيج ..

الخجل شيء .. وحس الهدوء والعزلة شيء آخر !

ومن الناس من حبوا لطبيعتهم على حب الهدوء .. وليس في حب الهدوء عيب ، فالهدوء شيء آخر غير الخجل المفرط .. فقد يكون المرء هادئا طبعه ، ولكنه ليس مفرط الخجل ، والفارق بين الهادئ والخجول أن الهادئ يحب العزلة حقا ، ويميل إلى الانتناس بالقراءة ، أو الصمت ، أو تربية الحمام ، أو جمع طوابع البريد ، أو راعة الرهور .. الخ .. وبالاختصار فهو لا يميل إلى ضجة المحتفلات .. أما

الخجول فهو راغب في قرارة نفسه في الاندماج في الجميع ، ولكنه يشعر بمجره عن تحقيق هذه الرغبة بسب حجله ، وهذا هو مصدر شقائه بعزله « الإجبارية » ، على عكس أرجل الهادئ الذي يتمتع بهذه العزلة ويقنع بها كل القناعة .

وللخجل المفرط مضاعفات ، أولها الفرز العصبي وأسور من محالطة النفس ، مع وجود رغبة كامنة في تلك المحالطة ، مما يجعل نفس الخجول مسرحا لصراع بين الإقدام والإحجام .. فذلك النور العصبي ما هو إلا نتيجة لخوف مكبوت من الناس ! .. فعلينا إذا كنا انطوائيين محبين للعزلة أن نتبين أولا كنه حنا لعزلة ، وهل هو دمج عن مضال صحيح للاعتكاف ، أم هو « هروب » من النفس متى على الخوف منهم !

ويجب أن نتنبه إلى ظاهرة شائعة لدى الانطوائيين ، هي حداثهم لأنفسهم .. فهم لا يسلّمون بأنهم يحشون الاختلاط بالناس ، بل يزعمون أنهم مطبوعون على الهدوء والعزلة أصلا ! .. ذلك أن المصابين بعقدة النفس مانون بالمرطبة إلى إنكار وجود تلك العقدة ، وإلى نسيان معنى المكون في اللاشعور .

ويلاحظ أن الشخص المصاب بداء الخجل المارط إذا تقدم عليه العهد وهو في عزله ، وعاش في عزله ، وبقي . وبغير عشاء يرتفع بينه وبينهم اسكت ، وبغير أفكار الناس ، وفقدت آراؤه مرونه فيكون كمن

إلا بالنقشة والاحتكاك والتقصص ، وصار ضيق الأفق ، شادا في آرائه ، شديد التمسك بوجهة نظره التي تنقصها الحصانة والنضوج .. فهو دائما كثير التوجس ، مختل المزاج ، يجسم الصعسر ، ويقيم للتواغه وزنا غير سليم ، وربما توهم من الأمور ما لا وجود له ، ومن الاهنات والمكائد ما لم يخطر لأحد سال .. فهو لشدة نفوره من الناس يحسب أنهم يكتون له من الشعور مثل ما يكتنه لهم ..

ولما كان كل سلوك للإنسان له سبب ، فانه يجب عدم السكوت على هذه الحالات الشدة ، من يسعى المبادرة إلى علاجها . وأهم أسواط العلاج هو تشخيص الداء ، متى عرفنا سبب العقدة ، سهل حلها .. بل أن مجرد معرفة سبب العقدة قد يكون أحيانا كافيا لعلاجها وانقضاء أعراضها .

والتعلب على عقدة الخجل بوجه الخصوص يلزم له عاهلان :

أولا : القضاء على الكبت الذي يحجر على الرغبة الطبيعية في الاحتلاط بالناس .

وثانيا : تحري السبب الذي نحتت عنه عقدة الخجل تحريا رائده الأمانة التامة والتدقيق .

جريدة الإباء ..

وعقدة الخجل — شأنها في ذلك شأن سائر الاضطرابات النفسانية — تبدأ في الغالب الأعم مع بداية عهد الطفولة . ذلك أن هذا العهد هو الفترة التي تكون فيها عاجزين عن منع

أنفسنا أو الدفاع عنها بسبب امتقارنا إلى الذخيرة اللازمة من التجارب . فعلاقتنا بغيرنا من الناس في نوعة اطفالنا . ولا سيما علاقتنا بالدينا ، على أكبر جانب من الأهمية .. مالوالدار على الخصوص هما المسئولان عن نناء الأساس الثابت من الذكريات التي تؤثر فينا وتوجهنا في مستقبل حياتنا : إن إلى الخير والفلاح ، وإن إلى الشر والشقاء .. مسعادة الطفل تتوقف إلى حد كبير حد على معاملة البالغين له وشعورهم من جهته . فإذا عاد الوالد مثلا من عمله مجهدا بعد يوم شاق ، فانه يكون على الأرجح ضيق الصدر بكل ما يصدر عن أطفاله ، فتفتاح أعصابه وينهال عليهم بالتأنيب أو بالصد من حيث كانوا يتوقعون العطف والتدليل والافعال . كذلك لا يندر أن يغار الآحوة الكبار من أخوتهم الصبيان أو الأطفال الصغار لغير سبب ظاهر من حيث كان هؤلاء يأملون منهم اللطف والإنسان .. وفي وسعنا أن نقيس على هذا المثل عشرات الأسباب التي تجعل الكثيرين منا بشاؤون غير واثقين من أنفسهم في كل ما يتصل بمعاملة الناس لهم . وليس الخجل إلا نتجه نقدار الثقة في مودة الناس بسبب تجارب ترجع إلى عهد الطفولة ، تتطوى على الألم والإذلال ..

القاعدة العامة أن الإنسان يتجنب بطبعه كل موضوع قد يثير في نفسه ذكريات مؤلمة . ولهذا السبب يميل الكثيرون إلى تجنب الاحتكاك بالناس لأن ذلك الاحتكاك مقرون لديهم بأسوأ الذكريات من عهد الطفولة ، حين فُحصت سيرة لهم لأول

نفسه من شأنه أن يثير أعصابك ، فيجف حلقك ، ويصعد الدم إلى وجهك فيتعثّر لسانك وتقلعهم !
ومنى شعرت بضطربك في القراءة أحسست بانقصاص أو الدونية ، وزاد من وطأة هذا الشعور ما وجهه إليك الأستاذ من تقريع ، ولا سيما وأن سائر رماقك قد سمعوا هذا التقريع ! .. يضاف إلى ذلك أنك تحشى أن تصل الشهادة المدرسية الخاصة بك في آخر المترة إلى البيت وغيب درجة رريه في المطالعة فيسوء مركزك في البيت - ولما كانت المدرسة والبيت هما كل عالمك في هذه السن الصغيرة ، فلا عروا حل إليك بعد ذلك أن العالم كله يستصغر شأنك وينظر إليك نظرة ازدراء ! ..

والذي يهيننا من هذه العوامل كلها هو تلك من الظهور صطهر غير لائق على ملا من الآخرس . وهذا الشعور المؤلم يرسى في أعماق نفسك ، حتى إذا كبرت لازمك منه أثر : مما إن تهم بدحول عرفة غاصة بالفلس ، أو بإبداء رأى وجهه في مناقشه تدور أمامك ، أو بالحدث إلى شخص غريب أو مجموعة غرباء ، الا ويتنبه لذلك في كل حاله من هذه الحالات ذلك الشعور القديم بالنقص وبالمذلة أمام المجموع ، فيستولى عليك التردد وتعثّر في الحديث وترتك خطوانك .. هذا إذا بدأت الحديث أصلا أو دخلت من باب الحجرة ، لأن الاعطب أنك ستجنب الموقف منذ البداهة بحشاش لكرار المأساة !

فمثل هذه الفكرات القاسية هو سبب في انطوائهم من الناس على انفسهم وانزوائهم .

مرة ، فأصابهم ذلك الإدلال أو الصدود اندى عجروا عن الدفاع عن انفسهم إزاءه ...

وهذه هي علة العلل في عقدة الخجل ، يحمل حريرتها أول من يحملها : الآباء ، ثم رماق الصبا وزملاء المدرسه ...

مسئولية المعلمين في المدرسة !

منهم ما في الموضوع إذن هو اكتشاف أصل هذه العلة بالضبط . ولكن هذا ليس سهلا ، لسبب بسيط مؤداه أن الإنسان محبول على الانحياز إلى نسيان مودسوع آلامه القديمة اتجاه لا شعوريا . ولكنه مقصود . وهذا السبب هو الذي يعرف باسم « الكنت » . فمحن يجسج إلى إعراف الأثر انسيء في أعوار بيار الوجدان ، بحيث تعوض تحت الوعي ، لكي تحل محلها في العقل الواعي ذكريات مفرحة أو اقرب إلى إرضائنا .

ولكن ينبغي أن ننتبه إلى أن أى تجربه هدمته من سوع التجربة القديمة المؤلة كتمله باعث هذا الماصى إن لم يكن بتفاصيله فجميع آثاره المؤلة ! .. فنحن ند لا نذكر ظروف الالم القديم ، ولكننا قطعنا نتذكر الشعور المؤلم نفسه ، بكل ما يتصف به من شدة .. ولضرب لذلك مثلا مقول : تصور أنك طفل صغير في أول مراحل الدراسة ، وأن المدرس طلب منك الوقوف والقراءة في وسط الفصل بصوت عال . وأن هذا المدرس قس ميكم . فلا شك إذن أنك ملطف على إرضائه لتوقى غضبه وعقابه . ولا شك أيضا أن هذا التلطف

التغيب في فكريات الطفولة !

وإذن فأول ما تحب العناية به لعلاج عقده الحجل هو البحث الدقيق الدائب في فكريات الطفولة . وأول ما يسعى أن ينصب عليه هذا البحث هو علاقتنا بوالدينا . هل كنا نشعر بالأمان والاطمئنان وانتبه في حبيب لنا ، أم كانوا ضسقى الصدر بنا بحيث لم يكن بدرى ما سيبدو منهم نحونا في أى لحظة من اللحظات ؟!

فإذا مرضنا من هذه المرحلة تنقبا إلى البحث في مرحله الدراسة ، نهى لا تقل أهمية عن المرحلة السابقة لها : ميل كنا سعداء أيام المدرسة ؟ وإذا لم تكن سعداء في تلك الأيام مما هو السبب ؟ ثم هل كنا نحب مدرسينا ؟ وأى هؤلاء المدرسين كانوا أحب إلينا ، ولماذا ؟

وهذه النقطة الأخيرة ، ونعني بها أى المدرس كان أحب إلينا وسبب ذلك الحب ، من أهم نقط البحث في الموضوع : لأن الصفة التى جذبتنا إلى مدرسينا المحبوب قلب أن بدلا بطريق العكس على الصفة التى بمرتنا من غيره . فإذا كان هذا المعلم المحبوب مختارا بالإناء والشعقة ، بمعنى ذلك أننا كنا في أشد الحاجة إلى الإناء والشعقة ، وأن افتقارنا إليهما في المدرسة كان علة شقائنا بها ! .. ومن هنا منتقل إلى بحث مسألة قوية الصلة بهذه : هل كانت علاقتنا بالزملاء وبوالدينا تصطبغ بضيق الصدر والقسوة أم لا ؟!

وطبعي أن عقلنا الواعى سيكون أقرب إلى تزويدنا بدكريات سارة في هذا الصدد ، لسبب بسيط جدا هو أن

الذكريات السارة لا تحضغ لعامل الكبت . ولكن علينا أن نقاوم هذه العتبة وتركز إراقتنا لمحاولة تذكر الأمور غير المستحبة ، بل المؤلة ! .. ثم نرسل هذه الذكريات النقبضة بعضها ببعض ونحللها ونحل آثارها فينا . .. على أن ندون هذه الأمور ، ونعود إلى المحاولة يوما بعد يوم ، مع تكرار السجيل . .. فإن ذلك من شأنه أن ينشط ذاكرتنا ويستدر المكوت فيها استدرارا لم يكن محظر لنا على بال ، فلا تلبث حذور العتدة النفسية وعلتها المكوتة أن تتضح لنا . .

كيف « نروض » خجلنا ؟

ومتى اكتشفنا العلة الأصلية للخجل صار علينا بعد ذلك أن نخردها مما نسج حولها من تهاويل الآلام والمخاوف والمذلة ، وأن نرئها وزبا صحيحا بالقياس إلى حياتنا في مجموعها . .. ومؤدى ذلك الوزن أن نقدر أنفسنا تقديرا دقيقا ، أى ندخل في اعتبارنا مرائنا ومواهنا ، كما ندخل في اعتبارنا عيوبنا ونقط الضعف فينا . .!

وبحب أيضا ألا ننسى أن الخجل المفرط قد لا يكون سببه عقدة قديمة ذات حضور في العقل الباطن . فقد يكون سبب هذا الخجل المفرط هو الافتقار إلى فرص لمقابلة الناس ، وعلاج ذلك هو التحامل على أنفسنا وحلق مناسبات لمقابلة عدد معقول من الناس بحيث نكتسب السرار على المقابلة والحديث معهم .

ولعل العصر الحديث يساعد كثيرا على ملق هذه المناسبات ، بل لعله يقطوع بخلفه لسبب - سيبدو على دور

العبادة خطوة أولية نحسو المران على مخالطة الناس والاشتراك معهم في عمل من أعمال الجماعة . يضاف إلى ذلك الاشتراك في البدوات الثقافية والأتنية الرياضية والمنظمات الاجتماعية والسياسية . من ذلك كله مما يتيح لنا التعرف إلى الناس بأقل مجهود نتكلمه من أعصابنا ، في محاولتنا ترويض خجلنا !

والمهم ألا نهتم لمثلنا أو شعورنا بالنقص في المحاولات الأولى . بل نمض في التجربة ، موطين النفس على أنه من المحتمل جدا أن تصادفنا بضع عقبات على صورة صد أو إعراض أو نفور من جانب بعض أعضاء هذه الهئات والمجموعات ، ولكن حريو على كل حال أن نكتشف في هذه الجماعات أشخاصا يلد لنا أن نعرفهم ، لأنهم يشتركون معنا في اهتماماتنا ، ولا شك أن هؤلاء سيرحبون صداقتنا . وهكذا نتقدم ببطء — ولكن في ثقة وثبات — نحو الائتلاف بالناس والأنس بصحبهم .

وقد يكون سبب الخجل أحيانا أن يكون لدى الشخص عيب جسماني ظاهر أو عاهة تحمله يعتقد أنه أقل من سائر الناس ، وموضع نفورهم . . . ومثل هذا الشخص يجب أن يعلم علم اليقين أن الناس لا يكثرئون في العائب بعاهاته ما لم يتطوع هو لنفت نظرهم إليها . . . يضاف إلى ذلك أنه ما من شخص ، مهما كانت عيوبه الجسمية ، إلا وفيه بزية تحبب الناس فيه لو أنه استطاع إبرازها بحيث تكون موضع تقديرهم . . . وعندئذ نعم بما ينعم به سائر البشر من

الصداقة والمودة وحسن المعاشرة ، حتى لينسى عاهته كما ينساها الناس !

كن متفائلا . . !

فالقاعدة الذهبية في معاشرة الناس هي أن راحنا مع أنفسنا شرط أساسي لراحتنا في صحة الناس . . . لذلك يجب أن نحمل من بقط صعب عواجل لنساء شخصنا ، لا عواجل لهدمها . . فلا نقر في أنفسنا أن الحياة قاسية شاقة ثم نكتفى بالكآبة والحمول ، كلا ! بل يجب أن نروض أنفسنا على استخراخ اللذة من المسرات البسيطة التي متاح للجميع الناس . كي نشعر بالتعويض عن متاعنا في الحياة . مقصو رى يقول أن سلوكنا في الحية ينبغي أن يتسم بالشجاعة والتفائل . .

والمشاهد المؤلم أن من يرى الحياة سوداء اللون تسود الحياة في وجهه فعلا ، ومن يتوقع منها البلاء تكون بلاء عليه فعلا ، والنفسر المستمر ينتهي بخادل مزمن يباعد سنا وبين السعادة ، لأننا سنحطى في تأويل ما يسبح من الخير والمودة : فإذا تودد إلينا شخص أو أظهر العطف حملنا ذلك منه على محمل العطف والتنازل والتفضل . . . وإذا تحمس بعصم في القول أو أربع صوته في الماتشة حملنا ذلك منه على معنى الإيذاء والذراية . . الخ .

فالمحول إذن على التفائل ، وسى مدى قدرتنا على أن ندخل في ذهننا اليقين بأنه مهما كانت عيوبنا سنا عدل

لتقدير الناس ، بحيث نستبعد جنوحهم إلى الإساءة إلينا طواعية ولغير سبب قوي جدا .!

أما إذا اعتقدت العكس فانا سنتحري تجنب الناس . وليس يمنع من نشوء هذه العقيدة أن نكون من أهل الإختيار . بل إنه يحدث للكثير من المقارين الشاعرين بامتيازهم أن يمتقدوا في الناس سوء التقدير لوأهيههم ، ولا سيما إذا اتسمت محاولاتهم الأولى في محالطة الناس وكسب تقديرهم بالفشل . ومثلهم في ذلك كمثل الممثل أو الموسيقي البائع الذي يأنس من الجمهور سوء التقدير لأول وهله فيأبى أن يؤدي دوره أباه بعد ذلك !

وغير نادر في ذلك الفريق من أصحاب المواهب أن يسئلوا من النقيض إلى النقيض : ماذا لم يكونوا محور التقدير الكامل منذ البداية انتقلوا بسرعه إلى النقيض ، عيسحبون من الميدان نهائيا .! ويقلب أن يكون هذا ناجما عن عله في الترسه الأولى ، فإن تجاربنا في الطفولة مفروضة فيها أن نعلما كيف نتقل الحقيقة المره . . ونوطن انفسنا على أن الآخرين لهم حق مثل حقنا في الظفر باهتمام الناس ، وإذنا لا يمكن أن نكون محور اهتمام الناس كله ، وفي كل وقت .!

فالمسلك الصحيح يفرض على صاحبه الا يتعلق بالمستحيل ، وأن يعلم أن كل شخص معرض للفشل . وأن المساعدة في الحياة ليست مرهونة بالشهرة أو المكانه الاجتماعية التي تفوق المألوف .! . ولعل أكثر الناس استهتاما بالحياة هم أولئك الذين ارتاحت نفوسهم إلى الواقع ، وهم لا يروون في

انفسهم أكثر مما يرى منهم الناس .! . ولكن ما كل إنسان يستطيع هذا ، ولذلك نرى معظم الشقاء ناجما عن لهفتنا على تجنب النقد ، ولهفتنا على ارضاء الناس وكسب رضاهم أو كسب إعجابهم وتقديرهم . مكانب عبيد لكل من نعلق على رضاهم أهمية كبرى .! . في حين أنه حسنا من رضا الناس أن نحاول انصاتهم والترفق بهم ، ولكن رأيهم بعد ذلك فينا ما يكون .! . فغالبا أن يشغل الناس ذات انفسهم عن انتقادنا ، وأما إعجابهم بنا فأمر متروك للظروف . . فليكن هدفنا أن يقبلنا الناس قبولاً عاديا ، وأن نكون حراً من المجموع ، مطمئنين إلى أن التقدير والاحترام سيسعون إلينا حين يأتي الأوان . .

حكمة الحياة .!

ولا بأس في أن أروي هنا ما ذكرته سيدة عجور لصحفي راح يتحدث إليها في يوم عيد ميلادها المئوي ، وقد راقه . بل راعه ! . ما تتحلى به من ذكاء خارق وشباط واهتمام عريب بمشاكل اليوم ، مما لا ينتظر من « بنت الامل » . . قالت : . . لاشك عدي في أن الناس يوسعهم أن يعيشوا ضعف أعمارهم الحالية لو أنهم راضوا أنفسهم على عدم الاهتمام والاعتماد لكل صغيرة وكبرة . . فانك إذا جلست إلى حائتي ونظرت معي الآن من نافذتي لأدهشك ما ملاحظة من إسراع الناس في عدوهم ورواحهم ، وهم مكرويون ، حتى ما يروون ما يقع تحت أنظارهم من ألوان الحياة . . .! . ولو أنك صبرت كما صبرت أنا ، لأراك . . .! . تقسمها بنفسها في الوقت المناسب . . .! .

معلى الخجول أن يحاطب نفسه باستمرار ، مكررا أن محدثه إنسان مثله ، وليس أسدا سيأكله لقمة مسافئة . . . ومن ثم ملا داعى للتوحيش والحواف منه . . ثم يجتهد فى التمسك بشكل طبيعى ، ذلك أن التمسك الطبيعى هو مفتاح الحركة الطبيعية الحرة فى الجسم كله . . . ثم يحاول أن يصرف ذهنه عن التفكير فى نفسه ، إلى التفكير فى حديث محدثه أو محدثته . . !

ويزعم الأطباء أن ذا الجسم الصحيح حرى أن لا يحس بوجود أعضائه ، على عكس العليل أو من فى عضو من أعضائه ورم . . فالجسم المنظم يعمل ويؤدى وظيفته دون أن يحس إلى تفكير من عقلنا الواعى . كذلك الصحة النفسية ، إذا كانت على ما يرام ، تمت أمورنا وصلاتنا مع الناس بدون أن نحسح إلى تفكير واع من جانبنا ، وبدون أن نحس بالموقف إطلاقا . . . وأما إذا كانت لنا عادات قسحة أثناء الكلام أو الحركة ، فيحس أن تراقبها كي نكف عنها ، ولكن بدون قلق ، لأن القلق والتفكير فيما عسى أن يقوله الناس ، أو ماذا عساهم قد قالوا فعلا ، لا يمكن أن يساعدنا على حل الإشكال . .

وأما إذا كنت تشكو من ضعف فى القدرة على التعبير ، فخير ما تصنعه أن تقرا بصوت عال كل يوم فى البيت نصف ساعة ، وأن تتجنب استعمال الجمل الطويلة المعقدة فى حديثك . . واعلم أنه فى استطاعتك أن تكسب سمعة اجتماعية طيبة دون أن تكون محدث بارع . . ولعل هذا يكون « مستحبا » بارعا ، فالناس قد يحبون من يجيدون التمسك

والقعود من أجلها لا يحدث فى حلها عنيلا . . ومعلب أن يكون ما اصطورتنا له دائما لا يساوى كل هذا العناء الذى عنينا أنفسنا به !

والحق أن هذه السببه على صواب : مانه مما يقتصر الأعمار أن ترهق اعصاب بكثرة التوتر ، وتلبنا بسرعة النبض ، بسبب لعصب أو القلق . مدع القلق مضحك لك الحياة ، ونطول . . بطول مادي ، وستعش أيضا . . لأن صلاتنا بالناس لا يفسدها شيء كم يفسدها القلق والتوتر . . !

واحبب زيارتنا لطبيب الاسنان خير مثل يضرب لمواجهة الشدائد : ماننا بروض امسنا عندما بشرع الطب فى إعداد خرس ماسد للحشو على أن نحتمل صدمات الألم ، مستهبت بجائى المقعد ، وتتصلب اعصابنا . . كذلك الصلات الاجتماعية بالناسه للشخص الخجول : خرس يحس أن يحش ، ويجب أن يحتل الألم منه بشحاعة . . . ولو اتسنا عرينا شخصا خجولا من ثيابه أثناء حديثه مع شخص غريب عنه - ولا سيما من الجنس الآخر - لرأياه متصلب العضلات كأنه جالس على كرسي طبيب الاسنان ! وبقلب اياه أن يجد صعوبة فى تركيز ذهنه مما يقوله له محدثه ، أو محدثته ، لفرط انشغاله بمغالبة توتر اعصابه . . !

كيف تقهر الخجل أثناء الحديث . .

فأما هذا التوتر العضلى والتصلب فى الاعضاء ، بعلاجه إنما يكون عن طريق المحاولة والمجهود المتعمد والمران . .

إلى كلامهم - ولا سيما الفارغ منه ! - أكثر مما يحبون ذوى
الالسن والمنطق . .

جرائر الخجل

وإذا كان الارتباك والتوتر والبلغم والتعثر من مضاعفات
الخجل التى نعالى منها سنا وبين أنفسنا حين نتصل بالناس،
فثبتت جرائر للخجل تصدر مما فى حق النفس أنفسهم، إذ
تتجلبب اللياقة فى معاملتهم بسبب عقده انحلال لديها . وأهم
هذه الجرائر، التى قد تصبغ منها أكثر من واحد فى الشخص
الواحد هى :

أولا : الخلط بين المعارف السطحيين العائرين والأصدقاء
الحميمين، فالمرضى سالحجل لا يعرفون الحد بين المريقين،
ويعاملونهما معاملة سواء، فيها رفع للتكليف . .

ثانيا : وهم عادة يوقعون من كل شخص يلقون به أن
يحبهم ويفتقد عليهم الوفاء والرعاية ويهتم بأمرهم كافة . .

ثالثا : وإذا أصيبهم مكروه أو شعروا بلم يمسسنى أو
شقوة، توقعوا من جميع الناس أن يشاركوهم آلامهم
وشقاها .

رابعا : وإذا سعدوا بشئ خيل إليهم أن كل إنسان يجمع
أن يظفر لسعادتهم مرحا، فلا شغل للناس إلا ما يشغلهم،
إن خيرا وإن شرا . .

وهذه كلها طبعها أخطاء فى السلوك قد نجم عنها منافع
نفسية ومادة للشخص . . فانه حرى أن يقدم حين يجد

من الناس خلاف ما يتوقع، فيحمل ذلك على محبل الفتور أو
الكراهية له والتصغير من شأنه . . وإذا تويل بشئ من
التحفظ من برفع معهم التكليف بلا تبصر، « سمعت عليه
نفسه » وتالم لذلك الما شديدا، وربما حقد على الشخص
حقدا ظالما، لانه اول يحفظه تأويلا غير صحيح . .

والغالب على الشخص الخجول أن يعيش من جراء هذه
« الفصول » أو « الصدمات » قريسة للقلق، والتوتر
العصبى، والآلام النفسية المبرحة، التى لا تقاس أبدا
بالتوانه التى سببتها . . ذلك أنه يعاقب أهمية كبرى على
الحركات والانماط التى تصدر عن الناس، ومعظم الناس
سطحى فى تفكيره، غير دقيق فى إشارته وتعبيره . . .

وعلاج ذلك طبعاً أن نضع نصب أعيننا أبدا جزء من ملايين
من نظراتنا فى هذا العالم، وأنه لا داعى مطلقاً لأن يهتم
الناس بنا اهتماما يفوق تلك النسبة، وهى نسبة واحد إلى
عدة ملايين ! اللهم إلا أن يكونوا أصدقاءنا الحميمين أو أهلنا
الأقربين .

وهنا « مرتبط العرس » كما يقولون . فالممول على التمييز
بين الأصدقاء الحميمين والأهل الأقربين وبين المعارف
السطحيين . . . بحيث ينبغى أن لا نتوقع من المعارف أو
الغريباء أن يشعروا بنا انشغالا حقيقيا أو يحسوا تحونا
إحساسا عيقا بمعنى الكلمة . فقد يلعب الواحد منهم معنا
الفرد أو الكونكان، وقد يتحدث إلينا فى سر . . أو يبذل
معنا « آخر نكتة » . . ولكنه لا يزيده على ذلك كثيرا،

ولا تشغل باله إذ عينا عن وجهه ، لأننا لسنا « عاملا معالا »
 في حياته الوجدانية ، ما لم نشأ بيننا وبينه صلة عاطفية
 قوامها اهتمام مشترك شيء ما . . . أو تعاطف سببه لامتزاج
 أو تشابه في الرأي أو المراح يجاوز السطح إلى الأعماق . . .
 فلا يلومن المرء إلا نفسه إذا توقع من هؤلاء أكثر مما يجب ،
 كما لا يلومن إلا نفسه إذا انتظر الحنان واستدليل من « الثدى
 الصناعى » الذى يجود إذا ملأته باللبي ، ويبخل إذا تركته
 لحاله . . . !

فالعالم على الناس أن يهتوتوا مودتهم الظاهرة في
 الرحاء ، ولا يعوا أنفسهم بنا في الشدة ، عملا بالمثل الذى
 يقول « اضحك تصحك معك الفنى » ، والى تركك تنكى
 وحده ! » . . . وهذا طبيعى وإن بدا قاسيا ، ذلك أن الناس
 مستعدون للاهتمام بنا ومشاركتنا فيما لا يكفهم مشقة نفسية
 أو مجهودا عاطفيا أو مديا . . . أما إذا احتاج الأمر إلى هذا
 المجهود ، فهنا يضمنون ، والغرم علينا إذا توقعنا منهم غير
 ذلك ، فكل امرئ حسب متاعه وشغل نفسه . فحب أن
 نوطن أنفسنا على أن نكون عبئا ثقيلا على الناس ، ملا مكلفهم
 بمعرفتنا أو صحبتنا إلى نفسانيا أو مجهودا وجدانيا ،
 وإلا نعروا بنا حمايه لانفسهم من هذا العبء ! - وهم محقون ،
 ونحن المخطئون . ولم ننج من السخرية موق هذا وذاك ،
 فالغرض أن يحتفظ بهما عينا لانفسنا ولدى معنيهم امرأ
 ولا نكشف عوراتنا العسية لن لا يهتم بها . . . ذلك أقرب إلى
 النطق وأصون لكرامتنا .

أما إذا وجدنا شخصا ، ولو كانت معرفتنا به عبر عميقة ،
 يهيم أن يكشف لنا عن متاعه ، فيجب علينا أن نكون من الكرم
 بحيث نصغى له ونظهر له الاهتمام ، حتى لا تجرح كبريائه إذا
 كان خجولا . . . من انتظار الأقل من الناس ، ومع الأكثر ،
 آية السلوك الراقى والخلق الكريم . . . ماذا وجدت بعد ذلك
 إقبالا ومشاركة قلبية من حولك ، قامت الراح دور أن
 تتعرض للخسارة بانتظار ما قد لا يحدث . . . كما أن إضفاء
 المودة والعطف على من حولك يزيد من حبه لك ويحلمهم على
 التعلق بك . . .

والخلاصة أن السعادة يجب ألا تتعلق بعلاقتنا بالناس ،
 لأن قلوب الناس خواء لا يعتمد عليها . وإنما يجب أن تتعلق
 سمادتنا بذات أنفسنا إلى أقصى حد . ومن هنا جاءت أهمية
 الهوايات الخاصة والتعلق بالهنس ، وحب المهنة التى
 نزاولها ، فإن ذلك يجعلنا لا نهتم بآراء الناس فيما اهتماما
 مبالغا فيه يجر علينا الويل . . . ونكون أكثر استعدادا لنقل
 الناس على علاقتهم بغير تعاسة ولا تحصر .

القاعة كثر !

ومن أكبر الأخطاء أن يقارن الإنسان نفسه بمن هم أسعد
 منه حالا وأكثر توفيقا في صلاتهم الاجتماعية ، مهم موضع
 الإعجاب ومحط الانتظار ومحور الانساق . . . فذلك لا يؤدي إلا
 إلى الحسد والقلق ، وخير من هذا وأولى أن نتبع مع
 المتبعين بسحر حديث مثل هذا الشخص الجذاب . . . مع
 محاولة دراسته واستخراج أسرار قوته وجاذبته الخاصة ،
 عسى أن يفيدنا ذلك في المستقبل . . .

ولكن حذار من التقليد ، مثل حذرنا من الحسد والعرة التي تفسد علينا حياتنا . لا التقليد دائما مدعاة لمسح الشخصية ، والكلف والسخرية . . . وإيا الحير كل الخير في الاقتباس والتفكير مما يلائم طبيعتنا الخاصة . . . ربما كانت للشخص الذي نمطه صحت ليست لنا أصلا ، مثل الوسامة المفرطة ، أو الطول انمارع أو حمة الدم . . فعلينا أن نتقبل نصيبنا من هذه أزمات بصدر رحب ، وأن نقنع بما قسم لنا — ولا يكلف الله عبدا إلا وسعها — عاين أن الطبيعة حبت كل إنسان بصفة خاصة ، فعلينا أن نفتش عن ميزاننا ونبررها في غير اقتحام أو ابتذال ، وعلى الله الاتكال !

كذلك إذا حدثت من شخص فعلة أو « فصل بارد » ، كان علينا ألا نقوم ونعقد وعلى الدم في عروقنا غيظا . . . بل الأولى أن نطمس له العذر . والغالب أننا إذا وضعنا أنفسنا في مكانه مسوف نجد له عذرا ونحس لنوم . . . لما إذا لم نجد له عذرا ، فالخير كل الخير في إهماله ، باعتباره شخصا ساقط المروءة . .

وقد يجد الشخص صعوبة في أخذ نفسه بهذه القواعد في بداية الأمر ، غير أن المثابرة والتمرين كميلين موصوله إلى النتيجة المطلوبة ، يزيل منه هذا الخلل المفرط وما يحته عليه من المقامع التي ترحم كلها إلى « توافه » في واقع الأمر . .

الخلل الجنسي !

ومن الناس من يشعرون بالراحة مع أهل جنسهم ، إيا مع الجنس الآخر فهم خحولون جدا ، وهذا راجع إلى عوامل

جسدية لا شعورية يغلب أن تكون عقدة نقص . فمثلا إذا كانت طفولة الفتاة قد انقضت بين نساء متشدات عرس في نفسها الغضة العارق الجنسي بينها وبين أخوتها الذكور ووالدها . . . فانها تنشأ وتشعب شديدة الارتباك في معاملة الرجال ، بناء على خوف مكتوت منهم ! . . . ما لارجح أن سلوكنا الجنسي بعد البلوغ متوقف على جو طفولتنا في البيت إلى حد كبير جدا ، فالرجل الذي كانت له في طفولته أم مستبدة حرة أن يثأ على كراهة النساء أو تجنبهن والخلل بينهما . فنجب أن نبحث عن العلة بين ذكريات طفولتنا ، فإن ذلك من شأنه أن يساعدنا على معالجة سلوكنا الشاذ والوصول إلى الحالة السوية بسهولة .

حاجتنا إلى الأصحاء !

ولا ينبغي أن نغفل عاملها في علاج الخلل المفرط وعقدته ، هو وجود صديق حميم مخلص نقضى إليه بمتاعنا ، كي يهونها علينا ! . .

وليس معنى هذا طبعها أن نجعل من صديقنا هذا المسكين « آلة استقبال » نذبح عليها ليل نهار شكواؤنا واصطراباتنا النفسية باستمرار . . فالصديق ليس ، « حائط المبكى » ، بل هو حرة أن يضح ويمل هذه المهمة المزعجة للأعصاب . وإيا أهمية الصديق أن يسرى عنه لحظات الضيق الشديد التي يلتبس علينا حلها بأنفسنا . .

وللصداقة شرط يجب أن نفهض به كاملا ، وثبت سرمد هو بذل المودة والعطف بمثل السخاء الذي ستظهرهما به من

صديقنا ، وأن نواسيه كما نواسينا في أي وقت . ويجب كذلك أن نوطئ النفس على الإيثار ، بحيث نشرب صفحا من كل ما قد يكون يبيضا من حلاطات في الرأي أو المزاج ، وأن نتحمل من الصديق ما لا يخلو منه إنسان من صيق الصدر وسرعة الغضب .

وليس هناك طريقه معينة للحصول على صداقة أي شخص ، صداقه حميمه مخلصه . مثل كل شئ نحن نلزمه في هذا الشأن . وإبنا الموعول طمعا على قدرتنا على إبراز مزاياها الشخصية في حالة الصداقة ، وإظهار أننا نلزمه للمودة والمشاركة الوجدانية في غير اثره أو أساسه ، فذلك مما يغري الناس بالركون إلينا ، وبالإسعاد لأن مركب إيهام ... كما ينبغي أن نبدي لمن يروقون لنا أننا على استعداد لمصادقتهم ، كي نفتح لهم الباب ، فإذا كانت رغبتهم متبادله مع رغبتنا تقدمنا في طريق المودة ، وأمكن قيام الصداقة المطلوبة التي يبرهن الزمن والتجربة على مقدار صلاحيتها .

الصداقة والجنس !

والأغلب في الصداقة أن تكون بين شخصين من جنس واحد ... وإن كانت هناك طبعاً صداقات مختلطة بين الجنسين ... بيد أنها نادرة جداً ، لأن جذور الجنس في النفس لا تساعد على قيام « الصداقة الإملاطونية » جزافاً ، بل لابد من توفر النضج العاطفي والاتزان التام في الطرفين حتى لا يفلت الزمام ... فنصبح على « إملاطون » السلام !

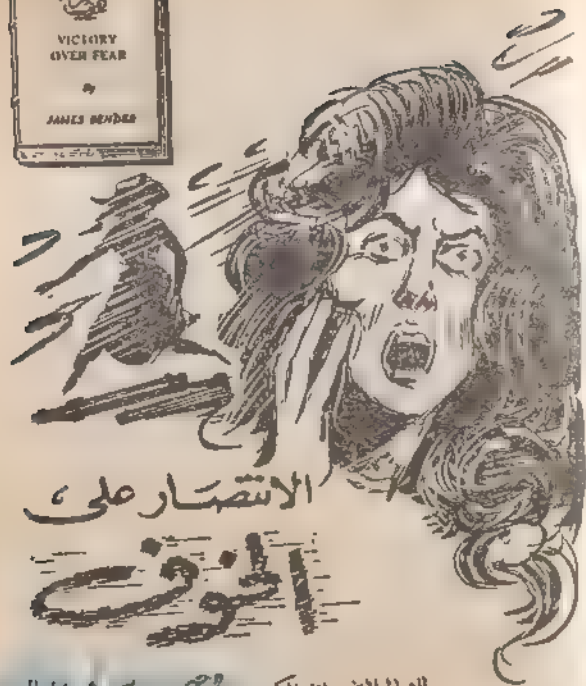
ومهما يكن من أمر الصداقة بين الجنسين المختلفين ، فهي لا تقوم مرثه صافية إلا على الأساس الذي تقوم عليه الصداقة بين أفراد الجنس الواحد . وهذا الأساس هو وجود قسطن مشترك من الأفكار والأمزجة والأخلاق والاهتمامات الشخصية بين الطرفين ... وحتى الاهتمامات الفردية ، مثل القراءة ، من الأمور التي تساعد على قيام الصداقة ، لأن هواية الاطلاع تجعل العقول متقاربة .. وتفتح المجال للنقاش والتقدير المتبادل ، لأن المرء مجبول على تقدير من يتجهو في الحياة مثل وجهه ، وهو يشعر نحوهم بتنوع من القرابة العقلية أو العاصمية التي لا تقل عن قرابة اللحم والدم ! .. وعننى عن البيان أننا يجب ألا نتمرع في تخير الأصقاء ، بل يجب أن ندقق ونختبر قبل أن نضمي صداقتنا على أحد ، إذا أردت أن تكون الصداقة شيئاً باقياً متيناً يعتد عليه مع تقلب الظروف والأحوال ..

وأما أولئك الذين لا يهتمون في الحياة بشيء معين فلا يلومون إلا أنفسهم إذا أعورهم الصديق الحميم ! .. إذ ماذا يحمل الناس على حيناً إذا لم تكن لنا مزية معينة أو ذوق خاص أو لون محدد ؟ إن الناس لا يسبقون شيئاً لا طعم له ولا رائحة ولا لون ، إلا أن يكون الماء ، أو الهواء .. بل أن أهذين طعماً ولوناً ، وإلا لما أحببناهما ! ..

ويلاحظ بهذه المناسبة أن صفة « الرجال » من صداقات النساء ، لأن الفيرة عامل لا ينقص من حماة الأنثى ،

ولذلك يندر أن تحب امرأة امرأة أجمل منها واحظى بإعجاب الرجال ... فإذا كانت الصداقة للرجل تقوى ثقته بنفسه عن طريق المودة والتشجيع ، فهي تقوى ثقة المرأة بنفسها عن طريق الشعور بالتموق على صديقتها ...

ويعض الظن إثم على كل حال (١٥٠٥)



الاستثمار على

الخوف

للعالم النفساني الكبير "جيمس باندرا"

يصبر ويصليها ، لو انه وجد منها عزيمتها وتصميمها على الجهد لنحلاص من الدين .. ولكنها في الواقع لم تسع إلى هذا الخلاص من ابوابه العلمية .. ولم تحاول أن يعيش في الحدود التي يمكنها منها دخلها ، بل كانت دائما تتحاور هذا الدخول في إسمائها .. كانت تشقق سلامة الإدراك وحسن التصرف في المال !

وسلامة الإدراك ليست مضمنا بين الناس . وإنما هي حاسة تمكن من الإدراك العم للأشياء وتؤدي إلى حسن التصرف فيها يتعلق بها ، وهي — بهذا الوصف — تدور بدرجة الوجود .. وكمن رجال بوانع ونساء بوهوات ، امتقدوا الإدراك السليم في شئون حياتهم الخاصة !

أعرف مديرا لقسم المسعات بشركة كبرى ، حرم من حسن الإدراك في الرواج ، حتى أنه طلق الروحة « لثنية » منذ عهد قريب ! .. وأعرف مائة حسناء ، ستصع أن يكون من أحمل الموديلات « للمساكين » ولكنها تسهر في المسليات والملاهي ست أو سبع ليل في الأسبوع ! .. كلما أتى صديقا من بهرة أنجارين ، يعمل جهد ونشاط ، « مكسب كثير » من المال ، ولكنه مع ذلك يعيش وأسرته عيشة بسيطة ، لأنه يمدد رزق أولاده في المراهنة على حيل السباق !

كل هؤلاء من خيرة الناس ، ولكن في تكوينهم خرقا مكفى لسده قبل من حسن الإدراك والتصرف .. ولعب الخوف عادة دورا جوهريا في حياة أولئك الذين حرموا من إدراكهم والإرشاد حسن التصرف .

مشكلة كل انسان ..

الخوف غريزه .. بل قوة طبيعية فطرت عليها نفوس البشر والحيوان على السواء ، حتى ليرى بعض العلماء أنها لازمة للمحافظة على النوع ..

ولكن الخوف إذا طغى فاستبد بالإنسان ، طبع حياته بالوجل .. والتردد .. والقلق .. والخجل .. والشعور بالنقص .. وكلها عوامل من شأنها أن تكبله بأغلال لا يستطيع معها المضي قدما نحو حياة ناجحة هائلة ..

وفي هذا الكتاب « الانتصار على الخوف » يعالج « جيمس بندر » — وهو من أقطاب علماء النفس في أمريكا ، ويشغل منصب مدير معهد العلاقات الإنسانية بنيويورك — هذا الموضوع الخطير بطريقته العلمية في آن واحد :

حاسة « تكتسب » !

كانت شابة مائنة ، شقراء — يتالق نجمها في سماء صالات برودواي الموسيقية — أن تقضى نحبها ، إذ أقدمت على تعاطي كمية كبيرة من الأقراص المنومة دمعها واحدة .. لأنها وجدت الدين متراكم حولها فتسد أبوابها كل منعد وحيلة ، ولم يخطر لها أن من الدائنين من كان مستعدا لـ

الخوف عدوى سريعة الانتشار !

ولعل منا من لا يرأى ويدكرون تلك القصة التي كانت في كتب المطالعة الاولى : قصة « الككوت » الذي راح يجري في الساحة معروعا وقد حار ان انساء تهبط لسطح على الأرض ، مما ان رأت بقية الدجاج جرعة حتى انطلقت بدورها نحث عن حمى وبلاذ .. وكل ما كان هناك لم يعد ان ورقة ذابلة هوت من إحدى الأشجار ممست نيل « الككوت » السريع الخوف !

بل لعل منا من لا يزال يذكر ذلك الحادث الذي اثار الذعر في أمريكا بأسرها منذ حوالي عشرين عاما .. إذ كان « اورسون ويلز » يقدم برنامجا إذاعيا ، مخطر له ان يخرج روايه « غرابة من المريح » . وهي قصة اساق فيها الروائي الإنجليزي « ه.ج. ويلز » وراء الخيال مرسوم صورة وهمه لما يحدث لو ان كوكب المريخ كان مأهولا ، وهبط سكانه ليفزوا الكرة الأرضية ! .. وانساق « ويلز » بدوره مع الخيال ، فأخرج الرواية في قالب واقعي ، وبدأها — دون مهيد يوحى بأنها قصة — بان اداع منا هبوط مخلوقات من السماء فجأة ، وشروعها في احتلال بعض المواقع ..

وجزع الكثير من الأمريكيين الذين كانوا ينصتون إلى البرنامج الإذاعي ، واستبد بهم الهلع .. هجروا المدن وانطلقوا إلى التلال وقد حمل كل منهم اقصى ما استطاع ان يحمله من متاع !

وكان مثلهم مثل تلك الفتاة العنائة ، و « الككوت »

المذعور .. تسلط عليهم الخوف مدفعهم إلى تصرفات طائشة حرقاء .. ولو أنهم حكموا الإدراك السليم ، لجنوا انفسهم هذا الهوس المزرى ..

العالم في حاجة إلى زعماء !

والمرضى بالوهم يعتقدون مسالمة الإدراك لما يتعلق بالصحة ، مهم كالمصابين بالأمراض النفسانية العصبية ، يركون قيادهم لوهم كي يدمع بهم إلى انقشوط .. والأمل الوحيد لهؤلاء الحائسين هو في ان يتعلموا كيف يمرضون الإدراك السليم ، مهم إذا مرنوا عليه انجلت عنهم المخاوف ..

ومن ثم فهم عادة في حاجة إلى شخص يحترمون رايه ، ويتقبلون حكمه ، ويرتاحون إليه ، فيقبعون توصيه لهم .. ومن أصلح الأشخاص لهذه المهمة ، الطبيب الانيس ، البشوش ، اللبق ، الذي يرى ان واجبه في أن يبرئ مريضه لا في ان يستبقه تحت رعايته أطول مما ينبغي .. ومن ثم فهو يعين المريض على الشفاء بأن يطمئنه ، ويهديء من هواجسه ، ويوقظ الإدراك السليم في نفسه ..

وأنا أومن عن يقين بأن أعظم وأروع الصفات التي تمتاز بها الطبيعة البشرية هي انها قابلة للنمو في كافة العصور .. ولولا ذلك لما تطورت المذنيات .. ولكن سر مقدرات الركود والخمول وعدم التقدم ، هو في ان الزعماء الذين يتقدمون للأخذ بيد البشرية ، لا يؤثرون البلاغة وموه الاتعاض الكسبيين لحث الناس على نهج الطريق الصحيح ..

عشرة ولاية ، لتعرف إليها اساكيد بانها غير مصابه بالسرطان .
 من هذه السيدة السى مبلغ الثلاثين من عمرها ، هجرت
 اولادها ثلاثة واحتفت حين استبد بهب الخوف اثر محض
 سبى خاطيء . وحى إليها بانها مصابه بالسرطان ! » .

ومع ان حال هذه السيدة يدعو للراء ولاشفاق . إلا اننا
 لا نملك إلا ان نقرر انها محرومة من الإدراك السليم ، وإلا
 لأدركت ان الفرار لن يحل مشكلتها ، لأن الخوف عاده أسرع
 منا جريا ، فكلما حبل إلينا اننا سبقناه ، الفيناه ماثلا أمامنا
 بتقدمنا . . ولو ان هذه المرأة لادت بالإدراك السليم ، لقال
 لها : « اثنتي واسمدي . . يجب ان يواجهى الحقائق . .

محى إذا كنت مصابة بالسرطان فعلا ، عاى عليك ان ننحى
 عن العلاج . . ثم . . من أدراك ؟ . . لعل الصيب اخطا ، ولعلك
 لست مريضة ، علم لا تعاودين الفحص مرة أو اثنتين أو ثلاثا
 على أيدي أطباء آخرين ؟ » .

جاءتني منذ أيام امرأة تشكو لى شقوتها . . فمنذ عام
 ونصف هربت زوجها ولما كن قد انقضى عى رواجها منه سنة
 شهور . . وأدركت من إجابتها على الأسئلة التى وجهتها إليها
 انها كانت تشتت فى الانانية كالاطفال ، وكانت تنهل أول
 منادى الحب . . فان الحب نمو بالعطاء ، وتكس بالآخذ
 . . نمو كلها حد المرء بعواطفه ، ونقل كلها طمع فى ان ينال
 مريدا من صاحبه . . فإذا لم يعن المحب إلا بارتضاء نفسه
 وعواطفه ، وإذا هو أفسح قلبه ليخز ، مستخدم والمقدمات ،
 فكيف يشفى أن يزدهر حبه ؟

فلتواجه الحقائق . .

ولعل أعقق ماساء فى حياتنا جميعا ، هى أننا دائما
 لا نرحب بانحيفه ولا نستجيب لها إذا واجهت . . ولو أن
 رئيس التحرير فى إحدى سور البشر فقد مصبه ، لأشاح عن
 أى منصب يعرض له طالما كان أقل درجة أو مربيا ، ولعاش
 حياته بثقت سجاد لماسى . حتى إذا كتهل ويجوز مرحلة
 النشاط ، يبر حماقه مصرمه . ونم على ما اصاع من مرض !
 ولو أن أى شخص من يعاون لحوف ، يقبل هذه الحصفه
 وآمن بأن فى مقدور ان سى فى نموسا حسن الإدراك وبعد
 النظر ، لنحل مشكلنا ابومه على خير وجه . . لو آهر
 مريسه الحوف بذلك ، لحطى بظمره هائه نقره من
 السعادة . .

فنحن نستطيع فى ابوتع ان نمى فى نموسنا حسن
 الإدراك . ولكن . . بو شلنا وأردنا وكمن آلام
 اسائس الذين كان الحوف الطائش شمل طموحهم ويعرمل
 تقدمهم ، وجدوا السبل إلى الطائسة والكسه . واصحت
 لهم اسباب تحمرهم على الجد فى الحياه ، لحد ايم آمنه
 بدعوة الإدراك السليم !

الخوف أسرع منا جريا ، فلا سبيل للفرار منه !

أمامى وأنا اكتب هذا الفصل من كتابى ، نسخه من صحيفه
 نيويورك يحمل صوره لامراه جميله ، وقد كتب موقها بحط
 عريض : « تهرب ، من شدة الخوف » . . وجاء تحتها :
 « مسز (.) التى نحث عنها سلطات البوليس فى أربع

قد تحاول روحه شانه أن بعد بعض "اسكوت" لزوجها ،
فإذا هي تنزكه في العرس ربما أطول مما ينبغي ، فيعدو أسمر
اللون .. وهنا يحدث أحد أمرين : إما أن يكون الروح الله ،
فينقذ السكوت ويحب صبيحه .. أو أن يكون على قدر
من سلامه الإدراك ، فيطرد السكوت ، وبهلا قلب أنزوجه
الواجبه انتباهي ، ويشجعها على أن تكون في "مسرة النفس
أكثر اتقانا وإجادة ..

فن السؤال ينمي حسن الإدراك

وقد يعود الروح إلى دره يحل إلى زوجته من حصوله
على علاوة .. ومع أن هذه العلاوة ربما تكون جدت أقل مما
كان يطعم ، إلا أن مجرد طهره به يدخل الفرحة إلى نفسه ..
وهنا - أيضا - يحدث أحد أمرين : إما أن يكون الروح
حمقاء نفسه من قيمة العلاوة وتحط من قدرها .. أو أن يكون
عاقلة ، متبدى انتباهها بها ، مهما كانت ضئيلة .. متى الأمر
ادعى لتشجيع أرجل وحفره على مصاعبه جهوده في عمله ؟
إن الإدراك اسليم يجيب عن هذا سؤال قائلا : " ناسي
الأمرين بالطبع ! " .

ولكن ، هل من وسيلة بسيطة لتنمية الإدراك "اسليم ؟

أجل .. هناك طريقه تتمثل فيما نسميه " فن السؤال "
.. مثال ذلك أن عاملًا في (ميجورسي) ، أرهقه تدبير المعيش
لأسرته المؤلفة منه ومن زوجته وطفليهما ، مسأل زوجته :
" كيف نستطيع أن نغالب ارتفاع الأسعار يا حبيبتي ؟ " ..

ماقترحت من حاجتها أن تعمل على الحد من النفقات التي
تصرف على الطعام .. ولكن هذا الحل لم يكن كفيًا ، ماأنهى
الروح إلى بيع آلة ثمينه للتصوير كان يملكها ، واشترى ثلاجه
لحفظ الأطعمة .. وعمد إلى وضع برنامج لاتباع المقادير
اللازمة من الطعام للأسبوع كله ، معتمدا على الثلاجه ، ماذا
الاتباع بالجملة يحدث وعما في أثناء الطعام ، ووفرا في
كمياته ..

وهكذا ساعده السؤال الذي وجهه إلى زوجته ، على
تنشيط ذهنه والعتور على مخرج ملائم ..

الخوف من الخطأ يعرقل البت في الأمور

وإذا كنت من صرعى الخوف ، فمن المرجح أنك لا ترضى
عن الكثير من قراراتك ، وهذا التردد من شأنه أن يفسد الكثير
منها ، فلا تلت أن تعتقد ثقك في قدرتك على الحكم وأنت ،
وتصبح متشائما ، فيحيل إليك أن الخط بعاندك ويعاندك ..
وكلما أوغلت في الارساب في مقدرتك ، اردادت محاولتك !

ولكن .. لا تدع هذا يشط عزمك وهمك .. من الإدراك
الصحيح كفييل بأن ينفذك لو شئت أن تجربه !

اعتدت في الحلقات الدراسية التي أعفدها لتلاميذي من
أعضاء الهيئات الإدارية في الشركات ، أن أسألهم عما يعانون
منه سلامه القرارات التي يصدرونها في أعمالهم .. وقد لاحظت
أنهم يجمعون على أن هذه السلامة ترجع إلى جوده حصه ،
وإنما مردها حسن الإدراك فحسب .. وسبح من أسلم في

هذا المحال أنهم يستوعبون من مقدرتهم على وضع القرارات الصحيحة إنما تولدت عن تجربته والخط .. فهم يسمعون بغاية جهدهم ، ويدعون النتائج للمقادير دون أن يحملوا أنفسهم معها ، عما ينبغي لهم أن مزعزعوا صحيحهم بالكثير في أمور خرجت من نطاق قدرتهم وعدا زمامها في قبضه غوى فوق حدودهم .. وما ينبغي أن يشيعوا بطلهم ويرددتهم روح الاضطراب والارتباك بين من يعملون تحت امرتهم ..

وهم بشيرون بخمس خطوات لمن يشاء أن يحقق من احاد القرارات الصحيحة :

الخطوة الأولى: جمع الحقائق أولا ، وليس لدوى المسؤولية أن يعتمدوا على مجرد التحيينات ، وأن يعرفوا الأموال المستثمرة في المشروعات التي يدبرونها بصناع مسحة الحكم على الأمور على سوء تقديرات غير مدعومة بأساسد ، وإياهم يستعيبون بالخبراء ، ومعامل التجارب والاحداث ، واحصاءات السوق ، والهيئات المختصة ..

ومن هذا نستطيع أن نقبض لأسسنا مبدا لحل مشكلاتنا ومخاوفنا الشخصيه ، فعلنا أولا أن نجمع الحقائق إذا شئنا أن نستعمل ما لدينا من وقت أو جهد . ومن الجهات التي يمكن أن ننسعين بها في هذا الصدد ، المكتبات العامة ، التي نحدد بين جذراتها مراجع نسترشد بها في كل موضوع .

الخطوة الثانية : سحري الوقت الملائم لكل قرار .. إذ ينبغي أن نكون سريع البت في الحالات التي لا بد منها من

مرارات عاجلة .. وأن ينبغي ، ما وسعك العنفة ، بتحري الدقة في القرارات الهامة . من هذه نصائح إلى شيء من الانباه والتريث .

وقياسا على ذلك — في الشئون الشخصية — لو امرسنا أن شخصنا فقد عمله ، قال عليه أن يقرر من موره البحث عن عمل آخر ، إذ لاند له من أن يورم القوت لنفسه .. أما إذا كان باعنا في عمله ، ولكنه غير راض عن المصعب الذي يشغله ، فليس له أن يستقل مورا . بل عليه أن يبدل جيدا مصاعفا لحسين حاله ، أو أن يصع خططا دقيقة مدروسة للبحث عن عمل آخر ..

ماذا قرر البحث عن عمل آخر ، ما عليه أن يحدد أولا نوع العمل الذي يشعر انه اقدر على النجاح فيه .. وأن يبنى هذا التحديد على أساس من الوقائع والحقائق .. ماذا ما اطمن ، شرع في رسم الخطط للحصول على العمل .. مع الحرص على التثبت بالمصعب الذي يشغله ريلها تنهى حطته إلى النجاح .. وهذا هو منطق الإدراك السليم !

وفي أمريكا ، دلت الإحصاءات على أن ٨٤ في المائة من السكان لا يستعدون سوى ٣٠ في المائة من كفاءاتهم ومقدرتهم .. أما الستة عشر في المائة الذين مستعدون كفاءاتهم وإدراكهم السليم لكيل استعمال ، فهم أقل أهل أمريكا تعرضا للخوف !

والخطوة الثالثة : لا ينبغي إرجاء عمل اليوم ، إلى الغد ، ومما يؤثر عن « بنجامين فرانكلين » أنه كان يقول : «

نوعاً من السرقة ، لأنه يحرم المرء من الفرص . وهذا صحيح بالنسبة للخوف صحته بالنسبة للعمل ، ماذا أنت تركت الخوف يمضي في حال سبيله دون أن تقضي عليه ، بما واستفحل . .

لذلك يحسن أن تبدأ فوراً باختلاي عن عادة التسويف إن كنت مصاباً بها . . وأحرص - في البداية - على البت في صفار الأمور دون إرجاء ، ملائمتك أن تحد البت في الكبر منها يواتيك بسهولة . .

والخطوة الرابعة : تعرف حكم الغير واحترمه ، إذا ما ترددت في الاطمئنان إلى صحة قراراتك . فمن آراء الغير تشدد قدرتك على انتقاد قراراتك ، وعلى تحرى الصواب . وقديماً قيل أن رائد حير من رأى ، ومن ثم تعارض آراءك على أصدقائك وزملائك لتتعرف حكمهم عليها . .

وإنى لأعرف رئيساً لتحرير إحدى المجلات ، اعتاد أن يعد نماذج لعلاقات أعداد مجلته ، ثم يعرضها على خادمه وساعي مكتبه وبعض أصدقائه . . وهو يهمهم اهتماماً خاصاً بآراء الخادم والساعي .

والخطوة الخامسة : اصغ إلى كل هائف سمعت في نفسك . . قرا أحد صناعات العدسات البصرية مرة مقالا عن الجمع بين نوعين مختلفين من النظارات ، ماذا بهلستك ، في نفسه يسأله : لم لا تجمع بين مقاسين مختلفين من العدسات في عدسة واحدة ؟

وتملكته الفكرة حتى أنه باع في سعيه لتحقيقها كل ما كان يملك . . . وكان أصدقائه يشفقون عليه ، وروجه تظمه قد جن . . ولكنه انتهى إلى نجاح في إنجاح العدسات المردوجه أعزى الكثيرين على أن يسارعوا إلى إهداده بالمال ليبدأ مشروعا كبيرا آثرى من ورائه !

والزعماء والقادة في مختلف بواحي النشاط يصعون إلى ما سمعت في أعماقهم من هواتف . . وليس معنى ذلك أنهم ينساقون وراءها أسبقا أعمى ، وإنما هم يقدرونها بمقاييس تحاربهم ، ويجمعون الحقائق ، ويتحررون الوقت المناسب - متنادين بالإرجاء والتسويف إذا ما حال - ثم يتخذون قراراتهم . .

هذه هي الخطوات التي تستطيع - وأستطيع أنا الآخر - فصلها أن نت في الأمور بقرارات صحيحة ، وأن نتخلص من الخوف من الشرع ، ومن التردد في البت . .

الخجل سخافة بنشؤها الخوف !

هل تذكر تلك الآومة من عمرك ، التي كان الخجل خلالها بسيطاً عنك ؟ . . وهل تذكر الألم الذي كنت تعانيه والحرع الذي كان يتولاك بسبب هذا الخجل ؟

تبين الدكتور « ا . ا . روباك » - من أقطاب علماء النفس - أن ٣٥ في المائة من البائس في أمريكا ، يعتقدون أن الخجل والارتباك هما العقبة الكؤود في طريقهم إلى النجاح في الحياة !

وليس الخجل يذى الشخص الناضج نوعاً من الكبرياء ،
 ينبع من حب الذات .. وإيما هو ينشأ عن خوف 'أراء من أن
 سيء الناس يقدره .. وعن خوجه من أن يكشف في أحاديثه
 وتصرفاته عن شيء من الجهل .. وعن خوفه من أن يحقق في
 النور ما عجب سواه .. بالخجل — على هذا الضوء —
 عبارة عن .. خوف !

والتصرعات التي تصدر عن الشخص الخجول تصرفات
 لا شعورية — في حقيقتها وأصلها — برمي بها إلى أن يعنى
 نفسه من الحوف والشك ، علالت أن تحول بينه وبين
 الشهرة والرفق ، ويحمله على أن يرفض الفرص وتتهرب
 منها .. !

والواقع أنك لا تحشى أبداً ما يفهمه وتدركه ، وليس يبعث
 الحوف في النفس سوى الشيء المجهول ، المهم .. وهذا
 الحوف يجعلك خجولاً ، متردداً .. وكثير من الناس يحجمون
 عن سؤال العرباء عنهم ، إذا ضلوا الطريق في مدينة كبيرة
 مثلاً ، مع أن الأمر لا يستدعي الخجل .. لأن كل إنسان
 معرض لأن يصاح إلى إرشاد الغير ، ولأن هذا الإرشاد
 واجب على كل من أوتي المعرفة .. والمثل القديم يقول : من
 قدم السبب وجد الأحدا ..

ولعلك خبرت يوماً ذلك الموقف المحرح الذي يحدث إذا
 تقدمت بسؤال لشخص غريب ، ماذا هو معرض عنك
 وسامحك وصفي في طريقه .. ولكنك ما كنت لتعاني المحرج
 و « الخجل » لو أنك واسيت نفسك بإقامتها بأن العرب هو

الحذير بالبراء ، لأنه حول ، وحجته هو الذي جعله يفر من
 الاستماع إليك ومساعدتك ..

والواقع أن معظم الناس يتهيّبون الاتصال من لا يعرفون
 .. وكمن من شباب دعوا لمقاتلة مسئولين أرادوا أن يعهدوا
 إليهم بأعمال ، فراحوا يطومون بمكان اللقاء مرات ومرات قبل
 أن يستجمعوا حراتهم ويلحوه .. وهذا التردد من شأنه أن
 يجعلهم — إذا ما احتجموا بالمسئولين — في حالة لا تخلف أثرًا
 طيباً في نفوس هؤلاء ..

لذلك من أهم الأمور لك — إذا كنت مقدماً على ميدان
 الأعمال — أن يهرم الشعور بالخجل ، لكي تصل إلى غاياتك
 .. إذ أن تهيب الناس كمثل بأن يؤثر على تفكيرك .. وأن
 مثل المواهب التي لديك والقوى التي في نفسك ، وأن
 بسلك حيرة وعى وبلادة ذهن .. ومثل هذه الحال في دينا
 الأعمال قد تضيع الفرص ، لا عليك وحدك ، بل وعلى الأعمال
 التي تمارسها ..

ولو أنك أنعمت النظر في الخجل لوحدته ، وما من السخايات
 الحمقاء .. إذ ما الذي يجعلك — أو يجعل أى شخص — رثيد
 في حرج وخجل أمام أى شخص آخر ؟ .. إن هذا الشعور
 لا يعود عليك بالاحترام ، ولا سديك في نظر العرب بمظهر
 الشخص الذي يوليه حقه من الاحترام .. أنه يوحى للغرب
 بأنك تعتقد الثقة في نفسك ومواهبك ، علا بيت أن يحكم عليك
 بأنك لم تستكمل بعد نضوجك .. وهذا هو معنى ..

الخجل نوع من نقص الصوح النفسى والحسى ، ينبعث عن تاجر الشخص فى اجترار مرحلة المراهقة - النفسية - والتغلب على مخاوفها ..

١ خطوات للتغلب على الخجل

وحقيق بك إذا كنت تشعر بالخجل وتريد أن تغلب عليه ، أن تتبع الخطوات التالية :

أولاً : اعن نفسك .. مستكمل نموك وصحتك واصلاح عاداتك وتصرعائك وملسك .. فال هذا يجعلك تطهش إلى مطهرك وإلى كل ما يصدر عنك فيبعث الثقة فى نفسك .. واحرص على الطهور بملطهر المعتد نفسه ... فى غير عرور - فلا تلبث أن تعتد بها فعلاً .

ثانياً : اعن بكلامك .. قل ما ترمى إلى قوله ، وتخبر الكلمات الدالة على المعنى الذى تهدف إليه .. وإذا استدعى الأمر فلا تتردد فى أن تتلقى دروساً فى من الحديث والمناقشة والإلقاء .. وتعلم كيف تحسن الإصغاء إلى الغير .. وتذكر دائماً أن الكلام الطيب ذو طابع مزدوج .. مبيتاً نفسك ، يحسن بك أن تفكر فيما تقول ، وأن تفكر ميين بنصتور إليك ، متطلع إليهم بوجه شوش يرتسم عليه من التعيرات ما يجعلهم سيجيون لوقع حديثك .. وإذا حرصت على التفكير فى هاتين الفاحيتن فلن تجد قرصه للتفكير فى نفسك ، وبالتالي ، للخجل ..

ثالثاً : توقع الاعتراضات : ممن مستلزمات الحديث - الاجتماعى والتجارى على السواء - أن يفترض المنصت

استرمال المتكلم ، وإن يقاطع عباراته ، لأن الحديث تبادل وتجادب .. ملا تدع الاعتراض يربك أو شئت منك أو ينسبك النقطة التى كنت تتحدث عنها .

رابعاً : كن مؤمناً بنفسك : أوح إليك بأنك ذو قيمة فى الحياة ، لأن لك مواهب وكفاءات خاصة .. ولكى تقنعها ، اكتب بياناً بالمواهب والميزات التى ترى أنك أحرزت منها موق المتوسط : كاندكاء ، والمعزلة ، والمثل العليا ، والدخل ، والعمل ، والصحة .. وما دمت لا تقبل أو تغالغ ، مثق أن إدراكك لمواهبك كقيل بأن يطمنك ، ومن يطعك على مواهى داتك وحياتك ، وإن يسمح لمالك المجال لاصلاح ما يصاح منها إلى الاصلاح .

خامساً : فكر فى الشخص الذى يساورك الخجل إذ نحدث إليه .. إن فى حياته هو الآخر لغزات يرواده سها الشك ، والهيم ، والقلق ، والخوف ، ولعلها تسلمه إلى الخجل ، مشفق عليه ، وتنافس نفسك فى سبيل تمهيد وتهيد الحوله كي يغالب حبله إزاءك ، ورحب به ، وأبد أمامه من العواطف اصدقها ، تجد أن لا سبيل للخجل عنك ..

سادساً : تعشق بعض الهوايات التى تستطيع أن تمارسها مع الغير مرة أو اثنتين فى الأسبوع .. أو التحق ببعض الدراسات الإسامية أو المسانية .. فال اتجاهك الحديده وأصدقائك الجدد سيثجعونك على أن تشكل شخصيتك فى القلب الذى يحتدب لغير إليك م وسيعمد فى سبك - عور بالغير ، ملا نجد وقماً للخجل ..

ومن الطبيعي أن معاشه الحجل تحتج إلى وقت ، وقد
عصرتك عومل بعرفت أو تحدث شبه بكسات . ولكن هذا
لا يجب أن ننسب عن هدم عدايتك وبسرمانك الفديسه ..

الثقة في النفس وفي الناس

عندما نالق بحم المثل : ويل روحر « في مساء ملاهي
« برودواي » ، دعاه المنيح السمسائي « وبيم موكس » يوما
وقال له : « ما راك في أن تؤدي ادوارا في افلامنا ؟ » .

واندى « روحر » قبوه للكره ، فقال له « موكس »
« إذن ارجو أن نروى » ، وان يحصر معك محاميا لكي يدرس
العقد ، حتى تبدأ مورا .. » .

ودهش موكس حين رأى « روحر » بفعل منفردا ، نور
استشارة أحد ، سيما كان هو قد احاط نفسه بمحاميه
ومستشاريه .. وبعد المحاولات العادية ، سأل عن محاميه ،
فقال روجرز :

— وما حاجتي إلى محام ؟ .. انص أن املي عليك صيغة
عقد مناسب ؟

وتبادل موكس ومستشاروه ابتسامة استخفاف ، بينما
شرع المثل يهلي : « يوافق ويل روحر على الظهور في افلام
شركة موكس . كما تتعهد شركة موكس بأن تدعم ويل روحر
اتعابا عن الادوار التي يؤديها » .

وبيت المحامون ، ولكن « موكس » أقر العقد ووقعه ،
مكاتب هبده مدانة رابطه سعيدة عادت بالخير على روحر
وفوكس .

واعرف احويل يمتلكان شركة ناجحة بلصدير . انشأها
أكبرهم ثم ضم شقيقه إليه . دون أن يعيا بانحدية إجراءات
قانونيه ، أو يحدد نصيب كل منهما . بل أن كلا صار يحدد
ما يحتاج إليه عندما يحتاج إليه .. ومع ذلك فإن شركتهما
تسير في ازدهار ونجاح ..

ونحن اليوم احوح ما نكون إلى الثقة في الناس والاطمئنان
إلهم .. بل أن الثقة عنصر جوهرى نحتاج إليه في علاقاتنا
بأناس ، وفي إيماننا بالآراء والامكار . وفي مطرقت إلى مواحي
الحري في كل الأمور .. إنها أساس العلاقات الطيبة بين
الإنسان ..

وفوق ذلك ، فإظهار الثقة كغليل بأن يبعث على الطمأنينة
.. طمأنينتك أنت ، وطمأنينته أولئك الذين تتعامل بهم في
حباتك اليومية .. ونحن إذ نجدى الثقة بالناس . نوحى إليهم
بأننا نضع فيهم آمالا جساما .. وهذا من شأنه أن يحجزهم
على الخير .. ويجترك أنت الآخر .. ولقد اثبت علم النفس
الحديث — مما لا يدع مجسلا للشك — أن ما نحال حسا من
إحساس نحو الناس ، مقياس دقيق لما ندين من إحساس نحو
أنفسنا .. ماذا توقعنا السوء من الغير ، أمطنا اللثام عن
ضعة في نموسنا ، أو عن ضعف تقديرا لها .. وس ثم محير
ما ننمى أن ندا به هو أن نقيم وبدعم في نموسنا الإنمى
واليقين والثقة ..

وعلى العموم ، ففى وسعنا أن نعور من جميع الناس منس
يعانون من انهيار في مشاعرهم وسواهم .. و بهي آخر ..

الذين ينعرون ويشيخون عن العمر ، إما يكونون في نومهم شعورا بضالة شأنهم .. ويشأ عن امتقارهم إلى الإيمان مسهم والثقة في غيرهم ، خوف وقلق ينتهسان بهم إلى المسحات العقلية .. إذ أن تعطشهم إلى الإيمان والثقة في العمر ، يستعمل حتى يضطروهم إلى محاولة الفرار منه بالجوء إلى الخبل والجنون !

والواقع أن الثقة في الغير والطمانينة إليهم لو من الوان الحب دعت إليه الديانات والفلسفات .. ولعل أبشع أنواع الخوف هو ذلك الذي يتأى عن امتقار إلى الإيمان بالله ..

النكاء أم الإيمان ؟؟

وأعتقد أن مدنيه عصرنا الحاضر تساعد على تنمية ادهاب وتمكيننا أكثر مما تعمل على تنمية ذكائنا .. اعنى انها تتحه بنا إلى شحد نشاط ادهاننا على حساب بصائرنا وأرواحنا .. ومن الأمثلة الدالة على ذلك ، امى سقيت في حياى دراساب جامعة فى أكثر من خمس وسبعين مادة ، ولا اذكر أبدا أن واحدا من الاساتذة الذين درست عليهم حاول مرة أن يربط سن المسادة التى يدرسها وبين القيم الروحية بطريقة مباشرة .. ولقد ظلت ست عشرة سنة ألقى دروسا فى الكليات والجامعات ، ولست اذكر - فى كل علاقاتى زملائى - أن منهم من حاول أن ينشئ صلوات بين ميدان دراساته وبين السمو بالروح البشرية ، اللهم إلا واحدا أو اثنين على الأكثر .. وإنما كان الهم الأكبر للجمع ، هو اتعميق فى موادهم لحد المعرفة بهذه المواد محسب .. أى انهم يتخذون العلم

لحرد العلم ، لا كوسيلة لتقريب الإنسان إلى أخيه الإنسان ، أو إلى الله !

القيم الروحية أجدى من المعرفة ..

والحقيقة أن عالم فى حاجة ماسه إلى القيم الروحية اضعايف حاجته إلى المعرفة .. فان الروح البشرية تحتاج إلى تهذيب وتنقية وتنصه فوق ما تؤدى إليه المعرفة والتنمية الذهنية والفكر .. وهذا هو السبب فى أن الحروب والاصرابات والصلاق وغيرها من أبواى ابتداعى فى انسلقات البشرية لا تفنأ تفرقنا ..

ويشرح العالم العالى « البرت ايشتمس » هذه النقطة من ناحية أخرى يقول : « يبدو أن كمال الوسائل وميوضى الاهداف ، هى طابع عصرنا .. ملو كما نرعب - محليين ، متحمسين - فى سلامة ورماهيه جميع البشر وفى تنمية مواهبهم تنمية حرة مطلقة ، لما اعورثنا ، وسيلة إلى مثل هذه الحال .. بل لو أن قسما صغيرا من النفس البشرية كافع فى سبيل مثل هذه الغايات ، لنجلى على مر اربى مسوه على كل البشر » .

وما الإيمان بعد كل هذا ؟ .. أن القواميس اللعوبة تضم عشرات التعريرات له ، ولكى أوثر من سبها هذا التعريف : « إنه الاعتراف بالحقائق الروحية والمبادئ الخفية وبأن لها سلطة شاملة وقيمة سامية » .

ثم .. لنذكر دائما أن القلب - الذى يتحن بالإيمان - وليس العقل !

الإيمان .. والاكتشافات العلمية

وتنحن حين يؤمن بالعدالة الإلهية ، نتجح لأنفسنا أعظم مورد للأمن والطمأنينة ، وحين رد على جميع مخاوفنا .. والإيمان بالعدالة الإلهية مسأله شخصيه ، على اننى أحب أن أذكر هنا مثالا لما يقاى عن الإيمان :

منذ سنوات عديده ، اقبل « تشارلس كيثرينج » — من هالى وانن بولاية اوهايو الأمريكه — على سيارته ذات صاح — وراح يدير اليد التى تحرك محركها ، حتى إذا احس بالنعيب قال لنفسه : « لابد أن ثمة طريقة خير من هذه ، فقد كادت ذراعى تمزق » .. وفى مساء ذلك اليوم ، لحا إلى «ورشة» صميه أقامها فى داره لعمل ميا فى اوقات فراغه ، وكتب عشر وسائل لتحقيق طريقة لإدارة محرك السيارة أوتوماتيكيا .. وأحد يجرب كل طريقة على حدة ، حتى توصل إلى الطريقة التى عرفت باسم « ديلكو » .

ولقد اطرده اكتشافنا لنواحى تطبيق القوانين العلمية بسرعة عصبه خلال السنوات الخمسين الآخيره . وكان من جراء ذلك أن أصبحت فى خدمتنا السيارات ، والطائرات ، والحرارات ، والمواصلات ، والمدماغ ، والتليسكوب ، ومئات الآهرة الآله .. ومع ذلك ، ما انقوانين العلميه التى اتاحت لنا كل هذه الأشياء . كانت معروفة فى أرمال الإغريق والرومان .. ذلك لأنها من وحي القوانين الطبيعه .. والإنسان لا يخلق القوانين الطبيعه ، لأنها وجدت مع الطسعه ، وإنما هو يرمع الحجب من وقت إلى آخر ، ليلقى

نظرة خاطمه على إبداع ابداع الأكر — الله — وعندها يكشف فى هذه اللحات القانون الطبيعى الذى يخضع له السرطان — مثلاً — غائبا لن يثبت أن يسطر على السرطان .. قس هذا القاسون موجود ، ولكنه بحاجة إلى من يهذى إليه ..

ومح إذ تقول « القواس الإلهيه » نذكر أن هناك من سيسىء بهم ما يقصد .. ولكنى شخصيا أعتقد أن لقواس الإلهيه واحده فى جميع الأديان والمعتقدات .. وفى وسع كل امرىء أن يصير بالقواس الإلهيه ويمارسها ولو لم يكن يردد على إنكليسيه .. ومن ناحيه أخرى ، يرى بعض أئهم بحاجة إلى أن ينسبوا لطفوس الدسيه كى تثير فى نفوسهم الرغبة فى التفكير فى الأمور لمعلقه بالإيمان وعانوس الإلهى ..

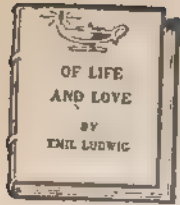
ولقد وعق الدكتور جوردون آلتورت حين قال أن « الإيمان فى أصله هو اعتقاد المرء بصلاحيه هدف من الأهداف وإمكان بلوغه » .. ماذا جعلنا الإيمان — بمعنى الثقة — بالحس البشرى وبأعسنا وبالقانون الإلهى أهداف له . استطعنا أن نحرر حياتنا من ريقه الخوف ..

كل من حبره ولاند ، ذلك الشعور الذى يحالسا فى بعض الاوقات نجعلها نصبو إلى قوه فوق بك التى أوتناها .. ومن ثم منح نحبه إلى منع تلك القوه .. إلى الله .. والقصور الإلهى .. وأدب .. ومن هذا المنع تسم على الراحة والسكينة ، والشجيع على العودة إلى المحولة .. وخلال الصلاة والادعية ، نهتدى إلى المنب .. فى بعضى خلاله محاورنا ومتاعسنا ، قس نيب عذ .. إلى .. نصر

المعجرات التي تحيط بنا والتي تهدينا إلى ما نرجو .. وما أكثر المعجرات في الحياة .. وأبسط مثال لذلك ، أن عملية السير العادية تتضمن تحريك ٢٨٥ عضلة و ٢٢٢ عظمة في جسم الإنسان .. وهذا التحريك إنما يسير على نظام موروث لا يد لنا فيه .. أفبعد هذا من معجزة !

ثم ، ليس المعنى الشئ معجزة ؟ .. والبس التحقيق من أننا نستطيع أن نقهر الخوف بمجرد تفسير مسلكنا ، معجزة ؟

والخلاصة أن الإيمان — وهو قوة لا تتيسر إلا بالنفكير الإيجابي — يستطيع أن يبريء جراحنا .. ولكن أعظم معجزاته أنه يمكننا من أن نظهر بالغلبة على الخوف !



(١)
دنيا الحب والسعادة!

للكاتب الألماني الشهير "إميل لودفيج"

نحو «دائرة معارف» ، للحب والسعادة !

في أعداد سابقة من «كتابي» ، لخصت لك في هذا الباب كتابين قيمين ، هما : «من الحياة» للمفكر «الفرنسي» اندريه مورو ، ثم «غزو السعادة» للمفكر «الإنجليزي» برتراند رسل . وقد عالج كلاهما الموضوع من زاوية الخاصة ، حسبما اهتدى عليه تفكيره وآراؤه . . . واليوم أقدم لك كتابا للمفكر «الألماني» الأشهر اميل لودفيج ، اهتدى فيه بدلوه بين الدلاء ، وسأهم بآرائه الناضجة وفلسفته الخاصة في دراسة هذا الموضوع الحيوي الهام الذي يلهم العصب الحساس في حياة كل فرد . وقد قسم لودفيج كتابه إلى أربعة أبواب ، هي حسب الترتيب الذي وضعه لها :

١ - في الحب . ٢ - في السعادة .

٣ - في العظمة . . . وأجرا جعل للباب الرابع عنوانا غامضا هو : «ذات يوم» !

وفيما يلي أقدم لك الفصول الأولى من هذا الكتاب الشائق ، على أن أسعها ببقية الفصول في العديدين القادمين . . . كما تكمل لك - إلى جانب الكتابين السابقين - دائرة معارف واقية للحب والسعادة .

مقدمة المؤلف

في اللوحات التي رسمها كبار الممثلين ، تلمس دائما أثرا لشخصية الفنان ، ملتصوير «الموضوع» - سجت لا وجود له ، وإذا وجد ملاهجة له ! والفن - سواء كان بسيطه خرقه ومرشدة ، أو قلما وقرطاسا - إنما يسكن جردا من نفسه في العمل الذي يبذره ، والملاحظ المنطق بسعته أن يستشرف شخصية الفنان من طابع رسمه أو كتابته . .

ولا بد أن قراء «لوحات» لتراجم التي صورت ميها في بعض كتبي السابقة - حياة عدد من العسائرة ، قد استشفوا غلستى الخاصة من مناصرتى شخصيات معه ووقوى موقف العداء من أخرى ، ومن اهتمامى بشرح آراء معينه ونحويرى وتبدلى في أخرى . . . ولقد انقصت حبس عشرة سنة منذ محاولتى الأخيرة أن أكون كاتب تراجم ، وهنا أندا أعود اليوم في صورة أدبية مختلفة . . . بعد أن صورت الكثير من الشخصيات في القصص والفراحم ، أصور في هذه المرة «نمادح» من بطرائى إلى الصاة . . . وهى نظرات أقرب إلى الأحاسيس والانفعالات منها إلى المبادئ الفلسفية أو المنطية . .

وقد انصبت هذه الأحاسيس والانفعالات من بين بحاربنى . . . وصورتها تصويرا رمزيا ، لاعتقائى أن التصوير الرمزي هو أمثل السبل لتحليل المشكلات . . . وهكذا سبى القارئ في الصنجات أمالية تلجدا مخلص لإيقور ، ذلك غلبوسم

الباب الأول

في الحب

١ - كيف نقع في الحب ؟

في خلال فترة الاستراحة بإحدى المسارح ، نهض من مقعده رجل لا يشف ملطه عن سنه .. لقد أوشتكت أعضاؤه أن تتجمد فنهض يخفف من ثوترها .. ذلك أنه حين انتقل من مشهد المثلة الأولى - البريادونا - المتندق بالحوية إلى عالم آخر ، وملا خفيف ثوبها البضاض سماعه وبصره .. وعندما تأرحت نفحات الكمان بين الصعود والهبوط ، أحس كأن جسمه قد من رصاص .. غير أن تالق الأنوار في جنات المسرح ، ودوى التصفيق ، عاداه رويدا إلى نفسه ، فقام تاركا مكانه ، محركا رجله ، مصلحا من شأن سترته ورباط عنقه !

.. لكنه لم يلبث أن عاد وشيكا إلى مقعده ، وتناول منظاره الكبير - وهو في حال من التوتر النفسي لا يريد أن يسلم بها - ورفعه إلى عيبيه وجعل ينظر من خلاله حواله .. لم يكن يبحث عن شخص بعينه ، وإنما كان ولا ريب يسعى إلى استبقاء المشاعر التي تملكته . إلى استبقاء ما رأى وما سمع . كان كيانه متأهبا منتظرا ، على أتم استعداد لتلبية أول حافز ..

ونجاة كف عن التلفت ! .. فقد ارتسم في عذسى بنظاره

اندى أسماء الناس منه ، والذي أحس أنه اقرب إلى من سائر ملاسمة الإغريق .. وسيشهد القارئ دنيا مرد مشتت في الإيمان بالفردية ، يحاول أن ينتقل من دراسته القلب الإنساني إلى دراسة الطبيعة جميع .. وأنها لدنيا لا اثر للماسة فيها ! .. ومسجد القارئ أيضا أن اندى يبدى هذه الآراء ، ويصور تلك الأحاسيس ، إنما هو رجل أوربي ، يستهدف سعادة الفرد أكثر مما يستهدف سعادة لمجموع .. رجل لا يهتم بالكبح والقبح ، بقدر ما يهتم بالاقدام ، وبالمعاطفة .. فامثل العلبا الثلاثة التي يدور حولها وجودي : الحب ، والسعادة ، والعظمة ، وقد مصلت هنا في أصيق نطاق ممكن ، كصور مفتقة من شريط الحياة .. وفي ختام كتابي رسمت لوحة ليوم من تلك الأيام الماعمة التي قضيتها في بيتي بين العمل واللهو .. ومن بدرى ؟ مرما حرج امرؤ من هذا الكتاب بدرس قم في وسية إصانه المثل العلبا التي اسلفتها ، لا بالجرى وراء باطل اللهو ، وإنما بالعمل المجدى ، وبالنائى عن زخرف الحياة !

وعلى أى حال ، ها أنا أدعوك إلى زورقي حيث اتاهب لمسد الشراع كي يذهب يتهادى ، لا في خضم المحيط - كما قد تظن ! - وإنما على صفحة بحيرة متعزلة من بحيرات سويسرا .. نعم ، سيقطع زورقي في صبيحة يوم من أيام الصيف ، يحده النسيم العليل ، فيمضى يختال على مراءى من القلال ، والأحراش ، والقرى الصغيرة ، وربما ظلته أحيانا محالبات الصيف البيضاء .

أميل لودفيج - كالفورنيا

وارتدت المرأة سريعا إلى نفسها ، وكأنها أصافت لموها من
سحر الموسيقى . موقعت . . ورسم المتظار المكر شكلها
جميعا . . لم يكن اخف من السيدة التي بجوارها ، لكنها
وهي تسوى ثيابا رداؤها المخطئ ، وبهر باصبعها في رشاقتها
عليه ، حركت صور الحب ، اندائية العمر في محبيه الرجل .
احس لكل من حركاتها إثارة جنسه ينظمها الإحساس العام
بالحب الذي يملكه . . ثم انحلت هيئة الجسد المرتسمه عليها
السبيل إلى انقسية ، عندما انقطعت لها السند التي يحسها
وشاحها الذي سقط على الأرض عموما ، وهناك جرى
فيض جديد من الأحاسيس والمعاطف ، في قلب الرجل ،
كفيض النهر ! ولم يلبث الأبواب أن خاضعت ، وعلا صوت
الموسيقى ، وضوء المصباح الثالث في ضباب وردى حذاب . .
وفي مكان مغفية « الأوبرا » ، أو على الأصح امامها ، ارتسمت
له صورة المرأة المجهولة ، صامتا كاستيف . . وفي نهاية
المنظر ، عندها جلست البطلة على الأريكة ، اثنتى رأس المرأة
جانبا ، وكأنها مالته وراء الأثودرة الذاهبة ، وبدا كأنها
ترتوي من الموسيقى ومن حظها في الحياة معا !

وبرعان ما تحولت الصور المضطربة في رأس الرجل إلى
صورة واحدة واضحة : لقد قرر أن يهرع إلى مدخل المقصورة
عندما تنتهى « الأوبرا » . . وهناك وقف بقلب واجع ، كقلب
شاب أوشك في بقطظه أن يحقق رؤيا تمثلها في حلمه . .
لا بد أنها ستمر به ، وينفى أن يكون ذلك في مكان يعمره
النور . أما أنها لن تكون متعجلة ، لا تدركه من سحر
سلوكها . .

رأس امرأة ، كانت تميل قليلا إلى الوراء ، وقد وجعها شعر
كستنائى ، وأضاء شعاع جانبي نصف مجيها . . وكانت
ترجع إحدى دراعيهما على حدة المقصورة ، بينما عمت الأخرى
في طيات رداؤها المحمل الأحمرة ، الذي يحاكي لون البيذ ،
وبدا في عنقها المائر شرابا ساما . . وكان يصير رأسها
منسجم تماما مع روح اللحظة ، عقد قربت ما بين رأسها
وكتفها ، مع انثناء حفيفه ، كما لو كنت تسمع إلى صوت
يأتى من حلمها . . وما كان حلمها أحد ، بل كان « ألوح »
حالنا إلا منها ، عقد تركه رفاقها إلى المشى الخارجى . لقد
احس كل إسان عندها اضيئت أبواب المسرح ، برعية في أن
يقول شيئا ، ومضى بشع رعبه . . غير أن وجهه الرجل
وصفه هنا ، ووحدته المرأة وصمتها هناك ، صنعت أول قطرة
خفية بينهما !

لقد اكتملت الأحلام التي أشرتها الموسيقى في نفس الرجل
بوقوعه على هذا المشهد . غير أنه لا الحلى ، ولا الكرياء ،
ولا الانتسامة ، بل ولا ما يسمونه عادة بالجمال ، هو الذي
أسره ! شيء واحد فقط أخذ بمجامع قلبه . هو روحها التي
شفقت عنها انشاء رأسها ، فلاقته من روحه استجابة !
احس بالرابطة بجمعهما على بعد المسافة بينهما ، وأحس
كان قلبه صفا بل صار أتم ما يكون صحوا . .

لقد قدر لقصة غرام أن تبدأ ، ما في ذلك ريب !

ثم فتحت الأبواب في الطابق العلوى ، وعاد الناس إلى
أماكنهم في المقصورة ، وحركوا المقاعد وبرقوا بينها . .

۰۰ وبالعمل کنت آخر من ترك المقصورة ، ولكنها لم تحس حتى بوجوده : وكان واقفا في مكانه ومد اذنيه الطريقه «الرجيمه» التي اصلحت بها من شأن اسفل رداثها ، إذ رمعته إلى ما فوق ركبها بظليل : ولكن شكرا لله ، لقد نسيت وراءها « البروحرام » : .. وحطأ إلى جنبها ، ثم سبقها بقبل حتى أصبح في مواجئها ، وذهب إحدى يديه إلى جانبها ممسكة بقمعته ، وامتدت يده الأخرى إليها بالكتيب : .. وسد أمامها الطريق ، وحوطبت في صمت مكنت عن السير ، وفي أعلى سره قصيره مئوحيه الأبرار رأت رأسا نبت مبه شعر قصير ، صرب لومه إلى اور الرماد : .. كما رأت شفتين جميلتين ركنتا في وجه قسوة ه الحنكه والتحرية ، وعين صافيتين شمان عما وراءهما ولا نحصر شيئا ..

ووقت العربيل لحظة أحدهما تجاه الآخر . برط بييما
ذلك الكتيب ادى امتدت به يد الرجل إليها . ولما كان الرجل
لم يقل شيئا ، فلم تفتح هي إلى اكثر من ان تنحني مأب . .
تم مضت !

لقد قررت تلك اللحظات التي انقضت مصير شخصين لم ير أحدهما الآخر من قبل .. وقضت عليهما - لحظا العجبا - ما نذكر أحدهما الآخر .. وبسبب نظرة واحدة ، وبحظه عابرة ، واشعلت مفاصل حياة كل منهما بصاحبه ..! لقد كل الأناس ، إلى لحظات مصت ، غريب أحدهما عن الآخر ..! أما الآن ، فقد طبع كل منها شخصية صاحبه بطابعه !! ..

أكانت الموسيقى هي الرابطة الذي ربطت بينهما ؟ كلا ! سر عند استأثرت الوحده بهذين القلبيين سرع كل ما سبب في حديهما من حارب . استأثرت بهما في هذا الوقت بالذات من تاريخ حياتهما . وفي هذا المساء بالذات دون سائر لأمسيت . فحققا بالأمل وبالحسرة . . ولأنهما حققا معاً في تونسي وأنشاج عقد جمع الحب بينهما !

٢ - الحب « معركة » بين جسدين !

مناحب إذ طاهرة « جسمانية » في كل الأزمنة . وفي ظل
كل الأجواء ، وعلى مر جميع مراحل العمر !.. والحب قد
يقع بغير تهديد نفسي — بل هو كذلك في آلاف من الحالات
ولكنه لا يقع قط بغير تهديد جسماني !.. حتى يطلعه أشد
حالات الحب روحانية ، حتى « بياتريس » لم تلجأ
إلا بسب مظهرها الجسماني : فعندما رآها « دانتي » الشاب
فوق الحبر وأسره مطرها ، جعل من هذه الرؤيا شغل حياته
انشاءً . ومن المحقق أن أموجاجا نسطا في عظمه الألف -
أو صدرا هابطا ونسطا ، أو حتى رداء متفرا ، كان ولا بد
كفيلا بأن يصعد الشاعر العظيم في تلك اللحظة الحاسمة .
وعوق انطلاق خيله !.. ومن المحقق أيضا أن روح
« بياتريس » شععت من ناظريها ، وتددت في لمحت بصرتها .
ولكن أثوتتها هي التي حركت « دانتي » وهي التي سار
نفسها في حياله وبعثتها في أحلامه عندما رمعوا إلى السماء
ملاكاً طاهراً ، سيما كانت تاد الطفل سي الخط رجرجر أسر :

وبس هوى « ساتريس » الطاهر عذري .. وس .. د

لاشئيد بني وحيد شمسكسر حصه هو ها . ومثلت على
سبح . . من شذر بصرى لاقصى والأدنى . اللذين قد
يمثل البؤى سبها إلى هذا بحاسب أو ذلك . يقع دسبا
سبره . . ومع هذا سبرعا يصحعل تحت لواء حقيقة
وحده . هي . لمجر حسدى لامراء قد جذب الله رجلا ،
ومعد فيه شاعرا نائما . . تهما كما فعل رأس المرأة المائل
في دار الأوبرا !

وليس شمة حب بغير إحساس بالفوز في حلبة سباق . .
وبمثل هذا جور في صارت لائس . وامتلاكها أحدهما الآخر
في البهاه . وبدو هذا أنور وضحك حلق في أسدا صورة ،
وأفناها إلى الطبيعية ، في « لعبة الحب » عند الحيوان . .

هو سباق ، نعم . . ولكنه ليس سباقا بين زوجين ، أيهما
أعزى وأعنى واسمى . سر هو في واقع الأمر سباق يوشك أن
يكون صراعا بين حسدس . . والذي ينكر ، أو يسعى جاهدا
إلى جثاب الحب على هذه صورة ، لن يفهم الحب قط !

وبينما الرجل يعترك في الحب ويلهو معا ، إذا هو يصل من
الحياه إلى أرقى مراتبها . بل إنه ليقتررب هناك من الآلهة !
ملاحصار إنس . وحرار مصب السباق . هما عصرا الحب
الأساسيان . . أما الإحساسى بأننا في حلبة سباق ، وهو
الحسنى لاقى يستعرد في كانه محاطراتنا ومعايرنا ،
مبو سهل مبر شروح الإستهة في كل حالاه ، ومنها « حله »
الحب . . وإد كان لحدسى . والفيلسوف . ولجسائنه ،
والآب . وصيدس . رسيهم إحساسهم بالذائق ، إلى

مصائب الروح بحردة ، حتى أنهم مد لا يعرور من مواقع
الانصرار غير الموت ، يجد أن لعاشق هو وحده الذى يلزم
حدود العالم الحسدى ، وهذا هو وحده الذى يدرك البهاه
اللى حق له عندها أن نعم وبها . . البهاه أسى لا يصل
إليها في أى سباق آخر ! عكل معركة بين شخصين لابد أن
تنتهى بانتهازم أحدهما ، إلا المعركة بين احسبين منى منهى
مانتصارهما كليهما !

ول هذه المعركة لبدا ببطسره . . عالشيء الذى اسرح
بهذه الشخصس ، في دار الأوبرا . أحدهما إلى رحاب الآخر .
وجعل من غريبين مثلهما شخصس لن يلبثا حتى يشكلا حياتهما
من جديد وبؤثران أحدهما في حياه الآخر ، لم يكن في البدايه
سوى ظفره . أو قل نظريين التقتا عقلت إحداهما للأخرى :
« احك » !

واها العين التى تحرى الإحبار أولا . ويسوى أن يرى
العس الشخصس حقيقته ، أو يرى « نموذج » روحه ، وطابع
شخصيه . . فالعس ولا شك رسول « التخادب » منوعه .
« الروحى » ، بين النفوس ، و « المادى » بين الأجساد . .
ويسرد العس بهذه الحاصه دون سائر الحواس الأخرى . .
فائه لا يحدث إلا في انقليل النادر أن يحدث صوب شديد أو
يتردد في أسلاك الظلمون أو على أمواج الأثير ، شحصا آخر
إلى صاحب الصوت ! . . نقول « حيثه » : « لت شعرى : له
هذه الحواس جميعا ؟! انها لا نجدى السعادة الا اضطرابا
وتعقيدا ! . . عندها أراك أود لو قدمت أسبغ . . وإدا
سمعتك وددت أو فعدت البصر ! »

ويعبر « كازايوما » في أحد آرائه المتعمقة ، إلى رمعته — رفضا عنه — إلى مصاف فلاسفة الحب . . يقول عن أهمية « النظرة » ، والمقدرة على التعبير بها : « أن امرأة مجردة من الثياب ، مستلقية أماما وهي معطاة الوجه ، لن تثير غيبا اهتماما . . ولكي امرأة كاملة اثياب ، سائرة الوجه ، قد تثير معنا ذلك الإحساس الجنسي الحمى الذي يبدأ عنده كل حب . . فالرجل الذي يقتل أن يمتلك امرأة محبة الوجه ، ولا يستطيع أن يملكها إلا ووجهها معطى ، قد يعقد عقله ل مجرد التفكير في أنه لا يعرف إلى وهب نفسه . . ولا ريب أن كل رجل قد حارب ، ولو مرة ، السحر الذي يفيض من عيني امرأة كاملة الثياب أو من ابتسامتها . .

ومن ناحية أخرى ، فإن جسد شاب قوى مكتمل النمو مستلق على أريكته ، تلتقطه عنا المرأة ووجهه معطى بمنديل يقيه حرارة الشمس ، بعث المرأة أقل بكثر مما يبعثها ابتسامته وجهه معبر لشباب مكتمل النمو يمر بها في اللحظة عينها ! » ، ذلك أن للحركة في هذا الحال أهمية عظيمة ، تمنظر الشخص العالم يستدعي الاحترام ، تماما كما يستدعيه منظور الميت ، ولهذا السبب كان آلهة الإغريق إذا هبطوا على فتيات عرايا نائمات ، لا يجروؤن على أكثر من تقبيلهن . . فالحب أشبه بمعركة مستعرة الأوار ، كل حركة فيها تثير أعصاب الشخص الذي جهت به الرعدة . . أما السكون ، فمسير بالرقبة إلى التضاؤل والانحلال !

والحركة تولد بدورها الحركة ، فإن اثنين يترجلان عن جواديهما ، بعد وقت أمضياه في الركض ، خلقان بأن بشدا

جواديهما إلى جذع شجرة ، ثم يهويان إلى الأرض المكسوة بالحشائش ويخويان أحدهما الآخر ، وكانهما يتبعان ما كانا عليه من حركة رشيبة منظمة . .

٣ — هل نحب من يشبهنا ، أم من يخالفنا ؟

ولكن ، أين يدرى لودع سر الاحيار ؟ . . ما الذي يجتذبنا بعضنا إلى بعض ؟ أهو التشابه ، أم الساقض ؟ . . هل نحب نحب لاسا نريد أن نمر ما ينقصنا ، أم نحب لاننا وقعنا على شريك تلائم ميوله ميولنا ؟

كلا الاحتمالين جائز ، وكلاهما يوصل إلى نتيجة . . مكثرا ما نصادق شخصا قد قرب إليه صديقين ظلا دائما عرييين أحدهما عن الآخر : فهو قد قرب أحدهما إليه لشابه ما بينهما ، وقرب الآخر لتقص ما بينهما . . فالرجل الأسمر يبحث عادة عن فتاة بيضاء أو شقراء ، ولكنه يجد نفسه ، ولو مرة — لمعطر دهشته — منجذب إلى سمراء بحالها الساس احتاله !

وكما أن الصداقة بين شخصين متشابهين في الشكل والخلق تكون في العادة أهنا وأوثق من لصداقة بين شخصين متناقضين ، فكذا الحب بين نموذجين متناقضين ، عابسا ما يكون أقصر أجلا ، وإن كان أكثر شدة وعنفًا . . وعلو هذا فالرواج الناجح بين نقيضين حشر في حالة ما إذا تماثل الشخصان معا ، وإذا ضحى كل منهما شيء من نفسه في سبيل الاتفاق والولام . . في حين أنهما في البداية ، عقدهما استحوز الواحد منهما على مؤاد الآخر ، فإن تشبيها هو مصدر هذا التجاذب بينهما . . ذلك أن « حب » به اثنين

مستغنيين بحجم عنه حسب بطور شرر العاطفة وشيوت نار الحب ، وهناك جلد لامر عليها فلا يرى أحدهما هو « التيار الموجب » أم هو « التيار السالب » !

انظر إلى هذا الطاووس الذهبي وأنشاه .. إبه مدفع وراءها رافعا تاجه فوق رأسه . ولكنها ساوئه وتصدده ، ثم تنفث منه وتحلق بسابق أريج . متدفع وراءها . حتى يمكن أخيرا من أن يصبق عليها انحبس في ركز صخري .. وهناك يحك ريشه العلوي الذهبي بريشه السفلي الأزرق ، وعجاء بطلق صرخة انصر للسرور . ويحبوبه في بشوة وحماسه .. فتترعج هي . ويكاد يعشى عليها . ولكنها مع ذلك تستشعر السحر والشوة .. مثل هذه اساطير ثرائعه ليس لها شبيه عند الإنسان .. وواقف أن عمل الحسوان لا يعدو أحقر وأد من عمل إنسان إلا عندما يسلك لحيوان أنشاه . ويعلمها ، ويهزها . ثم يتراوح معها .. أما الإنسان ، فهو وحده الذي يرود لكل الاحتمالات بسبيل لا يتقنع من الاحلام ولا مكر ، ولد عانه وحده الذي يسمع أن يرقى بهذه الفريزة إلى أقصى مراتب النشوة النفسية ..

شرارة الحب قد تتولد من مجرد النقاء العيون !

ومع هذا كله ، معندما تشب نار العاطفة ، تكون كلها حسنة مادية ! عند اللحظة التي تدفع فيها قوة عريضة محبولة بشخصين أحدهما في اتجاه الآخر . عن طريق النقاء الاعس . يحدث كل من الاثنين نفسه عارقا — رعبا عنه — في لحه من اشاعر الضصة .. فالتشيء الذي سر الفتى ، ويسعده ،

يدمعه إلى الرعة القوية في إحلال السرور على عتائه وأرجاء السعادة لها . ومحوله أن يكون عند حسن صهيها به في كل كلمه يعوبها أو حركة يهبها .. وهذا الإحساس البسيط الأول غالبا ما يبعث في حضور العرباء أو بسبب العادات ولعمائد والمقاييد أنى أشباهها المجمع . نلاحظه أنى تتعارف منها اثنان بواسطة ثالث . مبصى كل صهيها رأسه الآخر — وقد لا يصاحبه ! — هذه اللحظة يحطه يكون حامله شخصات الاقدار . ما من روحين سابحين في مداريهما قد يلتئم شملهم في تلك اللحظة نسبا متصدا في روح واحدة .. وقد تتقرر عندئذ ليالي بل سس من الهباء والسرور .. وقد يقدر لأطفال وأجيال أن تولد وتنتسل !

وإذا اختلف كل منهما الآخر حبسا ورفض ، صارا عديا يحدثان معا — سواء عن الحرب أو الموسيقى — تجش في نفسيهما أحاسيس « الطاووس » الذهبي ومشاعره .. وإذا كان خبير بالحب وليسا حذيين في ميدانه ، فيعرف الواحد منهما في الحال ما يحس به الآخر وما يعكر فيه .. مثلا قد يرتفع بد المرأة لحيلة الرشيقه رويدا إلى منحه ثوبها اعلاب لسوئها بعد أن استقرت نظرة الرجل عليها .. وقد يفرى هذه الحركة الرجل على أن يناع سباحه نظرائه .. وها هي تستقر الآن فوق نهديها .. فانكار الرجل تشع حركة يدها ونحوه به إلى تصور الدفء الذي يحسه الآن أصابعها !

سحر المرأة وابن يكن ؟

والمواقع أن لا شيء في بدايه علاقه حب — في هذه حوال رحلته كلها — يؤثر في خيال الرجل أكثر مما يؤثر شيئا

المرأة !.. ولا شيء غط في جسده هو ، يملك المقدرة على مثل هذا التأثير فيها ! وهذا يصح السبب في هذه الحقيقة الصادقة في كل الأزمنة ، وفي كل لسان ، وهي أن المرأة لا يمكن أن يستثيرها مرآى رجل كامل اثياب ، كلما يستثير الرجل مرآها وهي كاملة الثياب !.. ومن هنا يرى معاهد الأرياء في كل الأزمنة قد اختصت لمرأة يعاسيا دون الرجل — وقدما كال سماء العصور السالفة يرتدى أردية محمله مضاعفة حذارة لم يعرف عصرنا هذا لها مثيلا !

وعلى ذكر ثديي المرأة ، نعلم على لفظ أن البطيخة لكي تعوض عن الخفاء الذي صرته على المصدر الأول بتأثيره الجنسية في المرأة ، قد أرزت هذا المصدر التالي له في الترتيب وأظهرته بوضوح شديد ، حتى أن إحدى السيدات — على مر العصور — كدت في تصوير يهدي المرأة وإبراز مقائنها ، الأمر الذي سين مدى عمق أصالة وبونتها من الفن والحب ..

والواقع أن كل ما يبدو من جنس لعين الجنس الآخر قد يكون هو مسبب إعجابه به واختياره إياه !.. منظر المرأة تلمح ، ضمن ما تلمح ، شعر الرجل ، وأنه وتوقف كيف يضع يده في جيبه ، وكيف يمسك بعود الثقاب ، وكيف يتخطى ححرا ملقى ، ونوع الحذاء الذي يتقلعه .. إلخ .. وفي تلك الملاحظات الحائرة المضطربة ، قد تعطل الاختصار وتعوقه طريقه ليرحل في اقتضى عصى عصاه وهو يلعب « الحول » ، أو طريقة المرأة في رفع يدها عن فتحة ثوبها ووضعها على

حائه المذانة !.. وكثيرا ما تفرق بين المصائر ، طريقة المرأة في برطيب شعبيها بصرف لباسها ، أو ضحكه الرجل لصاحبه انسى جانب في غير موضعا !.. كما أن نطقا ردا ، وبرعفا جاور الحد يندر من أحدهما أو يجلسان جسا إلى جنب في السيارة ، أو محاوله تبذر مبكرة عن موعدهما ، قد تقضى على كل شيء وتبذره هباء !

٤ — الحب يرهف إحساس أعظم الناس !

وإذا لم يكن الحب بمثابة « سباق » بين الجنسين ، فكيف إذن تعنى الشعراء من رمى المراعنه إلى اليوم — وسيظلون يتعنون إلى الأبد — بهذه السلسلة الطويلة من المعاني ، سافنين بالحضنه التي تم فيها لاختصار لأول ، مسهب إلى السحطة التي تم فيها التسليم الأول ؟!.. الواقع أن الحب هو الشيء « الفنى » الأوحده الذي يتذوقه أسعد الناس عن الفن ، ولو مرة واحدة في حياته .. فالرسالة أو الزهرة التي نهالت عيب القنلات قبل إرسالها ، قد درعت الدنيا طولا وعرضا ، وقربت أقل الناس حفا من الحبال إلى دسا لشعراء ، ولو نصنع دقائق .. يعود بعدها إلى دنيا الواقع ، ويهبط من عالم الروح إلى عالم المادة ، ولنجا إلى أحاسن التورية الملتوية ذات أوجهين .. وإلى التعبيرات التي تطلق على المعنى القريب وتسمى إلى المعنى البعيد .. أو تطلق على الواضح اللين ويهدف إلى الخفى الخفى .. ها هما الحسان واقمان مثلا في ركن غرفة يتأملان لوحة فنية ، بار الرحل يمتدح في حماسة تلك لفظة العاربه « لفر رسبيبا » ..

وإذا ذك منهم رقيقه أو أنه يمثل في هذه اللحظة مدهرا ؟ .
ثم انظر إليه . إنه في الوقت نفسه يصنع يده في جسده . ويقف
وقد شد عضلات جسمه عاظمها مارع قوامه ورشيق قده .
ووضع أمام عيني رقيقته المودح الكامل برحولته . مل أمه
سحطى هذا كله إلى أسنانه عريضة يصر لها منه عن أسن
بيضاء ناصعه . كي يستشف رقيقته من وراء ذلك كله مقدار
حيويته ومبلغ قوته !

وهناك مئات من التقاليد والاعتبارات الاجتماعية تدعى
بالحييين عن المتعة الحسية في مرحلة مبكرة من حينها .
وتحمل السباق من أجل الحب متقدم بطيئا متعثرا . فيمتد
بإمداده أجل المتعة لنفسه التي يجيبها الرفيقان مثلا من
اجتراع كاسر من السد مع . أو من تناول قطع لدوى .
أو من العودة إلى البيت سيرا على الأقدام !

ماذا ما تم الاختيار . جعل كل من الرعيقين مدبر لمرسى
التي يمكنه من الاقتراب من صاحبه . عقاب الرجل من مقعده
متفصلا ليساعد لغاته على ارتداء معطفها . كي يلمس
كتفها ! . وتحفز المرأة وهي تلتقط من أرجل مدليلها الذي
استقطنه عمدا . لكي تلمس يده . . . ومرورها معا من باب
ضيق يحتم احتكاكها . . مثل هذه اللحظات التي تسمح لهما
بعد الساعات الأولى لثنى تعقب أمام الاختبار . تثير منهما
رعدة وشوة لا يدتها حتى الاتصال الجسدي المطلق عنها
بعد . . . أصلا عن أن الأرباء العصرية - التي يكاد يكثف
عن معظم أحرار الجسم - عد حرمت الرعيق من الاستمدح

باللحظات المشه التي كال يكلفها في الماضي احبائها
الأول !) .

الشك يحى الغرام !

وللشك دور كبير في إنهاء الحب في مرحلته الأولى . .
مأنت ترى الرعيق قبل الماء الذي حذاه لانهم لاخضار .
وقد أعلق كل منهما سب عرقته دونه . وجعل ردة لنفسه كل
عبارة فاه بها رقيقه . ويستعيد كل نعم من نفحات صوته .
ويتمثل المواضع التي تنوه بها رقيقته بهذا اللط أو ذلك . .
أهل ' مالشك ما يزال حيا في غلى الطرفين . وعما ما رالا
يتساءلان : أتري الأمر كله يعدو أن يكون حبالا ؟ . . أما المرأة
من الشك يجعلها تسأل نفسها وعى مائله أمام المرأة يصلح
من زيتنها : « ترى هل لا يزال يحبنى ؟ » . . وهي تتصور في
موقعها هذا أنه تسائله . ولكنها في الوقت بعد . . . يسأل
نفسها : « هل أحبه حقا ؟ ! » . . وبينما هي تعرض في رأسها
الصغير مئات الأخوة المتناقضة ابتدنه . إذا بها تستسلم
للكرى . وهناك يسب رغبتك بادحوب ' اصحح على الحنة
الأحلام !

. . أو لعله يأتيها بالجواب حقا على اجنحة الهواء . .
فقد تمتد يده في تعثر متصمك بسماعة التليفون . وبناجيا
بدائه . ولكنها تمالك نفسها وتسمع الأبرار على مدح وراء
اسئلتها . بينما يبتسم كل منهما لنفسه في شيء من
الاضطراب . . . أهل مايلسون أصبح عاملا متب ما عدامل
الإنسان . وإنه لسميء للحسن في هذا النوع البحت من
طريقا حقا من أنواع الوصال !

وتلك الطريقة المصلحة التي يرد بها على أسئلته ، وذلك
النغم المتعثر الذي يحدثها به عن أشياء نافعه بينما هو يضمن
صمته بين كل عبارة وأخرى ههنا الحقيقي ، وهذا الخيال
الذي يجمع به يرد أن يصور له كيف يبدو الآن وهي
نحاطبه ، وهذه اعكره السحرة التي بداعبه وتوحى له أنها
ستدعوه ليذهب إليها ! بنت هي وسائل سباق الحب .. غير
أن الحواس الخمس هنا قد تحلت عن أعائها للأذن وحدها
فلم تقو الأدب على حمل هذا السوء كله ، مقوى بذلك مساعد
الشك !

وفي الاجتماع انالى تقوم الحواس الخمس كل بصبيها
الطبيعي ، ولكن مدار عملها بطول ويعرض ، وتوسع فيه
المنافذ ، وتتعدد السبل ..

و - أهمية اللقاء الثاني !

المرء مجبول على المعجل برؤية منظر ساحر ، أو الاستماع
إلى لص رائع ، أو الالتقاء بحبيبته مرة ثانية .. من الرهبة
والاضطراب ، والدهشة والسؤال ، واشكك والشبهة ،
تحول كلها دون أن يستمتع المرء في المرة الأولى برؤيته «روما»
مثلا ، أو الاستماع إلى « السيمفونية » الحامسة لبيتهوفن ،
أو - على الأخص - الالتقاء بالحبيب الذي اختاره ! ..
أما زوال الدهشة ، والأطمئنان إلى حسن الاختار ، وتحول
الحب والحياء إلى انقسام رقيقة ، فلا يحدث كله إلا عند
الاستقاء الثاني بالأشخاص أو الأشياء التي احببنا !

أجل ! .. فنحن ينبغي ألا ننسى سحر اللقاء الثاني ، الذي
هو في الواقع بمثابة اللقاء الأول الذي نعيش معه ككامل
حواسنا وجميع كياناتنا .. فهناك ينساب سيل من الاطباع
والخيالات والأحلام التي تؤكد لنا ، وتقرب إلى ادراكنا ، أننا
قد امتلنا حقا الشخص الذي وقع عليه احسنه في اللقاء
السابق !

واللقاء الثاني هو الذي يسعنا منه تقدير الموقف تقديرا
واضحا بينا ، وتحليله تحليلًا مطبقًا ومعقولًا ، ولنتذكر معه
تمكينا قويا مسبقا ، ينتهي بنا إلى الإنصات لصوت قلوبنا وهي
تصرخ منا أننا احبنا الاختيار فلم نزل ولم نخطئ .. ومن
ثم نذهب نحاول ، من هنة ثابتة ، وأسلوب حوارنا .. أن
نؤكد للرفيق المختار أنه بدوره قد احسن أخيره فلم يزل ولم
يخطئ !

ثم تجمع بالرفيقين الرغبة في التعميل بقطع الدرب . ماذا
هما يضربان صفحا عن كل ما بدر منهما ولم يرق لأيهما :
كعبارة املت بها اللسان أو حركة رل بها الحنا ، وإذا هم
بحث سار ابتداء رضائهما بالام ، يحاوي كل منهما استدراج
صاحبه عن طريق التساؤل الكثير إلى كشف النقاب عن
الماضي الخفي !

.. والزياره الأولى !

ولعل زياره الرجل الأولى للمرأة التي احبها . من
الأهمية بمكان كبير .. فهناك يسبح في حنقة
ذوقها ، وحذا لو كانت لها حجرة في صبه يسود ..

سبحه يردحم فيها الأثاب والرياش .. كما أنها عذد رمارها
الأولى لمرله سبى إلى رأى فيها سمعه .. وفيه سعيها أن
تهذه إليه من مون ..

والرجل في مثل هذا الموقف يكون موضوعي النظره
والرأى .. يكونه يغفل اللون الأحمر على ما سواه من ألوان ..
نفسه عن ميولها أكثر مما ينسج شخصها لديمقراطية على
ما عداها من النظم ! .. وإذا كانت ترعى طائرا في قفص ،
فإنه يستخلص من هذا مقدرتها على ابداء العطف - وجبها
الشديد لنفسه في الموقف نفسه ! .. كما أن الضريقة التي
يحمل بها قطب وتضعه على ركبته وتمرر بأهلها عليه ،
يوجه إلى الرجل أكثر مما يوجه إليه آراؤه في الحرب
لصالحه الثانيه .. ما يعقل فلما يساعد على إتمام الحب
وانكائه ، بل قد يخفقه في مهده !

وقلما « يصحت » المرء في هذا اللقاء الثاني .. إنه يتكلم ..
ويكنه يحمل كلمته كل ما وسعت الكلمات من المعاني
بحسنه ! .. وفي تخصصه التي يتغل بمكب التحسد من لطف
حصرتك إلى التجاوب لطف « أنت » .. تنبعث انفسه مره
في جسديهما كما انبعثت عنهما تلامست الأيدي ! ويصطح
الرعبه الحسنة في أحبيس عديد لأول مره بصره روحه ،
وعاليا ما تبدأ الشفاه التي فرغت قوا من التقبيل ، « بوا »
سبعين لطف « أنت » .. ولكن حتى إلى هذه المرحلة ،
يكون الطريق ما زال محتجا إلى مزيد من التمهيد .. من شك
رجل .. وحلل المرء ، واستأجو واللكؤ من كليهما .. فذ منون

كلها دون تلاقى الشفاه ، وتطوح بالقلبه إلى موضع من أحد
الأسس .. أو الشعر الداحي .. ظل يجذب الرجل رعب
طويلا .. وهكذا يطل الإنسان بحمار المساق - ريب
جارب .. وإن مرصه التراجع صاحبه .. إلى أن سلاقي شدة ..
فليس عبر القطة لحاره اصادقة حسه بوقع مثاق حبس
الرفيقين !

القبة الأولى .. واللقاء السلاح

والقلبه الأولى هي بصره السحول الدشقة في كل نص ..
عرام .. معى تؤثر في علامه الحسب احدهم بأحر أكثر
من يؤثر استسليم الهائي ، ذلك أن اقله في حد ذاتها سطوى
على معنى استسلم البائي .. وهذا حذفاً لكفاح .. آخر الحسب
عن أى كفاح آخر ، فهو كفاح روحى ييقل فيه المرء من نفسه
وروحه ، وإن لاح أنه يغتم ويكسب ! .. فبينما المحب يريد
كل لحظة يمر عليه ماء في محبوبته .. لأنه يعيش في حبها
ويستششق عبر انفسها - ومن ثم حجابها نصا ترداد سى
وثرء مسمدن من حياته - إذا ما قبله الأولى ترعفه كلمه
إلى عالم طلق منزه من كل غرض .. وتقودهما لنفسوة ..
والرهبة المستعذبة التي يملك على الأحص الحسب الخبير
النفس .. إلى أبواب الفناء .. حيث يحسار في تلك اللحظة بعب
قد وصلا من منافع الحياة إلى مسدها لأصبي .. وبعد هو
السرى أن العائق ينزع إلى لوحدة ويهوى إلى العزلة ..
كى يحقق في سماء خدائه اتصاله الروحى بهد حب .. سم
كما ينشد الناسك العزلة ليعبد .. وخم سلبو سنا
لنفسه كى يؤلف لحنا ..


وبعده بسبع ر سجدت ذلت أحب الذي يرمع إلى سماء
سببه لأولى ميوز الحبس بو انتهى أجل الحب كله هناك ،
ملا يعود يعرض بعد ذلك لا يبخسه قيمه ، ويسلبه جوهره
.. ما قبله الأولى هي جوزاء سماء الحب ، ولن يدانيها بعد
ذلك في المنزلة شيء !

ومع هذا كله مبروم مصفية لا يبدأ إلا بعد القنبه الأولى !
مقد لا تهرسون سخطا ، وقد تهر أعوم ، بين القنبه الأولى
وبين إلقاء المرأة سلاحها .. وغريب أمد هذه العشرة أو
أطالها يعتمد دائما على شخصيتي الرجل والمرأة ، وعلى
محرمتهما ، وما كان بينهما من ماض .. فالأمر كله يعتمد على
الدوق دون العاطفة .. وقد حاد ما يعثر العاشقان العريان
في تلك الفترة نسي أقيمت القنبه الأولى ، أقتنه حطمتها من
نجدته والتجربة ، من أن مجرد تنكير لعاشق « العرير » في
أنه سيهوى من عيبه سماء الروح المنزهة إلى أرض الحسد
المفروض ، قد يدفعه أحيانا إلى الانتحار !

الحب الأول ، ينتهي به الشاب والفنان

وأكثر من ينتهي بالحب الأول هم ذوو لمشاعر المراهقة ،
والأمس لحائقة الإحساس ، الذين يطوح بهم الحب إلى عالم
صعوله المرح السعيد ، ولكنهم في الوقت نفسه يحسون أنهم
قد لقي بهم في عالم غريب عنهم ، وإن يكن أبهج و أغنى ..
ما من من يحوزو عيد شباب ، ملا بعدل الشاب في
شوته بالحب ، إلا الفنان !

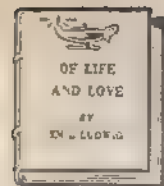
ولما كان الرجل يجرب احتدام العاطفة وشيوعها في زمن
الصبا ، فهو لذلك حليق — إذا ما تقدم به العمر ، واستقر
به المطاف ، واطمأن إلى الحياة — أن يرجع الطرب إلى زمن
الصبا الذي انقضى ، وعلى شفتيه ابتسامة هي مريج من
الاشفاق والسخرية مما يسميه حبه الأول .. متراد وقد انترن
عقله ، واكمل إدراكه بتقدر ويفتكه بما جرى له في عهد
الصبا الجائش المضطرب .. ومن هنا كانت الصخرة التي
تتحطم عليها كثير من الزوجات : فالمرأة إذا تقدم بها العمر
لا تسحر من الحب ولا تستهوى به .. فهي على نقض
الرجل لا ميل إلى النظر إلى الحب كمجرد متعة للحيال
والقلب ، وأشد ما تلتفت عاطفه المراه فيها بين الثلاثين من
عمرها والخمسين . أي في ذلك الوقت بعينه الذي ينتشل
منه الرجل بالكناح من أجل الوجود ، والثروة ، والمركز ،
والشهرة ..

وهذا الشاب في مراحل العاطفة بين لرجل والمراد مرجعه
إلى الطبعه الحيوانية في كل منهما : عارسته نحوه أنه يحبه
في الرجل تسعى إلى أن تطلق ويحلل من ذلك الضغط الكبير
الواقع عليها . وبهذا فالرجل أقل ميلا ، بل أقل مقدرة على
إطالة زمن الحب من المرأة التي تدفعها الرغبة الحيوانية إلى
الحصول من لرجل على أكثر وأكثر .. وهذا هو السبب في
أن أحب هو العصر الذي لا تستغنى عنه المرأة أبدا ، في حين
يستطيع الرجل أن يستغنى عنه  على الدوام
لفترة مؤقتة على الأقل !

وبينها الضبعة تقود المرأة في المسالك التي تؤدي إلى الحب ، ذلك الحب الذي لا يفسد آثاره إلا بآفات الأطفال ، إذا بالرجل يقع من هذا كله بالضعف من ضغط حواصره ورعايته ! وقد يحطم الرجل الزواج بدافع من كبرائه وعيوره ، أو لكي يقع بحسه منه ما زال شاكاً وإن تقدمت به السن .. وقد يحطم المرأة الزواج أيضاً ولكن بالاندفاع وراء خيالها !

وإذا كان رمز شعوب العاصمة في الرجل يتقدم من شبيبته في المرأة ، وليس بحسب إدراك ينشأ الحب بين شاب وس امرأه بموقعه سناً ، ومثل هذا الحب يفسد الحس ، إلا أن معطيه ينتهي إلى مأساة .. فالمرأة المكتملة تستمتع بلذات الحب من جديد في ظل الشاب ، وترجع بها طبيعتها كإمرأة ناضجة أي مرآة من السعادة لا يوصف ، كما أن الشاب بدوره يسلم ، في ظل امرأة تكبره سناً ، من لارثته والرهبة التي تصاحب زواج اثنين حديثي السن .. وتتجلى روعة الحب كفن يمكن اكتسابه والتدريب عليه ، في شباب وفتاة حديثي السن ارتبطا بالزواج ، ثم أحداً - بعد مضي وقت قصير أو طويل ، أو ربما بعد أن احببا أطلاقاً - في التعلق بأهداف الحب واكتفاه أسراره !

وفي الفصل التالي ، نقرأ مع الجزء الثاني من هذا الكتاب الممتع !



(٢) دنيا الحب والسعادة!

للطبيب الألماني الشهير "اميل لودفيج"

مع «لودفيج» .. في ركب الحب !

قدمت لك في العدد الماضي من «كتاني» الفصول الأولى من كتاب الفكر الألماني الأشهر «أميل لودفيج» : «نينا الحب .. والسعادة» ، ورأيت معي كيف يقع الإنسان في الحب — طبقا لمطابق المؤلف — وكيف تبدأ قصص الفراق بمعركة أو صراع بين جسدين — وإن يكن صراعاً من نوع خاص — إذ تنتهي المعركة بين الحبيين بانتصارهما كليهما ، لا بانهزام أحدهما وانتصار الآخر ، كما في سائر المعارك .

وبعد أن أشار «لودفيج» في تلك الفصول إلى أن شرارة الحب قد تنولد من مجرد التقاء العينين ، أرشدنا إلى سحر المرأة وأين يكمن ، وشرح لنا دور التشك في إخفاء الفراق ، وأثر القيلة الأولى والزبارة الأولى في الهاب جنوته !

والآن نعال نقرا معا الفصول الثالثة من هذا الكتاب الممتع .. (وقد حرصت فيها على استعمال لفظ «الزوجين» مكان لفظ «الحبيين» في مواضع البحث الجنسي ، بحكم اختلاف مدى الحرية الجنسية والقباليد بين بلادنا .. وبلاد المؤلف !) .

هل تصبح المرأة هي البادئة بإعلان الحب ؟

أما أن الرجل يسعى له أن يتخذ دور البطل في لعبة الحب ويكون هو البدء المحرر ، فهذا هو الوضع الذي ارتضاه الأول — وويل لجيل يقلب الأوضاع ! — فلا المرأة المسترجلة ، ولا لمرأة العبقرية بتأدية أبدأ عسى أن تكون البدئة بالمصارحة ، بل ينبغي أن يبدأ الرجل كل شيء .. وليتق من أن المرأة قد دبرت من ناحيتها في الواقع كل ما يحصها ، وتذريعت بكل ما يجعلها مرغوبة منه ، مشتهاه .. فكما أنه قد انتقى رباط عنته ، وتحرى أن يعحبها ويسرها .. كذلك هي قد انتقت عطرها ، وأسباب زيتها .. وهذا الثوب المحبوك ، حتى لو كانت تثق سلعاً أن مارسها واقع لا محالة في أسرها !

.. وبمرور الأيام مراهما يختبران أحدهما الآخر بوسطه ثالث ، وفي وجود رابع وخامس .. فالرجل يقارنها وهو يربتها عن كتب بامراه أخرى تدلف الآن من الباب ، ويرقص قلبه طرباً عندما ينتهي من هذه المقارنة إلى أنها أجمل من الأخرى وأكثر جاذبة ! .. وهي تدورها مغارب سه وبن زوح صديقتها .. وأنها لترتعد لما يحتمل أن يجيب به عن سؤال وجه إليه الآن .. ثم يصفق قلبها له استحضاراً وتنبؤاً . نفسها على حسن اختيارها عندما تراه بأمر مستمعته بطلأوه حديثه ، وخفة روحه ، ويسبهم بحسن استماعه وحمل صبره .. فإذا ما انصرف القوم عن الترميم بقدر سكت «السباق الخفي» ، وغمرتتهما معاً شيرة الخيرة والانسار .

وعندها يدعوها إلى « السيمين » أو لتناول الطعام في يوم صحو مشرق . ثم ينادي بعد ذلك غريه كي يعلها . يرى حانسا كثيرا من الخلق ولا يصطرب قد شاع في نسيهما . . . مقصد اقتراب الساعة التي سيمسك بها فيها . دون شك . . . من يديه . . . وبعد هذه الإشارة الأولى . . . التي ربما حوت قليلا وسبقتها لمسه خفيفه من الساقين . بدأ غرو الجسد . . . وهنا ، قد يكونان تناقضا من قبل في أخطر الأفعال . وعرضا اجرا الآراء ، ولكن اللبسة الأولى للبدن تسرى فيها بسرى الانذار ، وتنقل المرأة إلى ما يشبه الغيبوبة . . . فلا يعود في تلك اللحظة محس شيا ما يتصل بالروح . ولو أن ساعدت وربما أشهرها قد تمر قبل أن يتم الغزو المنتظر !

غير أن هذا الاتصال الأول للبدن في البعرة - حتى وإن كانت المرأة تتوقعه - يعنى قرارا حاسما قاصدا ، ويسيطر كي ما تطوى عليه الظروف افضله . . . وليس هناك ما يمكن أن يبدى هذه الإشارة الأولى في كل ما يحدث بين الزوجين . . . وما أحس الرجل من قبل مثل هذا الإحساس عديدا قبل بدنها بعد أن تعرفه بها ، فإن لبسة من قفازها الآن تعنى تسللها له ، وتثبت الاضطراب في كليهما !

الحب الجنسي صورة من صور القتل !

وإن « غرو » لرجل للمرأة التي اختارها ، ويعدده مع ذلك من الدائيه ويحميه . ويبدده الظلمات التي تكسب علاقتهما أحدهما بالآخر . يبي بمبه تحتاج من الحراء والاندس الذي قدر كبير . . . فإن أصبح لاندس وقواها تحشى العري فندر ما ترعب

عنه ! محامز البرء القوي إلى امتلاك الشخص الآخر ، ورعيه ابحامه . لا يمكن أن تقتدى إلا في وقت من أوقات الذهور الذي يشبه زهول المخدور أو المجنون !

وهؤلاء الذين بعد أن مرعوا من الاحساس . ومن خطوات التمهيدية جميعا . قد صرخوا الساعة اشبه بعد النهر مثلا موعدا للقاء « حسي » . إما هم الأشخاص اقتبطوا الحظ من المعرفة ، الضئيلو النصيب من الخبرة ، وإلا لما انتهوا بعد أن بعوا سب الرشيد والتضوح إلى مثل هذا القرار . . . فإن مساء صاحبها . حافلا بالرقص والفرح . سعه في هذا المجال أن يؤدى تأثيره على شخص لم يقر غرورها بعد . وأن يقربها أحدها إلى الآخر . حتى يصبح تسللها محسوبا ليس منه بمنص . مما زال هذا الثلاث الأربى . ابرقص . والحمر . والموسيقى . إلى يوم هذا . هو القائد المحك في معركة الحب . . . ولعل هذا هو السر في أن لرجال اندس بهيون الحمر ولا يقربونها لا يعرفون من الحب لا فطره من بحر ، كما أن النساء اللواتي يغرن من الحمر قد يتروهن ويتجنن أطفالا . ولكن لا سمعن قط أن يزعم أيهن عرغن الحب المطلق . . . والذي يحدث في الساعة الأولى لتسليم أيها هو انحنون ! ولعل الحب هو الصورة لأرية العاطفه من فتل الأح لأحيه منذ العصور الطلعة ! - ميسات سميت كافة الأوضاع التي تنظم حياتنا : قبدلا من أن يعطى لرجل جسده حتى في مواجهة رجل مثله ، وبدلا من أن يعطى المرأة حدرها كلها أو ليل الليل . إذا سلشى الذي لا يتساقط . . . إذا بالرجل والمرأة سجودا أحدهما . . .

وبحليان سبل الحيلة والحد . . وإذا ما أحب نعم النظر
متعجبا مأخوذا في عنى حيله ، يحاول أن يستشف
ما تحجبان . وإذا بمنرات انسكون الواحه الساميه تملكه
وتسيطر عليه . . تلك الفترات التي صورها « ماجنر » في
مقطوعته « ترستان » . وهنا تتجلى أوامر القرى المتببه
بين الموسيقى والحب : منها فقط تحمر العواطف المحتاجة
الثرة المرء رعبا عنه ، إلى تحقيق كل مطلب تعرضه عليه
هذه العواطف . والواقع أن مرعب أثيب فقط من دوحة الأمن
هما اللذان يمثلان الحب ويمثلانه بصورة مباشرة : الرسم ،
بما بخلق من احساد نديعه متسقة ، والموسيقى بما تخلق
من نعمت تتجاوب مع عواطف البشر . أما الشاعر فليس
بقادر على أن يصل إلى مرتبه هذين الصين الكاملين اللذين
جمعوا لتأخيه الحسيه وما وراء التأخيه الحسيه من عواطف
البشر . . وأروع الشعر قد يقرب الموسيقى ، لكنه لن يقارب
قطر وسع « ليوناردو » أن يحمله لوحاته المرسومه من
معانى الحب . . . أما القصص والمآسي فهذه تملح دائها
مشكلات اصطدام الحب بالمجتمع ، أو اصطدامه بمشكلة
الطبقات ، أو بما يشبه هذه المشكلات مما لا صلة له البتة
بمفاهيم الحب الأساسية . . فالمعركة التي تدور رحاها بين
طبعين ، مهيأ لاتحادهما ، قلها بصورها شاعر أو ادب .
يمثل القوة التي بصورها بها موسيقى أو رسام . . فما
استطاع شاعر أبدا أن يصل من « القرار الحقيق »
لعواطف الحب إلى ذلك المدى الذي وصل إليه « كارمن »

و « اسكاميلو » في أوبرا « كارمن » عندما سكبا روحهما
سكبا !

وتكون « صدمة » انقلاص الأول شاملة ، فلا يقد الرجل
منها إلا ابتسامة المرأة ، ولا ينتقل المرء مما احاط بهب من
خوف إلا احساسها بحماية الرجل ، ما أحدا منهما قد لا يكون
جرب مثل هذا التقارب الشديد حتى مع أكثر حالاته اليه
والتصاقا به . . . وهناك تبدأ الساعة ، بل تبدأ ساعات تأخذ
فيها كل منهما في « دراسة » صاحبه بعين لا بكل ولا بمل ،
ولعمر دهرتهما يلتقي كل منهما بصورته مرتسمه في عنى
صاحبه . . وتتقلب المعزة إلى ضرب من السحر عندما تلتقى
عين عسليه بعين في مثل زرقة السماء ، أو عين في مثل سواد
الليل بعين في مثل صفاء النهار ، ماذا بالشوة تأخذ الحسب ،
والسحر يلهما في سكونه العجيب . . مبظران ، وبقاربان ،
ويتسلسل ، ثم إذا بهما لم يعد لهما بالجسد إحساس ، ولم
تبق لهما إلا روح نشوى !

. . . وحين يصحو كل منهما في الصباح ، علا بعد نفسه
وحيدا في فراشه ، يبدأ أروع عهد في حياته ، بحث لا يعدل
ذلك الصباح شيء آخر في الوجود !

أي الجنسين أكثر استمتاعا : الرجل أم المرأة ؟

وهنا أيضا ، وفي هذه المرحلة ، تكون للحلوة الثالثة بين
الزوجين الحبس أهمية قصوى ! فكما أن الحانع لا يشبع
نهمه أكلة واحدة لذقة فاخرة ، كذلك الزوجان ينعم لهما أن
يتعرضا أحدهما على جسد الآخر في تمهل وأناة . وكما أن

الباقي هي انى يسعها ان تقص عليك قصصه السعادة الحقه ؟ .. وعالم ما يكون الرجل هو الذى يحب طس لمرة او يصدمها فى أحلامها ، مقبلا تحب امرأة طس الرجل او تصدمه ، إلا ان يكون بغيا أو قسعه فى حائلها دور ان يدري !

فالزوحان اللذان يمتزجان توا أحدهما عن الآخر بعد ذاك الاتصال الأول هي اللذان يفتقدان الحب ، عاقباتهم سريعا يعنى أيها يفتقران أبدا ! .. أما هذان اللذان يطران أحدهما فى عنى الآخر فى سكور ولعنة طويلة بعد ذاك ، معهما أسدان بحسبان حقا أنهم أحسن الاختيار ، فإذا بهما حلقان معا فى جوزاء السعادة ..

وأيه لتسأل عقيم لا محل به ان نتساءل ، أى الاثنين - الرجل أم المرأة - نال حظا أكبر من الاستمتاع ؟ .. معي كما هي الحال فى السعادة - ليس ثمة مسئل مرسوم ، يعنى إلى السعادة ، وإيها تتوقف السعادة على طبيعة الساحث عتها ، الساعى وراءها ، وأما ما قاله « بياسر » الحكيم - (الذى زعم أنه كان امرأة مدى سنين طويلة) - - من ان المرأة تحس من السعادة تسعة أضعاف ما يحس الرجل . فلا بعدو ان يكون خرافة ماضية ! صحيح ان هناك سماء تدوى فى أعماقهم صرخات الحب مثير مبن شهوة حامية قد يعجز الرجل عن إطفائها .. وصحيح أيضا ان هناك رجالا يرتمون كأنصاف الجائز فى احصاء أنصاف العذارى ، مبطل هؤلاء بارذات النذر ، راعيات الروس كالم رر .. - - - قد يسفرن فى فلسفة مجوجة - بينهن وبين أنفسهن - هؤلاء

لطبعين المبتالين بحاران أحدهما الأخرى من أول نظره ، إلا أنهم ترددان حصره من خلال تكرار التفاتهما ومحادثتهما ، كذلك أحب الجسى يحتاج إلى أكثر من أنصاف واحد لكى شفى عليه . وإيه لمن الصعوبة بكان ان يكشف المحصل سباب عن أعين أسرار السعادة فى حب . من المرة الأولى . منيما يصعب على عازف البيانو أو الكمان ان يصيب بحا كاملا من أول تحريره ' .. وهما وفى هذا الوضع بالذات قد سنهى كثير من رجات الحب إلى مائة ! .. غشى ذلك الوقت يكون كل منهما عند بدل جهده كى يظهر للآخر فى أحسن مظهره : رقتا ، رحيما ، مكررا لذاته .. وهما قد كانا كذلك حقا .. لكن إبرارات عدهما مد زدت وصحمت من رعاتهما ، وحدث بكل منهما إلى التلهف على امتلاك الآخر !

وهما عينا الروحة بعد ان كانتا نظران إلى رحلتها فى حارة أو فى عموص ، قد أصبحتا الآن ينظران إليه فى استكبة وخضوع . وهذه اللحظة هي أشد اللحظات خطرا ، معنيها تتوقف النتيجة الحاسمة : فلما ان تصل رغبتها إلى مداها . وعندئذ تمتد عاطفه الحب إلى ما شاء الله .. وإيها ان تقفل هذه الرغبة راحمه - متطوبا عجله الحياة ليومية التى سور فى سام وملاك !

أما المثل اللاتينى القديم القنثل بان كل أناس ينسبون إلى اليوم والكافة بعد الاتصال الجسدى الأول ، فهو مثل يصق فى تسعة وتسعين فى المائة من الحالات ، ولكن الحالة الواحدة

المحبين الوالهيين ! .. ولكن ما سميها بالمراد الباردة التي
يفرح بلقائها أطباء لاعصب ! — قلها توحد ، كما أنه قل أن
يوجد الرجل الذي لا يضحك أبدا ! .. وقد يوجد النساء
« المعقدات » المفكرات اللواسي لا يبدين جهدا للوصول إلى
ملاذ الحياة الجنسية ، لكيهن في قرارتهن يرغسن في أن يهرمن
ويسلمن . ولو أنه ليس في « معركة » الحب مقتصر
ومهموم ! .. كما أننا قد ملتقى في ميادين الحياة الأخرى
بأشخاص لا يريدون أن يعرفوا ولا أن يسمروا ، وهؤلاء هم
المحتشون ، وهم موحودون بين الرجال والنساء على السواء !

٦ — المرأة الجميلة لا تنفع في الحب !

يقول العارفون بسواطين أمور الحب ، أن الاستمتاع
بكتشاف بدائع الجسد الإنساني لا يناله من المحبين إلا الأقلون
.. والواقع أن الرياضة البدنية قد غيرت في خلال السنوات
القليلة الماضية معنى الحب عند الشباب .. ولكن ، ليت
شعري ، كم زادت الرياضة البدنية من جمال هذا المعنى !

ماخفلاط الجسسين في فصل الصيف وقد تعرت الأجساد
إلا قليلا ، قد جعل الجمال واجبا وعادة .. والدراجة ذات
المقعدين وقد جلس عليها الرفيقان وانطلقا في نزهة جميلة ..
والسيارة وقد ركها الحبيبان وتولت المحبوبة قيادها في تودة
ودلال .. لعمري لم تعرف الدنيا من قبل مثل هذه الصور
للحب الجنسي ، ولا استمتع الإغريق أنفسهم بنظائرها !

غير أن الجمال ليس إلا بعضا من الحب . والحب الذي
يكنه الرجل للجمال وحده لا يدوم طويلا ، بل هو معرض دائما
للمعرات المطلبة .. فعندما التقى « جينته » ساحل امرأة في
عصره ، انتظر اصديقوه على أحر من الجمر كي يسمعوها منه
كلمة امتداح أو أطراء .

وقد أبدى إعجابه فعلا ، غير أنه أرفف بعد ذلك بقول :
« إن جمال المرأة أسارع الخلل غالبا ما يقف كالسر بها
وبيب التسليم ! » .. والواقع أن الرجل الذي يحب لا يلحظ
في الحقيقة الجمال ، بل هو يستشعر السحر محسب . وإذا
كانت المرأة الجميلة تعيش للجمال وحده — دور المتعة — فإن
الواجب على حبيبها أن يقصصها عنه كلما اقتضى الأمر ، كي
يزول عنها نوترها ونمورها . ولذلك فإن الرجل ذا الخيال
القوي إذا خيم بين أختين ، إحداهما جذابة والأخرى جميلة ،
يختار الجذابة دون الجميلة ! وكثيرا ما ترى في الأدب القصصي
أن البطلة ليست بارعة الجمال ، وأن منافستها البارعة
الجمال فيها كثير من الروحية ! .. وأقرب مثل على ذلك — في
ملحة (ملوسيه) — هو القراوح بين «فاوست» و «هيلين» ،
ذلك المثل الخالد من أمثلة الاتحاد بين الروح والجمال .. وإن
كان زواج مثل هذين الزوجين قلما يستمر طويلا !

ورغم أن أعيننا تستمتع اليوم بما تقع عليه من رؤى الجمال
الإخاذ على الشواطئ ، كما لم تستمتع أعين من قبل ، إلا أننا
نجد أن هذا الإحساس الشديد بجمال جسم المرأة — من
شأن الاستمتاع بالحب ، أو من شأن الفن ، في عصرنا هذا ..

إلا لذلك العنصرى الذى يصيق عيها الحق 'مدا طومس' .
مقد أصبحن من أندر الأشياء فى هذا العصر . . . لقد عقدت
العدراء سحرها كله ، مثلن النوم بضمون آدابهم عن
سماع موسيقى « عاشر » إذا ما ظهرت كاعب يعوب باهره
الأنوثة ، إلى جوار عدراء برهنه الطرات « صمعة العيون . .
فى حين كانت الموسيقى فى شبنامها هى مثل الأذى الذى يوقع
به الفتاة فى شباك حبنا !

وأما وثيقة أرواح التى يسرى معمولها المبر كله . ملا رب
أن المشرع سوب يحرمها فى المستقبل ، باعتبارها تبدا مجردا
من الأخلاق ، تهاها كك يفحص المرء محاوله إنسان الرجل
إلى القطب الشمالى فى حين أنه لم ير من قبل حالا ثلثه ،
ولم يجرب العشى عيها . . . ولعل رواج تجريرا لمدة خمس
سنوات — كما اقترح « جينه » — قد يكون العلاج لهذه
المشكلة الخطيرة !

أيها أقوى فى المرأة : الأمومة أم غريزة الجنس ؟

وإذا كانت لعنة فى هذا العصر قد نالت حق احصار الروح
— كما يفعل لعن — عاته لا يسعى أن يتم بها هذا إلا إذا
اكتملت معرفتها بطبيعتها البيولوجية وباحيادتها الجنسية .
وهناك قول يزعم أن غريزة الأمومة عند المرأة أقوى من غريزة
الجنس ، أى أنها تنزوح بعينه إنجاب الأطفال أكثر مما
تحتوها إلى ذلك رغبتها فى الرجل نفسه . لكن الحالات التى
ينطبق عليها هذا القول مادرة شبة لا يغاس عليها .

ذلك أن مجرد الإحصاء من شأنها على فى هذا العصر . وتكرس
القيود وبمكنها ، كلها قد اقتضت عوامل اسريه والتحط الذى
هى أول دواعى الحب !

فتاة اليوم . . وفتاة الأمس !

وبعد خطأ هذا تحليل خطوه واسعه فى سبل لإقدام على
الحب . ولعل نحر المرأة كان أكثر حدث دى معرى فى خلال
قرن من الزمان — فهو أهم بكثير من تأييد حق المرأة فى
الاستحاب — حتى لسوح أن قروبا صوبله سرق بين مائة عاشت
فى عام ١٩٠٠ ، وأخرى عاشت فى عام ١٩٤٠ . . كيف لا وقد
كانت الخطيئه تحجم عن محالسه خطيئا قتل عقد غرائبها
عنه ، مادا خطيئه اليوم نذهب فى رحله طوبه مع صديقتها
بمفردها !

واظر إلى شباب الجيل المعاصر . يجدهم لا يراعون من
الوان الأدب إلا ما سبب القلق والاضطراب لآبائهم . . . لقد
احسنت أو كادت تضى معالم ما عالجته « أس » وما صورته
أورا « ترايانا » عن مشاكل الصراع بين حق المرأة فى الحب ،
وبين تقاليد الأسرة وتراثها . ذلك أن يرث الأسرة وتقاليدها
قد انهارت وبخطمت بدورها . . كك بلاشى من أكثر بلاد أوربا
وامريكا بهذا العذبة أو « العمام » الذى حركة الشعراء فى
كل الأمانة ، واستثار الآباء وعمداء الأسرات ، من عصر
الفروسية فى القروب الوسطى إلى عصرنا هذا . . بلاشى منذ
أحدثت المرأة من بينها رمام حقتها فى حماه نفسها بنفسها . .
وأما العداري ذوات الكرباء اللواتى لا يسلمن فى معركة الحب

وحرية المرأة في أن تنصرف بحبها كيف شأنت ، وإن كانت حربه جديده عليها ، إلا أنه لن تغلج دولة من دول الأرض — مهما تحاول — في تحطيم هذه الحرية التي اغتصبتها المرأة ..! وأكثر معوان للمرأة على الاحتفاظ بهذه الحرية ، تلك الحقيقة الواقعة وهي أن جسد المرأة ملك لها وحدها ، ولو أن الشيوعية حاولت — على غير ظلال — الرجوع انتهكها بهذه الحقيقة إلى القرن الماضي !

وبرغم أنني أتوقع لحرية المرأة هذه أن تبتذل ، وأتوقع للحب أن يفقد سحره — ولعله قد سحره فعلا عند الكثيرين ! إلا أن مثل هذا الحب ، في عصرنا هذا ، سيظل كمثل السبابة .. فكما أنها لم تمنع بعض الناس من ممارسة رياضه المشي ، والتمتع بمشاهدته منظر المدينة عن كثب ، وكذلك سظل عند بعض الناس الرعب في الاستماع بالحب واكتناه أسراره !

٧ - المرأة والحب .. في فرنسا ، وإسبانيا ، وإيطاليا

لا شيء أقدر على تمييز الشعوب بعضها عن بعض مثل شينيين : الموسيقى ، والحب ..! وقد برع الألمان في الموسيقى ، أما الفرنسيون فقد برعوا في الحب ..! غنابريس هي المدينة الوحيدة في العالم كله التي يقطع الرجل فيها أن يقتل امرأة في الطريق وهو آمن شر غمره متطفل أو استسامة ساخر ! وباريس ، ابتداء من محال أزيائها إلى مصانع حكومتها ، إنما هي مدسة تحكمها النساء ! وقد كتبت باريس تاريخ الحب في الغرب ، وكيته ومق ما أرادت .. تمحصل هذه المدينة الواحدة من الأدب قد غير مذاق

الحب ، وشكله - ولويه .. حتى أن الحب نفسه يحل هناك عن مكانه لرويق المطر وجمال الزينة ، بحيث يدر أن يسمع فرنسيا يصف امرأة بأنها « جميلة » وإنما هو يصف بها « رائعة » أو « فخمة » !

وفي باريس - حيث لا يدهش أحد لسماع أي شيء - بعد القصص التي يندى لها جسد الحياء تروى في وجود النساء - وتقص في ساطعة مناهية دون أن يحير لها وجه ..! - بعد أعيد النظر في القيم الخلقية ، والقوية - في باريس - بحيث لم تعد نرى هناك امرأة بحمر وجهها خجلا ..! إنما في أساليب وإيطاليا حيث لم يرل للعاطفة شأن كبير ، وحيث يصف المحب كل شيء « بالجمال » ، فما زالت أشجع النساء يعرفها الحياء ، وما زال الرجال يسرقون في القتل من سرور تابع إلى غضب متقد ، وما زالوا يقتلون بعضهم بعضا إذا حبه بهم الغضب ! وليس هذا مقصورا على الطبقات الاجتماعية العليا وحدها ، بل يتعداها أيضا إلى الطبقة الدنيا ..! هنا اتخذت « النساء » التمثيلية الفاحشة عند هذين الشعبين - الشأن الأعلى الذي اتخذه الميزلة أو الكوميديا عند الفرنسيين .. كما أن موسيقى هذين الشعبين تصور أهلي تصوير ما يغلب على حياتهم من عواطف ، وما تسوقهم إليه هذه العواطف .. في سبيل الحب !

المرأة والحب .. في ألمانيا وإنجلترا وأمريكا !

أما في الشمال فما زال الحب رومانتيكي - وأشد لاسامي يتقنى بالشوق إلى الموصل أكثر مما يتقنى -

وحب مدى لا يسئل إليه ما زال يحل مكانه رصفه عند
الأمس .. وأربع منه شمس الحب الذي يحيط به النعاس
وشمس .. عابرة الرومانتيكية في العيش بين الأحلام
والحالات .. بعداً عن الاستمتاع الواقعي .. هي من خصائص
سكان الشمال .. ولعل الضباب الذي يكاد يخفى عنهم
'مخزوت ويحجب الماديات هو الذي وصل بالحب إلى هذه
لمرلة الشعرية بحياته التي لا أثر للواقع فيها '

ومع ر الثماليين يحسون الرغبة الجنسية .. طبع ..
بعض خصائصها الآتية في أنه نفعه من قطاع لارنس
الاسم لا يسئلون بالصور الجنسية كبر واقع .. ولهذا بالصور
ر لانسهار .. والاكتساب .. نحل عندهم محل الرعدة الجنسية
بسيطاً لمجردة .. وهذا أيضاً هو السبب الذي من حله
يحدث شعراؤهم دأب عن « منافع الناحية الجنسية
و لأمب .. وهي عبارة قل أن تسببها من أحد بناء حوص
بحر الانبساط بدين لمحتهم شمس المشرقة ..
وعد قال حد شعرائهم في مطع قصيده له « ر الحب هو
بعداً المقيم ! » .. ولعل هذا هو السبب الذي من أحبه
لا يحل الحب في المانيا بالمقاييد المتوارثة .. بل يترك بيد
لفوضى والاضطراب ..

ونكاد المراه لإنجليزية تماثل نظيرتها الألمانية ، إلا أن
إبحرته أقل رقة ! نعم هي أكثر مهارة من الألمانية .. ولكن
مدى 'المقبلة والطهر ما تزال سيطر عنه .. ويتمتع
جوازه .. يبي حتى في وسط اقربائها أو اقرباءه يرى أن لها
'بحر أو 'التي ' بنفى أن لا يلفظ !

وليس المرأة الأمريكية حيرة بالحب كما يحسب 'الكنه و'
من المثل العليا التي تسيطر على شعبها مثل في 'حركة ..
والنجاح .. والقدرة .. وهذه لمثل العلي الثلاثة
إما أنها تتناقض في طبيعتها مع الرغبة في الحب .. وإما ب
لا تسمح بقيام الحب أصلاً ! .. في حين برع الفرنسي منلاً
في الحب لأنه سر على هدى مثل عليا ثلاثة بحل عن
نظيرها الأمريكية ، هي : الهدوء ، والساطة ، والإحساس
بالمساواة !

الأمريكان يجهلون الحب !

ولقد جعلت أقرب المحبين على شواطئ كاليفورنيا ..
كانوا عراة تقريباً ، ولم يكن يقصم جمال المنظر ولا حس
المظهر ، ولكن أحاسيسهم الجنسية أوشك أن يكون معدوماً ..
نقد اسلفوا على الرمال وكل همهم أن تصهر الشمس
أجسادهم .. ولما كانوا بشرتهم بالربط ، واحسذوا بقلوبهم
إما يتناول المشروبات « الأيس كريم » .. أو مقراءة محله .. أو
بالاستماع إلى « الراديو » وقد علمهم النعاس .. ولو أن
هؤلاء المحبين كاسوا فرنسيين ، لحدث كل أثر منهم عن
خليج ماء منعزل .. وربما أكلوا وشربوا أيضاً .. ولكنهم
— على التحقيق — لا يقرأون ولا يستمعون إلى هذه
الموسيقى الرديئة .. نعم قد يعرفون إذا ما عادوا إلى
البيت قطعة عاطفية على « البيانو » أو يستمعون إلى
« الحراميون » .. ولكن الأمر كله يتوقف عندئذ على درجة
إضاءة المكان ، ومدى سرية الاجتماع .. وهذا ملائمة
الطقس !

ويسدل دل على جهل المراد لأمريكه بالحب . بل أنها هي وحدها هي تظهر في المحرمات وقد احتت بسببها وراء لمصر برعم أنها ما زال شمسه وجمله . . . هي يبدأ مشوه جمال مظهرها وتقوت على نفسها قرص الحب !

وشه سب آخر من اسباب جهل الأمريكى من الحب . هو انه لا يعرف للموت معنى . . . معنى محصول أوروبا من الشعر . . . لدى كتب شتى عشره لمة مختلفة ، قد ارتبط الحب دائما بالموت . . . ولما كان الأمريكى يكر الموت ، ويكاد يحذر الميت عساه يرسم لوجه له ، بأنه لذلك لم يستطيع أن يعرف على الحب الذي هو توأم الموت !

٨ - الصداقة . . والفيرة . . والحب !

وبينما نجد الحب يقوم — إلى حد كبير — على نوازع الحسد . وسحدد دائما من أحضان الحسد . نجد أن الصداقة تقوم على أساس نفساني بحت ، ولهذا فإن أعلى مراتب الصداقة اندر مثالا من الحب !

ولما كتب الصداقة هي العلاقة الوحيدة — من رجل وآخر . التي لا تعرف لها بداية واضحة معينة . ولا تستهدف شحة حصة ولا غرضا بذاته ، فإنه ليس اعث على الارتياح من أن ينادى الرجل رجلا آخر لم يقض معه سوى صمغ أمسات حيلة ، قائلا : « يا صديقي » . . . والرجل الفرنسي لا يحبش في صدره شيء عندما ينادى شخصا آخر قائلا : « يا صديقي العزيز » . . . أما الرجل الأسباني فإنه يبدأ بهذه

العبارة ذاتها خطابه لرجل لم يعرف به أو سمعاه سوى مرة واحدة !

وكل مرد يذكر ولا شك التطرره أو القيله التي بدأ عندها الحب . . . أما الصداقة فقد توطئت على أثر مصالحة حارة . بل قد لا ينكر أحد الصديقين متى رعت الكلفة تجاها بيبه وبين صديقه . . . ومتى نادى احدهم الآخر باسمه مجردا عن لقب السيد ، أو الأستاذ . . . وهكذا الصداقة دائما ، لا يعرف لها أمرؤ مصدرا ولا قرارا !

ومن الصداقة والحب مرق كبير . وأكثر ما يستعين هذا لفرق عند النساء ، من أقل إقبالا على الصداقة من الرجال . . . وذلك أنهن يسكن إلى الحب . ويركن إلى الحب ، أكثر مما يفعل نازاء الصداقة والصديقة . . . وكثيرون من الرجال الذين عرفوا الحب قد عقدوا إلى حاسه صداقات وطيدة وثيقة العرى ، ولكن نغرت من النساء من جمعت بين الحب والصداقة في آن معا . . .

ولقد قال جوته : « كل امرأة تعتزل — بدافع من طبعها — كل امرأة أخرى ، أما الرجل فيحتاج إلى الرجل . فإذا لم يجد رجلا آخر خلق لنفسه رجلا . . . في حين أن المرأة يسميها أن تحيا حياتها دون أن تعتبرها أقل رغبة في خلق امرأة أخرى تصادقها ! » .

وفي وسعنا أن نقعد المقارنة بين صداقة سليمة وواج مثالي : فالصداقة وإن لم تقتصر بالشهوة الحسية ولا بما يوعر في الواقع اعظم قسط من الراحة بمرء يسكنه رجا ،

يقض النظر عن الرعب في المنة الحسنة .. مهي برود
الصديقين على السواء بالثقة في الحاة والاطمئنان إليها

والصداقة بردهر وسرعرع كلما بعثت المسافة بين
الصديقين ، معدنذ يقضي الصديق حقا ساعة هائلة معيدة
في قراءة رسالته بلقهاها من صديقه .. ماذا حدث وحل
الصديق ضيفا على صديقه ، نعم ساعة هائلة تسبح معها
الروحان في قوامي وانسجام ، وبحلقار في آفاق بهيجه المناظر
جميلة الصور .. ولأن الصداقة .. على يقض الحب — قد
حلت من كل طابع حسدى ، مهي لذلك عميقة القرار بعدده
الغور ، وهي لذلك أيضا أكثر حربه واسطلاتا .. قد احتلى
الصديق بعد أعوام من الألفه والوداد ، وتذاكر العهد الذي
بدأت فيه صداقتها ، براها بذكرى عهودا متعاده يحمل كل
منها ذكرى جميلة عزيزه عليها .. وترأها بتعاشيان ذكر
أزمه معنة مرت بصداقتهم ، وقد نشاهد أحدهما تسيان
تأها !

ماذا حدث أن ثالثا احتل في قلب أحد الصديقين مكان
صديقه ، مبنالك تنوم لوايح غير تشبه في اضطرابها تلك
الغيرة المألوفة في الحب !

وإذا شئت الصداقة في عهد الطفولة ، عائها قد تنطوى
على حيلة احطار ، لكنها تنطوى كذلك على حمله مماحات ..
فإذا التقى صاحبنا صبيحة متجاسنة أحدها بالآخر ، في مسهل
حديثها ، بحالها ما يصل صداقتها إلى أعلى درجتها .. وإن

كان أحدها قد بقصر في هذه أحواله .. أو قد صداعها ارتباط
أحدهما بالحب أو بالزواج !

وأجل صداقة هي تلك التي شت بين الأخ وخيه حين
يلتقيان بعد أن بردهر شسابها ، يتعرمان أحدهما على الآخر
من جديد .. وعلى نطق سبحة لها خبرهما من أك الحباه
ودورها .. وبسترجمان ذكرتهما بشركه .. ولكن حتى
هذه الصداقة الجملة السعدة قد يشبت شملها وقوع
أحدهما في الحب !

فالحب هو عدو الصداقة اللدود .. إذ هو طاغية عنيد
لا يريد لأحد ولا لشيء أن يعلو عليه أبدا ! .. وحتى الصداقة
من الأناء والأناء — التي يمكن أن تقم شيء من الكياسة ،
والقصر ، وحسن الإدراك — علما ما يضع حدا لها وقوع
الأناء في الحب ، حتى لو لم يعرض لأناء على ذلك ولم
بؤاحدا أناءهم عليه .. وهذا هو مش البراء الذي لا ينهى
من الحماة وروحة الأس .. فحب الروحة لروحها لا يعنى
قطعا حبها لأم روحها .. وأقل دلالة تعطل منها الروحة إلى
أن الصداقة بين زوجها وأمه ما زالت قائمة .. يؤدي بها إلى
الانفجار !

هل هناك « صداقة » بين رجل وامراه ؟

هل يمكن أن يقوم صداقة وطيدة بين سبي دماء .. دور أن
تتطور هذه الصداقة إلى حب ؟

أما إذا كانت صديقة الفتى في مس
الفتاة في مثل سن أبيها ، فالإجابة عن هذا السؤال ..

يكون بالإيجاب .. ولا تعدو الصداقة عندئذ أن تكون نرف
وإشفاقا .. أما أن تقوم الصداقة بين مفتي وفقاة في سن
مبكرة .. وفي وقت يحق للحب فيه أن يصح ويكمل ويهو
بهذا ما لا يقتضى .. رغم كل نوسل إلى الدواعي السه
وتتمسك بأهداب المثل العليا جميعها !

ذلك أن مثل هذه الصدقة تتطلب من الصّحية ما يعجز
على طاقة ابشر ! بالرحل والمراء . في نفس الحطة اني
نتره فيها روحاها وتسمو نفساها ، يذوران احدهما حول
الآخر في محاوله « استطلاع » لحساب ذلك الحس الآخر . . .
انهما - رغم كل شيء - سبحانه ان السليم الحسنى
ما زال ينقصهما ! . . وفي مثل هذه الحال قد يتيسر لامرأة
حرية محبة ان تقيم الحد وتصب الميراث بين الرعايات
والشهووات ، ولكن هذا شيء لا يمكن صمنه قط ، وقد يؤدي
الى عكس المنشود من ورائه !

والإقدام على مثل هذه الصداقة « الروحية » بين اثنين من جنسين مختلفين بمؤنا توجب ونحن نشهده ، كما هو كما يشاهد اثنين يرقصان على حبل مشدود في أمي السمرك .
أما يستتبع عندئذ مرافقتهم والتطلع إليهم في بقط وانقياء ، ولكننا في الوقت نفسه نحذو الخوف من أن يهزوا إلى القرار الصحيح !

٩ - البغض .. وهل يتفرع من دوحة الحب ؟

ما هو البغض؟ أهو عرع من الدوخة التي يمرض بها
الحب؟

إن العنصر فهو ويتطور كما يفعل الحب فهو : بسواء . .
وهو يسعى في نفس الشخص من الأذى إلى إحتياج لديه
على الأمانة أو انعودة التي يقابل بها من الشخص الذي
يواجهه . . فإذا استطاع إهداء من شخص وآخر أن يحول
تدريجيا إلى بغضاء ، وإذا استطاعت امرأة أن تنقص
أحد عما الأخرى دون أن تكون الغيرة هي السبب الأول .
عند هذه الحالات لا تمت إلى الحب صلة سبب ولله عن
طريق غير مباشر . فأسباب مثل هذا لبعضى ودواعيه حليه
وأصحه ، وهي معقله بشئون الدنيا المادية المحسوسة .

أما البقض الذي ينتهي إلى الحب . بل يشبهه من كل الوجوه ، وفي اسمي مظهره أيضا ، فهو البعض الذي يشبه بلا سب محسوس ، ويست من أسطورة الأولى . . . يمثل هذا بعض ينشأ كما هي لحال في الحب - بدع جسماني . كما أن عناصره تستمد قوامها من طبيعته الجسدية . . . ومن ذا الذي لا يذكر أن الباب متج ذات مرة . ووجه شخص به نفس جسمه ، ذكر أو أنثى ، عشاق في نفسه ، في التوا واللحظة ، نورا شديدا . يوشك أن يكون بعضه متماثله !

مبدأ ، لإحساس انجنيء الذى يبعثه عنا شدا اشخص
دور سبب طاهر ، مرده إلى الشخصية الحسنة أو إبادته
لا المعنوية ، أبى تؤثر أول ما تؤثر على جو سبب ؛ وقسم
تخطيء حواسنا ، وقلما يحتاج إلى أن نراخه أسسا . هذا
التأثير الأولى الذى يبعثه فينا شيء ما أو شخص ما . . . من
هذه اللحظة الأولى تقرر كثيرا من الأمور التى قلنا نصادف أبى

يعبرها .. مهما كما يصعب محو ما يعلمه الطفل في الصغر ،
وما يشبهه المثل « بالنقش على الحجر » !

مها هو ذا شخص غريب يدخل بابنا ، ولا نعلم عنه شيئا ،
يلد لنا عزم حتى نسميه . ومع بحر ولا نعصفه دون سبب
ظاهر .. . والواقع ان لا شيء في بسبب : لا التفتته .
ولا حشاشته نرى . ولا تجاه الميوس يشيت شمل الرجال او
يلم شعنتهم . مثله فعل الإحساس المادي .. . على حد
الإحساس يميز تمييزا حاسما بين الشخصية التي ترتضيه في
أعمق نفسك ، والشخصية التي تعاديه في عمارة كالك

عادا شاء المرء ان يعضى من حد إحساس الاول . من
البغضاء لا تتبدد عفدئذ ، وإنما تستقر في الأعماق ، بل في
أعمق مما تستقر العداء الصريحة الظاهرة !

وفي وسعك ان تجد مثله من هذه البغضاء المشهوره من
الشعوب و إحساس المصلحة صك . بل من اثمن من
الفنانين يكفى أن ينظر أحدهما في عيني الآخر ، كى تتجلى
البغضاء بينهما صريحة واضحة !

وثمة ميدان واحد لا ترى فيه هذه البغضاء المتأصلة ،
ولا يمكن ان يحس منه المرء مثل هذه الإحساس المعاجى
بالكرهية .. ذلك هو ميدان العلاقة بين اثنين من حسس
محسسين ! فالرجل لدى يدخل على امراه لأول وهله محس
بحامه بالنعص . إما يحتدبها إليه في الحثيقة عصر حب
فيه ، تحاول هي جهدها أن تكبح جماح التفكير فيه !

أو قد يلتقى رجل بامراه لا يعرفها في الطريق العام ..
امراه يخالف حسمها ذلك الحسم الذى يحلم به . ويبحث
شعبا النفور في نفسه ، وتساءل إليه عطورها وريسه .. ومع
دبت كنه معبدا يرمي سطره حاده . عالم هو سمى في
الوقت نفسه ان يعرفها وينصر عليها ، كى يهدم لنفسه
— من منظرها الذى أساء إليه — باذلالها !

ومن هذا ابتدأحل بين الحب والبغص ، في رقة الرجل
والمرأة ، بتأتى التفسير المعقول لهذا التحول المعاجى في
القصص الغرامية — سواء في الواقع أو الخيال — الذى يدخل
القصة إلى ناجعة أو مأساة !

وفي الصفحات التالية نواصل معا قراءة أصول هذا الكتاب
الممتع -



(٣)

دنيا الحب والسعادة!

للكاتب الألماني الشهير "إميل لودفيج"

فتاة اليوم .. بين المال والشباب!

بلقن بغض الآباء أودلاهم وبناتهم - وخاصة في بعض البلاد الشرفيه - أن الحب جريمة « عظمى » ، وخطئته لا يغفر ، حتى إذا ما كبروا ، وآن لأكمالهم الغضه ان يسمح ، لم يجدوا في حنايا صدورهم إلا قلوبا خاوية ، سبى .. بالفراغ !

ولقد اختلفت آراء الكناز والمفكرين في « الحب » .. أهو طريق مبروش بالزهور ، يؤدي إلى حبة السعادة .. أم هو منحدر تسديد الوعورة ، يحف به الشوك ، وينهى إلى جحيم الشقاء والنعاسة ؟!

على أن الكناز الألماني الأشهر « أميل ثونفنج » ، قد عالج هذا الموضوع من زاوية واقعية خاصة . وقد مرأت حتى الآن فصلين من كتابه الذي الخصة لك : « نسا الحب .. والسعادة » .. وها هو ذا يعود إليك اليوم ليجتلك - في فصل جديد - عن الحب بين الأمس واليوم ، وعن زواج الحب وزواج المصلحة ، وفي مدى تفضيل فتاة اليوم للمال على الشباب !

.. فتتأمل نجول معا في .. « نسا الحب .. والسعادة » !

عندما يخرج الحب عن طبيعته

يخرج الحب عن طبيعته في ثلاث حالات : في ساعد أو الحب لحيائي ، وفي العيرة ، وفي المصلا . وسبب على الحب !

الحب الخيالي :

وأسعد الناس هم المتقاعدون (أو المحبون الخياليون) ، والشاعر « حبه » كان متقاعدا عن الحب ، مدبرا عن مدابه . ولهذا احتفظ بعد سن الأربعين بشباب قلبه ، وتطلعت نسا إلى الحب . فتنعق وهو في تلك السن بامراة شغفته حبا متروحا .. وعاش هذا الرجل بعد زواجه بشط .. عاثر .. مسحا . بحيث يمكن الجزم بأنه لو لم يتزوج لسا عاش كسا عاش . ولما أنتج ما أنتج .. رغم أنه ظل متشاعدا في شبيهه . ورغم أنه هجر وتبعد أيضا في أواخر عمره !

وكذلك كان سبوس - من شبيهه الساعد .. سبو لم يدرس الحب الحسدى إلا لأنه كان يحب حبا يصرى المصادمة ، وفي صورته الخشنة العطرية ، ومن ثم سبامت عواطفه لى أعلى درى النشوة الروحية حين حلد حبه بتعام الموسيقى .. ولقد كان يعرف هذه الحقيقة ويعتز بها ، إلا في ساعات صعبه شى كان عنها يحسد الشغل الذين يستثرون دونه بالفتيات احسان . أو يسلبونه إياها !

على أن العواطف التى بدلها متقاعدون لا تقدر على حب الكم أو الكف - عن العواطف ، من مدابه .

ولمعه . عاشق الذي عاش حياته بجمع ظل مراد ماها
سنة الظروف . ربما يعيش معها في أحلامه وحالاته ، أمدا ثم
سدر الأمان . بل إن الأوهام التي يذثرها بها حياته ، يحسنه من
حسنة الأمل التي تصدده بها دسا الواقع في غير رحمة . . .
وما أكثر المفكرات الخاصة وعصص الحب التي يحدثنا عن
عشوق يعيشون حياتهم في عزلة . يبدلون من الرقة والحنان
وهم يملكون يد مرآة في لحظة خاطفة ، أو وهم يقصرون
ساعات كريمة في استطار أن يكتحل عيهم برؤية طلب يحظر
أهمهم من بعد . . يبدلون في ذلك من الرغبة اضطراب ما يدل
. . . من عشق « الواقعين » في وصلهم الطويل السعيد .

وقد عبر «جيت» عما يحسنه الحب الخيالي ، بهذه العبارة ،
« حب الذي أراه بوجهه إلى رجل آخر » سدو لى أحل
وأعزى سحرا من الحب الذي قد يوجه إلى اتنا . . . يعصند
استمع « المس سلطان القلب العاشق » بل المس القوة
و بحر . المس يصب بها قلب المحب أن بعد حتى
لذاتي جمال هذا المشهد ! » .

الغيرة :

وقد تقترن الغيرة بالحب الخيالي ، أو تكمن بين طياته ،
عسى ترى بالغيرة ولا أشقى بها من الذي داق مدعه أن يكون
محبوب وبار العيرة الصفراء ذات اللهب الأحمر تشيع في
أسس عواطف شتى . الزعسة ، والحسد ، والكبرياء ،
والانتماء . . . وهذه العواطف جميعها تتكاثر لتأكل قلب المحب
وتبشبهه ! ويتر من الناس من وهب من الحكمة والفلسفة

ما يلهمه في تلك أنساعه أن يسكن إلى نفسه ليستطلعها سب
هذه العاصفة الهوجاء التي أثارها الغيرة ! ولو انصب
المحب لسأل نفسه : ألم يحوهل منذ زمن طويل رغبات المرء
وأهانيها ؟ ألم يدعها تعلت من بين يديه بحماقته وأناسته .
وتستجيب للحب الرائع الذي يحيطها به شخص غيره . . .
أنه الآن يلقي بالذنب كله على عاتق المرأة ، وهو سعي في
الوقت نفسه لتصغير من شأن الماعص العريم . من شيء
مظهره . . وثباته . وسلوكه . ومواهبه وهو إذ يرى نفسه
قد حرم من حب كان يعنى في مطره أكثر مما يتصور ويدرك .
لا يحظر له قط أن ينقص من تقدسه بنفسه وينزل عن حرم
من كبرياته ، كي يتسنى له أن يرى أنه هو وحده المسؤول
من إلقاء هذه الفتاة بين أحضان رجل آخر !

« ما المرأة تعاني من العيرة أشد وأقسى مما يعاني الرجل .
عنى في أوقات حلوته وشروها تحاول أن تتصبر بك
الأخرى التي احتدت رجلها وقطل شكر في ذلك التي
الحنى الذي احتدت لرجل إلى عريمها والذي هو يومر لها
بعد الرجل إيب من حديد ثم تتذكر التصحاب التي قدمتها
للرجل خلال مدة عسرتها ، وتكاد تمجر من أهمل لذكرها
أن مائة أخرى لأنها تقتر بشرة مختلفة عن بشرتها ، و
شعر مختلف عن شعرها أو قوام مختلف عن قوامها
احتدت رجلها واسته كل تلك اندكرت التي كانت كفسله
بان تربط بينهما إلى الأبد !

ولأن المرأة بوجه عام معتادة على المعصاة ، لا دعا لا أصب
أن تستخدم السلاح في الانتقام ،

والمكيدة للنيل من غريمها . وانكد لها . ومصح امره .
ولكنها إذ فعل ذلك فلما سجد الانحاء انحط . وقد صور
شكسبير في براعه كبيره سره لفساد وحقدن . في وضعه
لحالة كليوباترا حين علمت بزواج أنطونيوس وروما !

البهاك على الحب :

'اما البهاك على الحب فهو احد بصيغ من رعبه . وقضى
إلى حد كبير في معذره لاسمعه به . وعمل دور حوس
هو المثل العتيق على صدق ما تقول !

على ان أمثال دور جوان بادرين في رميا هذا . لانه سعى
في يومهم ليم 'سراء' الناحش . ولتراع 'طويل' . في حد ان
الامر له لانه لعلنه 'سرى' عمت الحرب . والعلاء لخشش .
لا يساعدا 'حدا' في هذه الأيام على ان يمثل دور جوان !

'اما « دور جوان » لأننى ، وأحصد المراد لى لا عرض
لها غير الملاعب مغلوب ارجال . كما كان دور جوان متلاعب
مغلوب المعوسى ، تلعاها كانت على من الرمن أقل وجود من
« دون جوان » الرجل ! فسر سحر المرأة دائما انها لا تسعى
وراء محبها . وإنما تدعو الرجل في صمت وسم كور إلى ان
يسعى وراءها ، ويجد في اثرها !

الحب بين أمس واليوم !

وإذا كن علينا ان ندرك . حق الإدراك . لغير البديت
الذى طرا على الحب ، فليسنا صباح إلى أكثر من ان نقرر
بين مشاكنا وبلك لمشكل الذى عرض لها « استدال » في
كتابه الرنح لثير « في الحب » الذى روى عنه الكثر من

معامراته الخاصة ومعامرات أصدقائه . . فهو يدور صربا
جدا في مطالبته بحرية العادة والبراة . ولكن مهمه لطيفعه الحب
والعواطف المصهله به كما حدثت عنها . يؤكد سكبدا عاطف
انه كان منثرا إلى حد بعيد بالتقليد الاجتماعى لسانده في
زمانه . فما الذى تغير ما بين عام ١٨٤٠ وعام ١٩٤٠ من
الأسس الاجتماعية التى يقوم عليها الحب ؟

أولا : النظام الاجتماعى . . مهد المجتمع - الذى كان يحيا
ومقا لاهواء عشرات من المركبات والوردات بدور بعقدون
انهم حكام الدنيا ! - كن من قوه انتتير سحب ان مصر
تكنجهام كان يعزل السفير إذا تزوج من مطلقه . . من ان
بأنير هذا المجمع تجلى منذ اعوام قليلة ماضيه عندما نزع
النواح من على رأس ادوارد الثامن الذى أثر الحب ورواج
من مطلقه عاضيه من امراد الشعب امر سمسون على نواح
الإمبراطورية لبريطانيه . فاستحق ان ينقذ بعظم
اجتلتان (في العالم !

وبسما يرى « سيدال » يقرر معظم أمثله لى 'ورده
أسماء لمباعة من دوى الحب والفساد واللقب . لان 'خلق
هؤلاء - او بالآخرى اعدام اخلاقهم - كبت لب كل اقبوه
الزمره في ذلك الوقت . من حيث التذبح على الجميع ، نجد
من يتأبل هؤلاء عند اليوم . وهم كوكب السماء ونجومها .
وابناء الملوك غير المتوجين !

السيارة غيرت تقاليد الحب ؟

وهناك عارق آخر من محمضه ومجتوع معدم . هو
الصناعة ولعلم قد أشعرا الحرب في عيش سربى لى .

وأصبح من الخيسور حتى لانسأ انطلقه المتوسطه ان سئلوا
من مسكن إلى مسكن ، ولا يستقروا على حال !.. كما ان
لسيارة حررت المراد . و بتعبير أدق محتها مريد من
الحرية ، على طموها كال خطب بعشر حطيته ثلث
سنوات دون أن تحرق أو يحد الفرصة لاسراع تاه بها ..
وفي أوائل القرن العشرين كان من المحال ان يصطب خطب
حطيته إلى در السب أو الملاهي .. اما اليوم فمعناه
بمعها أن ترحل وحدها إلى أي مكان تشاء . ومع رجل يس
حطتها . وأن يعود النسرة بمعها . و ن تقل أي رجل
تشاء !.. كما صار في وسع الرجل اليوم أن يحاطب حطته
بالطموع عبر المحيط .. وفي وسع المرأة أن تصل إلى مكان
رجلها في اسرع وقت ممكن . ببطائرة .. وبلا حصار . ثم
يعد المسال أو الجاه اليوم ضروريا للحب ! (١)

وعامل آخر كان يؤثر على نمو الحب في الماضي . ذلك هو
الادب أو النقص ، التي كان يحار لها بطال من ذوي
الخلق الربيعه المثاليه ، حتى أن الحب كانوا يسمون به
العاطفه وبرقوتها عن طريق هذا الادب الربيع . لكن هذا
العامل قد أعدم اليوم ، علم بعد القبول بسقط معانته أو
بغنى ارشادانه من كتب ! .. وقصص اليوم ، أو ادب
اليوم . قد يدمع المسال والفتيات إلى أن يحسوا

(١) وهنا أيضا ينبغي ملاحظة اختلاف التقاليد بين
المؤلف وبين بلادنا العربية .

ويأمرها (١) . ويصحبوا من الأحصائيين في حرفه من الحرب .
ولكنه لا يلتفتهم شيئا عن الحب !
على أن هذا العامل ليس بذي أهمية قصوى . فالحب معلم
بفسه بوسائل أخرى : ففي الماضي كانت سررة الحدى
المزركشه اللامعة يجتذب عين الفتيات وقلوبهن . . أما اليوم .
حيث صار الحنود الذين يرتدون ستراتهم الرسمية بعدون
بالملايين ، فلم يعد لأحدهم تأثير على قلب المرأة أو الفتاة .
الهم إلا أن يكون قائد غواصة . أنى من صروب البطولة
والجراة والشجاعة ما أثار خيال المرأة !

هل تفضل نساء اليوم المسال على الشباب ؟

وقد كان للصورة والحيوية دائما اثرهما الكبير في نفس المرأة .
ومن ثم كان اعتداد الرجل برجولته ، واعتزازه بها .. نك
المرأة اليوم أصبحت تتجاوز عن التواعد التي تلوح في وجه
الشبح إذا كان يعلو في المركز أو المنصب أو العاه . أو إذا
امتاز على الشباب بالطرف وخفة الروح !

وفي الماضي كان الرجال يقتنون ليحفظوا بعهد .
المرأة ! .. أما اليوم فإن الرجل الذي يور بحائرة الرجلته على
الجلد ، أو سائق السيارات ، لا يبور من لمرأة بعض لاعتناء
الذي يحظى به منها العالم العائر بجائزة بول !.. بل أن
المرأة اليوم أصبحت من سن العوايل التي على الرجل أن

(١) ومرة أخرى ، يغلب على المؤلف هنا الحو « الاقلمى »
الذى ساد ألمانيا أو أمريكا سبحة الحروب . . .
الصناعة ، وازدياد النزعة المادية !

بنوعها عليها ، لأنها - لأول مرة في التاريخ - أصبحت تنافسه في عمله وفي مجال اكتساب رزقه !

وثمة مارق آخر بين امس واليوم ، عبق الموالدين في مقبر مصر انتهما ، وهديدات الكنيسة ، والخوف من العار ، كل هذه العوامل كانت تصنع المرأة في مصاصم « الحريم » الذي اشهر عن الشرق .. ومن ثم كان عقوق الآباء ، والمضحة ، هما محور القصص العرامية منها حتى .. أما « اليوم » ، فالانتحار بسبب الحب قد برز عسا إذا شاعناه على « الشائشة » ، عندما يرتدى المثلثون ثياب أبناء لعصور لماضيه .. وأما انفصليته ، وعقوق لأساء ، ميوشكين أن يصحبا « غير دوى موضوع » ، لأن كل عتاه أصبحت حرمة من القيود « لما لاديه » و « الفضلان » التي تحول بينها وبين الفرار مع الرجل الذي يحزنه .. ولأنه لم يعد مألوما أن يقف الوالدان في طريقه ، إلا بالقدر الذي يذللان لها فيه النصيحة ..

أما حديث الرجل للنساء فيما مضى عن الأشياء التي كانت بعيدة عن تناول نهرهن وسهمهن ، كالمرويسة ، والحيللات الانحاصه ، وغيرها .. فلم يعد ثيرا اهتمام المراد .. وبدلا من اشغال الفتيات فيها مضى بالعرف على النسوة أو رسم اللوحات ، أصبحت العتاه تستلقى اليوم في عرش الجلوس تحت سيارتها لتربط جرها من أجزائها البفتة .. والمرأة التي كانت تبدأ يومها باحتساء فنجان من الشكولاتة الساخنة وهي معدته في فراشها ، أصبحت تبدأ يومها الآن ببراوله الرضاخه في ثياب الاستحمام ، ثم تأخذ حمام بارد !

هل الزواج يقتل الحب ؟

ومنذ خمسين عاما ، كان الحب يبدأ سلبيا من جانب المرء ، أو في شيء كثير من الحذر والتردد ، حتى انها كانت من غير قصد منها تدع عنسقتها ينسطر طويلا .. أما اليوم .. من رقصه واحدة من رقصات « مينايجو » كأنيه جدا للمرأة كي يقول للرجل ، أو لمرجل كي يقول للمرأة ، كل ما يريد .. وأماها هي سبيحه كل ما يريد .. علفد انقضى زمن السيد وعهد أحلام البقطة ، ووقت التساؤل ، والوقوف ، واست .. إذا أصبح كل شيء يمكن بيلاه اليوم بأسرع ما يمكن .. وسبيحه لهذا كله لم بعد تصب السبق يعزى بدل الحيد بل لم بعد له قيمة اطلاقا ! .. والواقع أن المدسه عملت كل ما يمكن عنيه لتجريد الحب من ملاده ومثيراته ومناحه !

وليس معنى اروح انقضاء على الحب ، وأن كن من الصعوبة يمكن تجنب هذا المصير ! .. وهي مشكلة لا تبدو لها حلا معلوما ، مشكلة تحويل نار مدججه إلى نور هادي ، مضى ! .. أو بعبارة أخرى أن المشكلة تنحصر في معناه الجواب عن هذه الأسئلة المخيرة : كيف يستنى بلاسعر ، لأول أناس ما قتل الزواج أن يبقى ويتجدد على مر سنين العمر ؟ .. وكيف يتسنى لذلك إحالة انفسه الهبة التي لا يمسها خلال نرمة لصفه في حديثه عاء ، في نحر يوم .. أم لا شوب أبريل ، يحبط سجنج ورونقها عبر أنام صبب لقمص إلى نهاية الشتاء انقارص الحبيب ؟ .. اليس هذا امحاصا عسيرا لمقترنا على الاحتمال والبصود لتقلبات الدق ويدبب مقناس « المروبر » القلي عا عا عا عا ؟ !

نعم . كيف بدتى نزوجين آدمس يحطغان نشاء وطلقة .
وقد ربنا فى ظل عقائد وتقاليد وتعاليم مخطمه . وبالاختصار .
نم نجمعهما إلا انهما من جسين مختلفين : ذكر راشتى . . كيف
يتى لهنس الزوجين الآن ان يصدا ادهما إلى حانب الآخر فى
وجه المحاطر والأفذار طيلة حياتهما ؟! . . إن ارواح لأشه
بأشرح : كلاهما يطلب النظام واندقه من حيث المواعيد .
وواجبات ، والحمقى ، والمموغات . . ولهذا يشب الحلام
دائما بين المحرج والمثمل ، أو بين الزوج والزوجة !

زواج الحب . . أم زواج المصلحة ؟

وهذا غد يقول : « أو ليس من الأمثل إذن ، أن نحصص
أمرء فى زواجه لأحكام العقل ، ويقدر الظروف والملامسات حتى
مديرها ، مسخى عامل العاطفة الجسدية جانباً ويتنصص يصبح
المطلق ؟! . . ليس تقدير امريس — أو العروس — لثروة
الآخر ، ودخله ، وصماته ، وميراته . . ومولده . وأهوائه .
أدبسا سلبها يقول عليه الزواج ؟ أم نسمع زجبات غمت
على أسس العقل والإدراك السليم منحت . ومقت .
اليس من الأنسب ، فى هذه الحياة ، أن نعرض عقل سيصره
على معصم ساعات يوماً بدلا من أن نعرض الحب سيطره
عليها ؟

ن هذه المائتة اسمى تكاد تبدو ممولة معولة . مكى
استصل الشخصى وحده لتقويضها ! . . محور البحث هو
هل يريد الزوجان أن يستخدما قوتيهما فى إضامه صرح حواء
مخطمه دقيقة كالساعة . أم هل يريدان أن يرمعا ، جياهما إلى

مرضه أعلى وأسمى من مراحل الإنسانية ، حتى لو تصير
ذلك خطرا كبيرا ؟!

إن الاختيار بين الامرين موكول إليهما وحدهما ، على الزواج .
عندما يصبح الاتصال الجنى مجرد « عادة » . كتناول العد .
أو كعطلة لآخر الأسبوع ، يسع حياة الزوجين أن تسير فى هدوء
وطمأنينة أكثر مما لو كان اتصالهما مشغوعا طلبة اللعب
ساراكهما انهما ينتهيان إلى جسين مختلف . . « شئ » . إلا حد
الجديد فى الزواج هو أن يصح فى مقدور الزوجين أن يصى
أحدهما بسره للآخر . . لقد احسا مرة قبل الزواج انهما
ينتهيان أحدهما للآخر ، لكن هذا الإحساس لم يكن بخرج من
كونه إحساسا ، وكثيرا ما كان يشاظرها إياه بعض الأصدقاء
المفضلين ! . . أما بعد الزواج ، فلجود أنها أصبحت تحول
اسمه ، تتعير الحال حاة : يقصدان متدفا ، مبدحان معا ،
عزقة واحدة ، ويزج كل منهما الستار للآخر عن أسرار . .
فاذا قدهما صديق إلى آخرس ، قدهما معا . . وتانى أوقات
تشير فيها المرأة إلى الرجل وتقول إن حولها : « روجى » .
ويدخلان المجتمع على انهما (ملان وعقيدته) ، ويظهران معا
أمام الناس وكأنها بقولان كون حشية انهما يحل أحدهما
الآخر وينتهيان أحدهما للآخر . . وهذه الحرة المتناهية فى
جميع تلك التصرفات ، لا تخفف من وطأها غير السعادة . .
مالسعادة وحدها هى التى تجعل حديث المروحين عن الطفل
الذى بتوقعاته ، محتملا مطاقا ! . . بل انهما ليتحدثا عنه فى
حرة ومهاة ، وكأنه لم يعد سرهما وحدهما ، بل سر الناس
جميعا !

شخصيتها لهذا الرجل الذي لا يدايها في شيء مما وصلت إليه في الحياة ، متمول على الانقسام لعلها ودوقها ومركزها من هذا الرجل الذي أحسه في وقت ما ..! وهنا تأخذ الرجل العرة بنفسه يحاول أن يفرض سلطانه على المرأة ، ليشعرها بأنها رغم كل ما وصلت إليه ، غائما هي امرأة !

مثل هذا النزاع لا سبيل إلى علاجه إلا باللجوء من جانب الطرفين .. فاللياقة تشجع جسوا خلاصا من التطرف ، والمصراحة ، والفساهل ، يحول دون انفجر الروح من أحدهما في وجه الآخر إذا ما وضع أحدهما حداه في غير عتبة ، أو حذب ستاره الناعمة بطريقة شادة ، أو ما إلى ذلك .. ثم هي موق كل شيء تحول دون انفجر الروح من سبب أحلامهما من الوجهة الجنسية ، الإخلاص الذي تحطم عليه في الأعطب معظم الزوجيات ، ويقضي قصاء مبرما على الحب ، وإن سمرت حقيقة الحال تحت أسباب واهية أخرى !

من المسئول عن الخلافات الزوجية : الرجل أم المرأة ؟

وقى اعتقادي أن النزاع والخلاف من الروح من مرجعه إلى الرجل ..! صصح أن المرأة قد تكون مسئولة إلى حد ما ، ولكنها لا تكون أبدا المسئولة الوحيدة عن قيام الخلاف . فالرجل يملك أن يحطم وحده صرح الزوجية بشتى الطرق والأسباب : قد تكون الطريقة التي يقص بها على روحه دعابة جنسية بقصد إثارتها ، كافية لا سبى في روع بروحه أنه شخص فاسد الحلق لا يؤمن جانبها ، أو ، الجدة ، حده

« اللياقة » ، اكسير السعادة الزوجية !

وليس هنالك إلا كلمة واحدة يسميها لو طيقت أن تحفظ التوازن بين هذين الطرفين الاقصىين . بين سادات حلم الروحين أحدهما بآخر يطارح المرام . بين ساعات صهورهما أمام انعراء معا على تلك الصورة التي تكاد تكون محردة من العقل .. وهذه الكلمة هي « اللياقة » ، أي مجموعته فضائل الصبر ، والاحتمال ، والذوق ، وحسن التقدير !

عالم رواج يشبه إحدى روايات شكسبير التي بدعت حب اشعر والمثر حدهما بعد آخر .. وحفظ اتوارى واستمرار النعم الواحد خلال الروية كليب سوقف على مفردة الكسب ومنه .. كذلك الموازى في ارواح يمكن إيجادها لو أن كلا من الروحين انكر دانه . وبمعنى آخر لو أن روح الحب احدى منهما توحد وأصبح متحابسا لا مختلف في شيء .. ماذا أرا إذا أن يكونا نفسين في جسد . أو قلبين ينبضان على وشرة وحده — كما طالما رعا قبل أن يتم رواحتهما — ناسمة هنا كمنه برسانه احدهما وصوب حبهما .. واللياقة وسطه ناحيه للاحتياط بالحب في صورته المادية ايضا — لا الروحية محسب — ماثقة بالنفس ، أو قل الإنسانية . لا تعف تدى نفسها في الحياة الزوجية . فتجعل كلا منهما يحول أن يناول بالقد أعمال الآخر .. ورب امرأة مثقفة أو ذات مهنة رفيعة قد تزوجت من هو دونها مركزا وثقافة ، فيغلبيها اعتزازها بنفسها أحيانا ويخذ العدم على أيها أرحمت الستار عن

الزوجين بين الشؤون الداخلية والشؤون العامة لا يعدو سمك شعرة ، وكثيرا ما تثير صحكه واحده من الرجل شكوك المرء ويجعلها تصمم على مصم عرى الحبه بينهما .. وما ذابت الصفة قد يحب الرجل حق البدء بالتقرب من المرأة ، فعلى كذلك ان يكون النادى بمواجهة الصعوبات التى تنجم عن الزواج ، وبتخليها ..

ومصلا عن هذا كله فهناك عاملان في كل زواج لا يمتان وصله إلى الحب ولا يشآن عنه ، ومع ذلك عليهما خطريهما وشأنهما .. هذان هما المال والبنون .

ولما كالم العلب ان احد الزوجين يكتسب مقدارا من المال اكثر من الآخر ، على نوعا من التعالى الخلقى طورا عليه ! .. ويقول البعض ان خير علاج لهذه الحالة هو ان يشغل الزوجان ، وان يتكلموا معا بالاتفاق على بينهما ، لكن يعدم التكرار أو التعالى من جانب أحدهما .. لكن هذا ليس حلا مغفولا ، إذ انه كفيل بأن يعقد المرأة الإحساس بان هناك من يقوم عليها ، كما انه سلب الرجل الإحساس بأنه قوام على المرأة ..

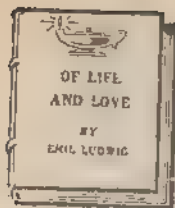
وإذا كان عمل الزوج يقتضيه المقاء بعيدا عن بيته من الساعة صباحا إلى السادسة مساء ، وإذا كانت زوجته لا تعلم عن عمله شيئا اللهم إلا قيمة المرتب ، الذى يقضه ، فهناك خطر — خفى عن أعين الزوجين — يمكن في مثل هذا الزواج ! .. فليس الروح بمعصوم — في مثل هذه الحال — عن أن يلحظ وجود فتاة في المصنع الذى يشتغل به مثلا .

ويجد لها قواها تشتهى عنه التطلع إليه ! .. أو انه ليس بمعصوم عن أن تقع بين براثن إحدى اللواتي يجدن إزاله التعاضد من جبه الرجل .. فأمثال أولئك النسوة يصعب أن يتعادهن الرجل إذا كانت زوجته من الطراز الساكن ، البتة ، السلبى الاتجاه !

ومن ناحية أخرى يجد أن المرأة التى تتحدث إلى الرجل في شؤون عمله وشؤون المجتمع عامة ، تلمس فيها مهما وإدراكا . ويتبادل معها مناقشة مهذبة مستمرة ، متحفظا حادسها للرجل .. ومثل هذه المرأة يسعى أن تتنقل ككب شاعت من المحال الروحي إلى المحال العيزي ، ملا تلك الرجل إلا أن يظل أسير سحرها ! .. فهذه المرأة التى ناقشته قبل أن يسلم عن الوزير الجديد ، أو عن التقدم الحديث في صناعة النسيج ، لا شك تصيح حادسها الجنسية للرجل اقوى من جادسها تلك المرأة التى ظلت طول النهار مستلقية على أريكة تتصفح محله في السيفيما أو في الأزياء !

ويبدو أن المال والسلطان والجاه ، على ما هي عليه من إغراء وإغواء ، لا تعيد العظام ولا الخيال ولا الرومانتيكه شيئا .. فإذا لم يكن الزواج قد تم بوحى من الاختيار الشخصي وحده ، وبعبدا عن إغراء هذه العوامل ، كان لزواج لا يأن قط جانب زوجته التى اشتراها بماله !

وفي الفصل التالي ، تواصل معا سياحتنا في .. « دس الحب .. والسعادة ! » .



OF LIFE
AND LOVE

BY
EMIL LUDWIG



(٤)
دنيا الحب والسعادة

للكاتب الألماني الشهير "إميل لودفيج"

٢ - دنيا السعادة

« في سعى لا يكل ، يبحث كل شيء عما يكمله ..
مالإحساس والبطر ، يدمعنا نحو عالم لا حد له .. ولو
ظلت الحال هكذا ، ومصيبا إلى الأمام دائبين ، فليشهد الله :
سنخلق بأيدينا العالمين ! »

« جيته »

لن من المؤسف جدا ان فن السعادة في يد الفيلسوف
وحده ! فهذا الفيلسوف المتأمل في الكون ، وذلك الشاعر ذو
الخيال الحبيب ، يعطينا عن هذا الفن اكثر مما يعبر سائر
الناس .. ولعل من المؤسف ايضا ان هذا الفن لا يمكن تعلمه
ولا تنفى اصوله وقواعده حتى على اسدى الفلاسفة
والشعراء ! ومع ان الناس ، في الغالب ، يطعمون في ان
يكونوا عقلاء ، بل سعداء ، إلا انهم ينساقون حين بعد حين
وراء المعكر إلى ميدان التفكير والعقل ، هنا منهم ان ذلك هو
السييل المفضي إلى السعادة .. والواقع انه متى دار
الحديث حول السعادة ، عجز هذا العاق الممكر ذو الجبهة
العريضة عن أن يدلي بدلوه قيمه !

أما الفيلسوف فقد أنشأ لنفسه عرلة ، سواء كانت سعيدة
أو كئيبة ، إلا انها على أية حال قد أملت ظروف حياته ، ثم
خرج من تلك العزلة آخر الأمر بمبدأ أو نظرية أراد للناس ان
يؤمنوا بها ، وهذا هو كل ما يسع الفيلسوف ان يفتنه بالطلاب
السعادة ، حتى « ابيقور » الذي أعاد بسكوته الى أغوار
السعادة ، لم يستطع بعد ذلك إلا ان يصعد « القوسيط »

.. ذلك السر المغلق : السعادة !

لهت المفكرون والفلاسفة ، منذ اقدم العصور ، في
البحث عن مصاح ذلك الصندوق السحري ، الذي يضم
.. « السعادة » ! .. إلا انهم جميعا نعتروا في الطريق
ونخطوا في محاولاتهم ، ونفروا كل في سبيل : ذهب
البعض إلى ان السعادة في الحب .. وقال آخرون انها
في جمع المال .. وراح فريق ثالث يؤكد ان السعادة
الحقة إنما تستمد من سعادة الآخرين ! .. على انهم لم
يلتقوا قط على رأي واحد !

وقد رأى المفكر الألماني الكبير « اميل لودفيج »
ان يدلي بدلوه في الموضوع ، فراح يحلل عناصر ذلك
« السر » المذهي ، عليه يوهى إلى اكتشاف جديد ، سر
الطريق أمام الساعين الآخرين .. فهل تراه قد افلح في
اختيار السبيل ، أم وضع فيها حجرا جديدا بحكم
سدها ؟!

بغال معا نرتاد الطريق الذي تسقه ، في دنيا
السعادة ، بعد ان قطعنا اشواطا كبيرة في .. دنيا
الحب في الاعداد الماضية من « كتابي » - لنتعرف على
ضوء مشاعرنا واحاسيسنا : هل هو اصواب .. أم
اخطاء القوييق ؟!

والاعتدال ، كسبيل أمثل إلى السعادة . . وأما سقراط ،
الذى نادى بمثل هذه الآراء أيضا ولكنه تناولها من ناحية
الفضيلة ، فقد كان من البراعة بحيث صرح أن الفضيلة
نفسها هي الطريق الأوضح لتحقيق السعادة الإنسانية . غير
أن كل هذه المذهب الفلسفية المختلفة لا يريد في الحقيقة عن
أن تكون بمثابة نصائح أب يريد أن يجنب ابتلاء التجارب
المؤلمة . فيصحبهم من يتجنبوا لعبة الأرواق مثلا !

والآن وقد اتفقنا على أن السعادة لا تلقن أو نعلم ، لمعل
مناقشة موضوعها يتكفل بتخفيف عبء هذه المشكلة :

— ١ —

في اعتقادي أن اختلاف الشخصيات هو مبدأ الإحساس
بالسعادة . . فقد تصف جماعة من الناس مالملمع العال على
أمرأها ، وجده أخرى بأعماهم في الخرافات . ولكل من
يحد أندا عاطفه واحده من العواطف الدقيقة غير السه ، أو
إحساسا معيناً واحداً من الأحاسيس الجملة غير الظاهرة .
يسيطر على جماعة بأكملها من الناس . . بل أنك تحد مثل
هذه العاطفة ، ومثل ذلك الإحساس يختلفان في فرد عنهما
في الفرد الآخر . . ومثل هذه العواطف تتبدل تبعاً للظروف
والأحوال ، ولذلك لا يمكن إقامة ميزان دقيق ، أو مقياس
ثابت لها !

فالسعادة هي جماع الروح وخلاصتها ، تلك الروح التي
تختلف باختلاف الأشخاص ، ولهذا لا يمكن أن نصف فضيلة
معينة ، أو طريقة معينة للعيشة ، بأنها تجلب السعادة تلك

إنسان على السواء . . فالذى يكثر في نفسه على العناصر
أدخاله أو الروحية للسعادة ، ثم يسعى أن يحد في الحياة
العناصر الخارجية أو المادية المكمل لها ، ويلائم بين هذه
العناصر بعضها وبعض ، يكون السعد الناس !

ومن الواضح الجلي أنه متى اجتمع أناس من طبائع مختلفة
أو مشارب متباينة ، في صعد واحد ، فمن الحسد بدب في
الغوب . . فرجل الأعمال الذى قام برحلة طويلة شاقة ،
عقد فيها الصنقات وأبزم العقود ، ثم صادف عند عودته
— وهو يقود سيارته ، وإلى جانبه حبيبته — منزلاً ريفياً جميلاً
هادئاً ، وشاهد فيه امرأة ريفية تسوى أعشاب الحدائق
وتعلم شحيراتهما ، كما شاهد من حولها طفلين أو ثلاثة يهرحون
في بشر وسرور ، تتوق نفسه وتغلبه على أمره الرغبة في أن
يطلق حياة العمل المتواصل الشاق ويقضى الحياة على عرار
هذه الأسرة الريفية في هدوء واستقرار ، لعله يجد السعادة
هناك . . وعندما تنزلق يده عن عجلة القيادة ، وتلمس يد
حبيبته ، وقد يحلم الأمان معا متعبر محرى حياتهما وأدائهما
يمثل تلك الحياة التي يحياها سكان ذلك البيت الهادئ
الهادئ . . ولو أن الريفى صاحب البيت الهادئ رآهما في تلك
اللحظة وهما بطويان بسيارتهما أرض القرية ، لاستند بحسده
المضنى على سور بيته الريفى يستريح من عناء عمله في
الحقل ، ولقال في نفسه : « أنظر إلى هذين اللذين ينهضان
الأرض في تلك السيارة الأنيقة ، لا يحالهما إليه ولا يدريهما
شيء . . ما كان أخلقنى أن أكون مثلهما » . . وإذا كان

لهاتين الرغبةيتين العابرتين أن يحققا ، فيقابل الرجلان حظيهما ، فما أشد المؤس الذي لا شك نزل بهما !

والقصص الخيالية بروى أن الأمراء والسلاة كانوا يتبدلون أحيانا مع الفقراء والمشردين حظوظ بعضهم بعضا ، إلا واحدا من أبطال تلك القصص ، كان يرعى الأوز ، فجعل يقاوم اغراء ابدال حظه بحد من هو أثري منه وأوسع جاهها . فلما سئل : « ماذا تفعل لو انقلبت فارسا يشار إليه بالبيان ؟ » ، قال : « عندئذ أرمي الأوز بمقتليا صهوة جوادى ! » .

لكن أمثال هذ الفتى الذين يطرحون هذا الاعراء الحمل وراء ظهورهم ، إن فعلوا ذلك فربما لعلة أصابت إرادتهم وأمسكت بهم عن الإقدام ، حتى أنهم ليعضون ننان الدم بعد ذلك حين لا ينفع الندم !

ومع هذا ، فلبس اضر بالسعادة من تحول مجرى الحياة ! فيمثل هذا التحول ينكر على الناس كل ما سبق أن لقوه من سعادة في حياتهم الأولى ..

هل للسعادة صلة بالفضيلة ؟

وفي كثير من الأحيان تنشأ عاطفة السعادة عن إيحاء الفضيلة ، حتى لو كانت الفضيلة دفينية في أعماق النفس لا تبدو للعين ، وهذا هو السبب في أن أكثر من يضر نفسه أو يغيره هو ذلك الذي يحاول أن ينزع من نفسه أو من غيره الأوهام والخيالات التي يعيش فيها ، كما يفعل بعض شعراء الروس أو بعض المحللين النفسانيين في هذه الأيام ، إذ

يحاولون كشف النقاب عن العواطف الخائفة والمشااعر الخفية في قراره النفس ، بدلا من تركها هناك مسددة في نومها !

وهذان رجلان يعبران حدود بلدة ما ، أراد أحدهما أن يموه على رجل الجمر فكافى زجاجة من العطر يريد اهداءها لزوجته ، أما الآخر فقد أثر الطريق الهويم ودفع الرسوم المعروضة على الزجاجة التي معه .. مهل كال الأول أسعد من رميله ؟ .. هاهما يجلسان بعد ذلك جنبا إلى جنب في القطار ، فإذا الأول يتباهى ببراعه وحذقه ، أما الآخر فيحس بالطمأنينة والراحة لأنه فعل ما يقضى به الخلق الكريم وأثر أن يشترى راحة ضميره بثلاث رنكات ! .. فهذان الرجلان كلاهما سعيد ، لأنه تصرف بوهي ضميره ووفق هواه .. الأول شاء أن يحقق البراعة والحدق بالهيلة والخداع .. والثاني أراد أن يحققها بالاسقامة والكرامة .. وقد تم لهما ما أرادا .

ثم هل الكريم السخي أوفر سعادته من السخيل المقتر ؟ .. الواقع أن المضيف الكريم الذي بعد قبل وصح حول ضيوفه صندوقا من السجائر الفاخر الذي قلما يسمح لنفسه بتدخين مثله في الأوقات العادية ، لا تقل سعادته عن سعادة ذلك المضيف الذي يخفي صندوق السجائر الفاخر قبل حلول ضيوفه ويضع بدلا منه صندوقا من السجائر الرخيصة !

السعادة الزوان .. وغفون !

والناس أحيانا يتسائلون ، إذا غفوا يتسائلون يسألون عن طائمتهم وعاداتهم ومعتقداتهم : « كيف حيا ؟ » مثل

هذه الحياة ؟ » ولعل الذى يريدون أن يفوله هو : « كيف يمكن أن يكون (فلان) سعيداً ؟ » .. فالرجل المظلم المرتب بضعه ، الذى تبدو ناقاته وتمصصه وأقلامه وأوراقه مظلمة برصه ، بعد انقضاء عام كامل على استخدامها ، إذا دخل بيت « بوهيمى » لا يؤمن بالنظام والترتيب ، أصيب بصدمة فى مشاعره ، وتحدى سسمه وبصره ! .. فهو لا يكاد يرى سر منعه الرجل بهذا النظام المخفل ، واستنطاعته الجمع بين اكشوام الورق ، وأدوات الخلاقة ، وصناديق الحوى ، والصور ، وسنضه السجائر فى صعيد واحد ، بشكل يدل على الكسل والخمول .. وهذه الصدمة نفسى يحدث لبوهيمى إذا رآه صديقه المظلم المرتب مترله ! أنه لا يستطيع أن يدرك كنه اللذة التى يبعثها هذا الطعام الفائق الذى ينتج لصديقه أن يأتى بالشئ الذى يردده فى بضع ثوان ، ويصل إلى أى شئ بمجرد إلقاء نظره واحدة ! .. بل قد يستند به الاستياء إذا أعاد صاحبه آبه الرهر إلى موضعها . وكأثر وضعها حيثما اتفق يسرى عن البوهيمى بعض الشئ !

وهل تظن الشخص الفانى من المجتمع ، المترحم بالناس ، أقل سعادة من الشخص الذى يحب الناس ويحب عشرتهم ؟ .. كلا ! فالأول على الأقل معلق القلب دون هذه العاطفة المستثمرة التى تشبع فى كيان الرجل المحب للناس .. وهو لا يستطيع حتى أن يلحج آثارها على وجهه صديقه الذى يالف الناس ، إذا التقى به ! .. لكنه يستمتع بامتصاص

شكه فى الناس على كل إحساس آخر ، فهو الذى يحبه الخيبة والفشل ، ويهديه سواء السبيل !

وهذان رجلا : أحدهما سمقت مسند الطيور الطليقة ، وثانيهما شغوف برأى الطيور البريه وهى سجينه فى أقفاصها ، وكلاهما سعيد ! .. أولهما سعيد لأن العصاير من مرط ثقتها به يأتى لتلتقط الحب من راحة يده ، وثانيهما سعيد لأنه حقق لده مشاهدة العصاير حبيسة وراء قضبان حديدية !

سعادة الأحرار .. وسعادة العبيد !

ولالأخلاق التأثير الأول ، إذ تطلع الحقائق بطابعها ، ولقد بعلمنا أن نوفر القديسين والشهداء لأشخاصهم وليس للمشاعر التى تملك نفوسهم ، أو للعذاب الذى احتملوه فى سبيل أداء رسالتهم ! .. والواقع أن الشهيد إذ يساق إلى الموت قهراً ، بولاه الإحساس بأنه لن يثبت بعد لحظات أن يلتقى بالملائكة الأبرار فى رياض الجنة .. وهو يستشعر بهذا سعادة لا تقل عن سعادة الإمبراطور الباعى الذى يشهد منظر الإعدام وهو مضطجع فى عرشه . وقد أعلته الحجة ، واحاطت به الحور الصبان ، والرجال الذين أذلهم الحرص على الجاه والسلطان .. بل لعل سعادة هذا الإمبراطور تقل عن سعادة الشهيد ، إذ ينقص منسبته وراءه على كسائر ضحيته من شجاعة وإقدام !

وهكذا قد يضاعف من السعادة ، واقع يناقضها .. وهذا هو ما عبقناه بقولنا إن الاختلاف في الشخصيات ، والتفاوت في الطباع والحلي ، يثبت الإحساس بالسعادة .. فأصحاب النفوس الصعبيه ، والأرواح الحائرة ، هم وحدهم الذين يظنون دائمي الرعدة في انتمير والحول ، بدلا من أن يتركوا أن المرء لا يستطيع أن يأخذ من حياة سواه — أي أن يغير من نفسه — دون أن يمتد توازنه .. وبالتالي ، يفقد سعادته .. تماما كما يفقد الشراب بكهه إذا ما صب من إناء ملورى إلى قدر معدنى !

ولما كانت قيم السعادة تختلف من شخص إلى آخر ، فإل الحب ، والحد ، والمال ، والبنيان ، والجاه ، والشرف — وهى أكثر منع الحياة شيوعا — تجسد من الناس من يزدهر بها .. بل أن هناك من يعزف عن اشتهاه أغلى عوامل السعادة ، وهى : الصحة ، والجمال ، والحرية .. فهناك من المعذبين من لا يبغي عن ضعفه افتراقا ! .. وقد عشنا حتى رأينا مرضى يائسون الخلاص من عذابهم ! وشهدنا آخرس يتلفون الجمال بالشهوة ، كلولئك الذين يفتصرون النساء ، أو يدمرون المعابد ! .. وفي مجال الحرية ، رأينا شعوبا تتخلص من ديكتاتور ، لتتساق لآخر ، ورأينا عبدا يعودون إلى مستعبدتهم طواعية !!

.. ذلك لأن السعادة ليست شيئا بخاص في ذات خاص ، بل أن على كل امرئ أن يصوغ سعادته بنفسه ، ووفق ظروفه ورغباته وطباعه .

سعادة الطموح .. في القلق !

بل إن درجات السعادة ذاتها ليست سواء .. فكما تتباين الأشكال ، تتباين المقادير .. إذ أن السعادة قابلة للزيادة والازداد .. سواء في الكمية أو في طريقه الاستمتاع بها .. فالإنسان الطموح يفوق عياده — من حيث الاستمتاع — الإنسان الخمول .. والورث الذي لا يشغل به غير مرتب هبوط الثروة عنه ، أقل استمتاعا بالسعادة من ذلك المكسح الذي ينطلق وراء الثروة والجاه ، في شبابه على الأقل ! .. والذى يخال أن اللهفة والتحمس يولدان القلق الذى ينقص من السعادة ، لا يستطيع أن يصر أن سعادته الإنسان الطموح المتحمس تكمن في ذلك القلق بعينه ، وسن في العاية التى يسعى إليها !

أترى شعور الصياد المتمدين المعلم بالسعادة ، فوق شعور الرنحي البدائي ، وهو يسعى إلى عرين الأسد ! .. لا .. غالواقع أن كلا منهما يسعى بالسسل ، والصيد .. والافتد .. والإحجام .. كلاهما يرتجف في الادعال إذا سمع الغريسة تقترب من المكال الذى اختاره ليلقاها عنده .. وكلاهما يرتقب فريسته ، وبحس أساسه وهو يتسلسل زحاما جوها .. ثم وهو بتهيا .. وأخرا ، وهو يطبق قدسيه — رصاصه كبت أو رمحا — فيصرح الحيوان الحريج .. بما الرنحي .. عذير في الهواء وهو يصبح طريا ، ثم لا يلبث مشاعره المستعرة أن تخمد رويدا ، إذا ما افترش الأرض يشبع بجوده .. لحم ضحيه ! .. وأب الصياد المتمدر .. يتصوره بشبهه إذا

يقارن بين براعته وبراعة الصيادين الذين عرا عنهم في الكتب ، أو عندما يقارن بين صد الوحش وبين التغلب على امرأة شديدة الحموح والصد .. أو عندما يفكر فيها مستولى على أصدقائه في بحر - مثلاً - من مشاعر . إذ يهرهم مرأى وراء الوحش . ويريد من دهلهم أن يكون صائده هو ذاك الصديق الذي كانوا يحاولونه ضعنًا ، رخوا !

معنى مثل هذه لحالات . البعد عن الحب والعاطفة - نجد أن الشعور بالسعادة يتولد من مجرد الأمل في أن يغير المراء من أسلوب حياته المعتاد .. وهنا يمكن أن نقسم الناس إلى مرتبتين : فربما يقنع بنصيبه من السعادة - ولو كان قليلاً - وفرح بضع في المبدأ - ويطلع إلى آمال عالية . ومن الرعدة في مصاعفه حظه من أسباب السعادة - لا سيما غير المادي منها - تتولد لديه قوة كبحه من تمكته من التراجع المشرود .. وفي هذا قال « أبقور » : « إننا قد نتقن بمصادفة يتبع صغره ، ولكن السعادة الحقنة تتطلب سعيًا وكفاحًا » !

السعادة الساذجة !

يرى بعض الناس أن في الأعمال المستمرة التي يقوم بها الكائن الساذج قديسًا كان أو معتوها أو طملاً - لو أن ربيعًا من السعادة .. معنى سعادة يهب لهم السماء نور ما حيد منهم .. مالمقطة التي تمنح في كسل وهي مستلقيه في دفء الشمس الساطعه .. والفراشة التي تحوم منبهة حول زهرة بصرة من رهور البنفسج .. والبطح التي برشت رحيب ربيع في استمراء .. والطفل المرح الذي يطوح بكربة

في الهواء .. والمفأة التي تتطلق في المروح وهي تهر قبعتها معبטה ، وتقرنم بانثودة عذبة .. هذه كلها صور بسعادة الساذجة !

ونحن لا نملك أن نسل الفضة أو الفرائشة أو البطح ولكنا إذا التفت بالطفل والمفأة بعد عشرين عاماً ، ووصفنا بهما منظرهما مع الكره والقبعة - لا يتسم كل منهما كمن يسقط من نومه ، فيستمع إلى من يروى له ب كان يهرب به في أحلامه المحصورة أثناء نومه ! .. ولكننا إذا سألناهما أن تذكرنا لنا بعض لحظات السعادة في حياتيهما ، لحدثنا عن محطات قربه من الماضي غير البعيد .. أن الوعى بهو ، عبقار ظلال الطفولة ، ويخرج إلى ضياء بطرث .. وبأسالي ، سبي ذكريات الماضي البعيد ، إذ تليقه الذكريات التي ما زالت تطفو في أضواء الماضي القريب !

وهكذا يرى أن المعرمة - والطموح المتحمس - والمفارنة ، والتأمل ، بل والضعف أو اتقوه في طربس إلى أمر لا حيله لنا فيه - كالوقت - كلها عناصر تشيد في نفوسنا الشعور بالسعادة .. أنب تطلق بترمه التي نعرض عنها انحطلت المدة كما نعرض الرهور في الحديقة .. عاداً ريب رهرة من عرس ، لا تلبث جذورها أن تتحد بجذور رهرة أخرى عريدها قوة ونماء .. وهكذا بذوى بعض لرهور ، وتفوى رهور أخرى ، حتى ياتي الوقت لدى جد قيسه بسنايب بصرا - مزهرا .. فإذا ما ناهى أربع بسجار بسعادة في بوعب - وجدنا فيه ما يبعد جزعنا من المهيير بسيرة ..

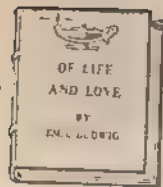
هل تستمد السعادة من الأخطاء أو الضعف ؟!

وحتى يصل إلى هذه الحال ، لابد من أن يدرك طبيعته
وكيف نموسا .. والإنسان الذي لا يرال على الفطرة يدرك .
عن أبسط مراتب همد الإدراك ، عين ما يعرفه العالم
النفساني : .. اما المراتب العليا منه ، تتطلب من الإنسان
أن يعرف الأجهزة التي تسيّر — أو بالأحرى ميكانيكيته —
وأن يسجل انفعالاته وبصراماته ، وأن يعرف ما يتوقع من
نفسه الرغبة فيه أو الانصراف عنه .. وكما يدرك المرء
بالتجربة أي الاطعمه يلد له ، وأيها يؤدي معنته ، يجب أن
يعلم أيضا أي الانفعالات يطيب له ، وأيها ينبغي الفرار منه
.. إذ أن إدراك المرء لطبيعته ، وحلقه ، وأهوائه ،
ومشعره ، وأدوئه ، ونواحي الضعف لديه — بوجه خاص —
يمكنه من أن يرسم لنفسه الطريق المفضية إلى السعادة .
وفي هذا الصدد قال « جين » : « أن سعادتنا لا تستمد من
مضيلتنا ، وإنما تستمد من أخطائنا ونواحي الضعف فيها .
فكل من يظن أن موسعه أن يسعد عن طريق تحقيق الفضيلة ،
إنما يخدع نفسه .. إذ غالبا ما يكون الزهو — لا المهم
والاستيعاب للفضله — هو الدافع إلى بحقيقتها .. ومن ثم
لا بلبث المرء إذا ما حققها أن يفقد السعادة فيها » !

وقول « جينه » لا يقتصر على الشيوحة ، فإن المرء إذا
ما نعتق وعيه وأساء في مرحلة الشباب ، عند إلى تحليل
نفسه في كل المواقف والمناسبات . وقد كان عن تحليل النفس
من الفسوح في العصور الغابرة ما لا يقل نه في أيامنا

الحاصرة .. على أن المرء في شيوخته أقدر وأحرص في بناء
طريق السعادة ، منه في شبابه ، إذ تهيب أنه معرفته أن يسر
انسب الأماكن له : أهى القرية من البحر ، أم القائمة عند
الجبال ؟ .. أي المدينة أم في الريف ؟ .. أي المجتمع ، أم في
العزلة ؟ .. كما تمكنه هذه المعرفة من أن يتخذ من الأعمال
السيطة ما يملا يومه بلحظات هنيئة . وكما يسر النضوج
الروحي للمرء سبيل الاقتداء إلى ما سلائم طبيعته ، نجد أن
هذه المعرفة تمكنه من أن يعيد تهيئة ظروفه وأحواله بحيث
توفر له انسب الأجواء التي تلائم .

وفي الفصل لتالي ، أقدم لك جزءا آخر من هذا الكتاب
المتع .



(٥)

دنيا الحب والسعادة!

للكاتب الألماني المشهور "إميل لودفيج"

العظمة .. بعد الحب والسعادة !

إذا كانت السعادة غاية كل نفس بشرية ، فإن العظمة — بمعناها النسبي — غاية النفوس الطامحة وحدها . ولكن ، ما هي العظمة ؟ .. هل تتمثل في مركز رفيع ، يسيطر صاحبه على أفراد من المجموع البشرى ، يأترون بأمره وينهون ببواهيته ؟ .. أو هي تتأتى عن الجرى وراء الثروة ، حتى إذا ما نجمت ، دانت الدنيا لجامعها ، وأبحت المرقاب إجلالا لبريقها ؟ .. هل نعثر عليها في المتح والفرو والفهر .. أو في المحبة والتسامح والعدل ؟ .. هل نصادفها في خدمة الإنسانية والتضحية من أجل تقدمها ورماتها ، وتخفيف آلامها وتضييد جراحها .. أو هي بعنده عن تلك الميادين ؟ .. وأخيرا ، هل هي في الأحذ والاستعطاء أو هي في المتح والعطاء ؟ !

لقد قدم إليك « كتابي » — في أعداده السابقة — الكثير من الإجابات الشافية عن تلك الأسئلة التي طالما خبطت في ذهنك عن الحب ، والسعادة ! .. واليوم ، يقدم لك المزيد من الإيضاحات لمشكلة أخرى من مشكلات الوجود .. تلك هي : مشكلة العظمة الإنسانية ، التي أقرد لها المفكر الألماني الكبير « أميل لودفيج » قسما خاصا من كتابه « نينا الحب والسعادة » ، بعد أن بنى من حديثه عن السعادة .. فتعال نقرأ الفصل الأخير من هذا الكتاب ، لنعرف أين تكمن العظمة الحقيقية ؟

اجمع لنفسك ثروة .. من لحظات السعادة !

خليق بالمرء أن يجمع بكل قطرة من السعادة التي تتاح له ، إذا هو وضع نصب عينيه أن الكون فطر على التقلب والتغير ، وأن الزمن يسير غير حامل ولا متوان .. ولقد عرف عن « جيته » أنه كان مدا بين شخصيات الفايينغ .. من حيث أنه كان — في كل يوم — يستعرض في دقة ، وذاكرة حاضرة ، كل ساعة من ساعات عمره .. وكان دائما يؤمن بأن لا خلود للزمن ، وأن الحاضر سرعان ما يصبح باضيا .. لذلك كان — وهو في الثمانين من عمره — يسترجع لحظات السعادة التي مرت به وهو في السادسة عشرة ، ويستعذبها !

وكان الفيلسوف « شوننهاور » منشأه النفس بقدر ما كان حاد الذكاء .. وقد وصف السعادة بأنها « غياب الشعور بعقيم الابتهاج ! » .. ولكي السعادة في الحياة قد تكون أكثر إيجابيه وحيوية من هذا .. إنها مجموع اللحظات الهائلة ، بل مجموع أها اللحظات .. فالدَى يتذكر هذه اللحظات ، يكون كمن أوتي ثروة مدخرة في خرائن نفسه ، فمما إذا لا يستعرض في نهاية كل يوم ساعاته ودقائقه ، انصف منها إلى هذه الثروة .. أو يستمد من هذه السعادة المدخرة ما يعوضه عما خلت منه ساعات يومه من هفاء ؟

تعال نصور اللحظة التي تسبق أسير الالام ملايين لا تحصى من الناس تستعيد في هذه اللحظات ما يربها في اليوم المنتهى من صور ممتعة ، تستعش بها مرة أخرى ..

تقول زوجة رجل الأعمال لنفسها : « لقد بكم الوزير مع زوجي أكثر من عشرين دقيقة . ودعاه بى رباته عدا .. الآن استتب مستقبله ، فما أسعدنى ! » .

ويقول رجل المال لنفسه : « لو أبى تاحرت ساعه واحدة عن إرسال مرقسى - حسن هبطت سوق نيويورك - لخسرت ثلاثة آلاف دولار ! » .

ويقول التلميذ لنفسه : « من حسن حظى أننى انتهيت إلى أن عينى المدرس كانتا تراقباني .. ولولا ذلك ، ما أسرعت إلى تدارك الأمر ، ولكنت الآن فى موقف لا أحسد عليه ! » .

ويقول العاشق : عندما ساعدتها على ارتداء معطنها . أمالت كنفها اليسرى على يدى .. لكم سألهم بهذه المعنى ! » .

ويقول الشاعر : « كانت الغيوم تزين سلى فكرى فى النهار .. أما الآن وقد برع القمر ، مكل شئ يسر سبلا ناعما .. أن فى قسما وجه القمر ما يذكرنى بحبيبى .. ترى ماهو وجه الشبه ! » .

المتعة الحسية وشهوة السلطان

والمتعة الحسية لون من السعادة المشبوبة .. ولكن ، ما الذى يحمل الفلاسفة والحكماء على تحذيرنا منها ؟ .. الواقع أن السعادة بغير متعة حسية لا نباح إلا لمر كان أملاطوسا ! .. على أن المتعة الحسية ليست مقصورة على متعة الحسد .. فهناك ضروب من الشهوات .. هناك شتاه

المال ، أو المعظمة ، أو النفوذ .. إلا أن المال هو أكثر العابات شيوعا ، لأنه الوسيط الذى يذبح تحقيق كل الأحلام ! .. وأسيود أو السلطان شهوة أخرى من الشهوات الشائعة ، وإن كبت أعسر من المال مثلا .. على أنسا لا يبعى أن نطير إلى مساوئها بطره خاطبه ، فطير أن سعادة الديكتاتور - مثلا - يكون سعادة نافسه لأنه يحاط بالوحده ، ولا يعود حرا فى ارتداد الأيكن اتى نروق له . ولا فى الإحصاع بالأصدماء واحلا ! .. ذلك لأن هذا الخمران من الأصدماء ، وبلك الحرية المنفردة ، هما الثمر للنفوذ والسلطان .. فإلتسان الذى يشتهى النفوذ والسلطان يجد فى الصغر بهما منعة وسعادة .. والانتصار على آخر عريم به ، مع الطمر بالسيطرة على الجماهير ، يحداد فى نفسه مع لدة الأمر وده إقامة النظام ابدى برجوه .. وقد تدفعه الشهوة إلى أن يستحل لنفسه الانتقام من أعدائه أو أولئك الذين اعترضوا طريقه من قبل .. والتاريخ - قديمه وحديثه - حافل بنساء أولئك الذين وجدوا أوح لديهم فى إرضاء شهوة الانتقام .. ولكما إذا قارناهم بشخص مثل « قيسر » ، الذى لم يسقم قط من أعدائه ، بل تناسى أسماءهم ، نحه إعجابنا وإكبارنا إلى « قيسر » دونهم !

الفصل بين المتعة الحسية والمتعة الروحية

وتشرق سعادة الشخص الذى يحب الطبيعة . حين ينصرف - بعقل مطمئن - إلى تأمل سحره وجماله .. سأل بعقله ، أو إلى دراسة منه طبيعيه ومبنيه .. حتى حدسه

ليتناهيا .. وتزداد هذه المنفعة الصامتة إذا ما خلا إلى « الميكروسكوب » في المساء ، مكسا على شخص حشرة من الحشرات ، أو احراء من النباتات .. ذلك لأن حب البحث والرغبة في المعرفة يرقى بالمرء أحيانا إلى درجة رفعه من السعادة ، تسو على الحسوسات المادية ، وتقرب من المتع الروحية !

ولكن ، ما الذي يقرر الحد الفاصل بين المتعة الروحية والمتعة الحسية ؟ لا جدال في أن الموسيقى تمثل الأولى ، والمائدة الحاملة بالطعام تمثل الثانية .. ولكن ، ما قولك في الخمر مثلا .. إلى أي المعتن تنتمي ؟ أنها إذ تنسب من الفم إلى المعدة ، تعتبر من المتع الحسية . وثان شارب الخمر — من هذه الوجهة — شأن الحيوان إذ يطفئ العطش بالماء .. غير أن النشوة التي تبعثها الخمر ، خليفة بأن تجعلها من المتع الروحية .. وإذن ، مابين العطش والنشوة ، تفوق الخمر شاربها من أبسط الأشكال البدائية للسعادة إلى أرقاها ، ثم ترتد به ثانية إلى الشكل البدائي .. مني بهذا مثال جديد يبين لنا أن ليس ثمة متعة روحية خالصة ، ولا متعة حسية خالصة .. وأن اللذة أو السعادة — التي ينشدها البشر جميعا — واحدة ، وإن تقدمت اشكالها وأسماؤها .. فربة البيت التي تحتفظ ما تحترق من أعف ومواد للطهو في صناديق أنيقة مرتبة ، تشبع من المتعة والسعادة ما يستشعره القائد الذي يشرف على تنظيم حيله استئصال ملكية !

للسعادة أشكال وأساليب مختلفة

قد يقدر لأحد الطهاة الاثرياء أن يصحب روحه إلى ملهى . يستمتع فيه بعشاء شهى وشراب طيب .. وقد لا يحمل كثيرا بالموسيقى التي يسمعها ، وقد يرقص شوطا ، ويتناول بعد ذلك كاسا أو اثنين ، ويتحدث إلى بعض المعارف عن الحرب واحتالاتها ، ثم يستلقي في نهاية السهرة على سريره إلى جوار زوجته التي استمعت معه ساهرة .. وفي اللسلة حينها ، قد يدعو أحد الموسيقيين سيدة من أصدقائه إلى عشاء مخم ، يتبادلان خلاله عبارات رقيقة ، وطرقات أرق ، وهما يشربان ويتسمهان .. فإذا أوغل الليل ، عرف لها لحن تحبه ، فتنصت له وهي مستلقية على أريكة وثيرة في ركن مظلم .. ثم يجلس إلى جوارها ، ويمسك بيدها ، ويحاول أن يقرأ في أساريرها الحاملة أثر موسيقه .. ثم يخرجان إلى الشرفة يتأملان النجوم ، ويناجيان القمر .. ويشربان كأسين بحجة التماس الدفء .. مثل هذه السهرة تنتهي إلى إثارة الغرائز العاطفية ، خلال إطار من الأحلام الساعية .. تأمل هذه السهرة وبامل قبليها سهرة الطاهي ، ثم قل لي : أين الحد الذي يفصل بين السعادة الحسية والسعادة الروحية ؟ وهل لأن العاشقين الآخرين نهجا في متعتهم أسلوبي راقيا ، بعدان أسعد من الطاهي وزوجته ؟ أن كلا من الأربعة قد استمتع بأربع أشكال السعادة كما مراها ، أو كما توحىها إليه طبيعته .. وكل روح خلقان بأن يربا في الطريقة التي انتهجها الزوجان لـ جـر .. برا مسحا .. وهكذا تختلف أشكال السعادة وأساليبها وممارستها ..

السعادة في الألم والعذاب !

ومن الناس من حرموا نعمة السعادة ، عادوا هم يملكون
بالإحساس بالألم !.. وفحص الذين كانوا يسعدون بالعذاب
من أهل مدينا ، أو غرضه ، أو رأي ، عدت أكثر من أن
تحصى !.. وإذا كنت المشاعر كلها - حتى الألم والحسرة -
يمكن أن تحول إلى الإحساس بالمتعة والسعادة ، ما
الحسد من نور الأهواء جميعا هو الذي يحطم السعادة
ويهدمها ، إذ أنه الشعور السلبي الوحيد الذي لا يتسنى لأي
من أن يبدع أن يحوله إلى إحساس بالسعادة .. فهو يقوض
كل دعائم السعادة ، ويعني ضحاياه شر فناء !
وثمة لون من لمتعة لا يكاد يعدله لون آخر .. ذلك هو :
متعة الابتكار !

مصانع الحلوى الذي قضى إليه الأحد في بلاد واستحمام ،
لا يلبث أن يستشعر متعة طاعية عندها بخلو إلى مره ، وبعد
لونا من الحلوى من ابتكاره الخاص . فهو إذ ذات يستمتع
بنفس راضية مطمئنة .. أنه يتحرر من التبدد كلها ، فلا يكره
نما إذا كانت هذه الحلوى سلتقى رواد في السروق أو
لا تلقى ، لأنه حين يصنعها لا يسعى إلى هدف معين ، انهم
إلا الحلق والابتكار ، ولذلك تركزت كل حواسه في لسانه
الذي يتذوق به الخليط الذي أعده لحواه ، ليقدّر صلاحته
وصحته .. وفي ذلك الوقت، نستطيع أن نقول أنه .. منان !

وهل هناك أسعد من الشخص المستمتع في هدوئه
ووداعه ؟!.. بكل من الطاهي ، والطيب ، والعامل

الميكانيكي ، يرى الأدوات والمواد التي يستخدمها في ميدانه
إليه صغيرة تجمع العناصر بعضها إلى بعض ، وتقا خطئة
حفيه لا يعلم إلا هو .. أنهم يوحدون بين المشاعر ،
وسعلبون على انقباضات ، ويعبدون النظام .. أو ، لا يرى
يخلقون النظام من الفوضى والاضطراب !

والسعادة التي ينعم بها الشخص المبدع ، نجلى في هذا
الريق الذي يشرق به وجهه ، فيضئ عليه جمالا .. ذلك لأن
أهواءه ومشاعره تحتجب عندئذ ، فالنوع نحو هدف روحي
يخلص المرء من علائم الطمع التي ترسم على أوجوه في
الأحوال الأخرى !.. وهذه السعادة التي يستشعرها أهل
الانكار والابتداع ، تبدو عند الفنان أصغر وأجلى منها عند
سواه ، لأنه يحس بشيء أدى ابتكاره إنما هو رمز لما
في نفسه من الإلهام ، ومشاعر ، وأنفعالات ، وأفكار .. ومتعة
الابتداع التي تداخل المرء حين يعقد كل شعور مما حوله
- أثناء لحظات الإلهام انكسرى - ليسعرق ميمسا بتدفع ،
متعة طويلة الأجل ، نمدد مع تقدم الفان في تحصيل حصوه
محظوة ، على مر الأيام .. فتجده في عبره الابتكار بشعر
- بواعر من بوهيمية وتحرره وبروعه إلى الجمال وانطلاق
خياله . فإنه سيد الدنيا !.. وتجد أن كل جهد بذله في تحصيله
يضئ عليه عبقرة بالغة ، ومتعة صاعدة .. لأنه لا سيئذ
سوى الجمال ، ومن ثم ما كل جهد يقربه إليه !

الإيمان بالموت يضاعف الشعور بالسعادة

والابتداع ذاته ، لا التحفة المبدعة ، هي التي تعطي

الابتكار ما يستشعروهم من سعادته .. وقد ظل « براك » — بعد أن كتب مائه وعشرين رواية — مشرق الذهن بالابتكار والمناظر الجديدة ، حتى أسرع لموت ! .. ورغم ذلك ، لم يكن أقل سعادة — ولا أكثر — من « شكسبير » الذي كان الكاتب العظيم الوحيد الذي لم يك طواعية عن المضي في التأنيف ! .. ذلك لأن سعادة هؤلاء ، تكمن في مرحلة الابتكار .. وإذا كان الاتصال — في انصاف القابرة — قد حاولوا أن يتشبهوا بالآلة ، فإن هذا عين ما يسعى إليه النانون ، وإن احتلت الوسائل ! .. مهم يسعون — بابتكار الصور — إلى أن يخلوا من الخلود غمسا ، يحذوهم ويستحثوهم إلى ذات تأكدهم من أن الموت لا يهد مدركهم .. ملهم في ذلك مثل الإنسان الذي يصادى مناء الجنس بالآثار من النسل !

وهكذا نرى — مرة أخرى — أن السعي إلى السعادة يحذو الإحساس بين الموت ومثل ! .. ومن هنا تنبعث الانفعالات الزهرية في نفس الفنان ، تتحمل من كل حمة يتجها صورة من حياته . على أنه — مع ذلك — لا يعيش وحيدا ، بل لابد له من أن يخرج من مباح حذو مع تحفه ، لينغمس في المجتمع ويتعرض لمخاطره .. ولو أن موسيقيا هبط جزيده معزلة مقمره ، لا يعمرها آدمي سواه ، لاستطاع أن يجد في وحدته هذه عين السعادة التي تداخله كلما عرف الصابه .. ولكنه لن يلبث — مع الزمن — أن يحس نقلى ويحبس إلى جمهور المستمعين الذين اعتاد أن يراهم مفتونين بمعزته ! .. وهذا شأن الرسام ، والشاعر ، وكل مدح أو مبتكر .. أنهم لا يستطيعون أن يعترفوا الناس

ليخلوا إلى محمهم مدى العمر ، فهم بحاجة إلى تقدير الجمهور ، يجدون في هذا التقدير تأكيداً لنبوهم وإبداعهم ! .. ومع ذلك ، فعلى وسع الفنان أن يتسلل عانداً إلى محرابه وعزلته ، متى شاء !

نكريات الإنسان .. تجد سعادته !

ولا سبيل لمرء إلى أن يقارن بين حياته وحياته أجداده إلا بالتعلم .. فإن العلم يرشده إلى أن يدرك ، من تكرار بعض الحقائق المعينة ، مدى ما طرا عليها من تغير .. وكذلك بازدياد النضوج يجد أن كل إحساس بالسعادة يذكي من وقدة النهم والنشاط .. وبالتالي ، يؤدي اشتداد شعور المرء بالسعادة إلى زيارة إحساسه بها هو ميه من نعمه ، وما أصابه من حظ . وكل سعادة تعتبر حاله وسطى بين الشروق والغروب ، ومن ثم فالشعور بأن السعادة ليست ثابتة ولا دائمة — وإنما هي مفيرة — يزيد من تهامت الإنسان عليها ، واستيعابه لها !

وعلى هذا ، قد يصحو المرء من نومه ذات صباح والسعادة تهلا نفسه ، إذ يجد أنه موفور الصحة ، والقوة ، والنفوذ .. ولكن هذا الشعور قد يتبدل لأي شيء تقع عليه يده في ذلك الصباح نفسه .. أو قد يمسده عليه أمطاره أو أهله ، أو نفسه ! .. أما إذا لم يلق إحساسه بالسعادة ما يعكسه ، فإن المرء يقبل على عمله في قوة وبشورة .. ثم يشبه علماء الأخلاق أن يسوا هذا « تشبيله » فنحن نسليه

« سعاده » محسوب .. لان هذا الاسم أكثر ملائمة ولياقة للإنسان !

وفي وسعنا ان نريد هذا الشعور والإدراك بكل الوسائل .
لا سيما أحدثها .. فالإنسان إذ يجمع الصور على مر سنين
عمره ، ويسجل الأصوات والمناظر ، نشوء نفسه ذكريات
ملا فراغ حسانه . ونوسع من نطاقها حتى تبدو كخافه
أو أسطورة .. ولا يهم بعد ذلك أن يدفن هذا الصرح من
الذكريات معه إذا مات !

والإنسان في إقباله على التروذ بالذكريات — وهو يدرك
أن الموت لأبد أن يصيبه يوما — يشبه الفنان الذي يظل دائما
على إعداد الرسوم ، يهيئ لعل متى قد لا يقدر له أن
يكمل يوما !

وهذه الرعية في جمع ذكريات الحياه ، مع اليقين من
الموت ، طالما حيزت الإنسان — منذ أقدم العصور — على
الإنتاح .. وما كتب « كازانوجا » تلك المجلدات عن نزواته
ومغامراته ، رعية في تسليبه الأجيال المقبلة بعده ، وإنما
كتبها ليملا عراة حياته في شيخوخته ! .. والمرء إذ يدامع عن
نفسه — في مذكرته الخاصة — قد يحنج إلى الحداغ
والمראה ، ولكنه سيظل دائما يخلد لحطاته الرائته ،
وسحاول أن يستمد من معين ذكرياته أطرا يحيطها بالرواء
.. في حين أن الرجل الذي لا يخفل بتسجيل يومياته ، في
غمرة العمل الجدى — سواء أكان مغامرا في ميدان الهوى ،
أو قائدا في ميدان الحرب — يتخطى من الحقائق الجاهدة !

وكذلك كرس بابلون .. فهو لم يحتل بالمعنى في نفسه
وما مر به في حياته ، إلا حين اضطر إلى الحياه في الحسى ..
فهناك وجد الفراغ الذي حمله على أن يروى لنفسه قصصه
حياته ، وعلى أن يامل ما تخطلها ، ويسترجع ما مر به منها من
لحظات السرور والهناء ..

مثل هذا الاستعراض السريع الذي يجريه المرء لحياهه
الماضية ، يثير في نفسه ذكرى المراحل الزاهره في عمره ،
ويحمره على معهد يستل الذكريات بالرى والمسبق !
الشيخوخ أكثر استمتاعا بالسعاده من الشباب !

وكما تختلف صور السعاده باختلاف اصول ، تتبين
علاقته بالموت تتباين مراحل العمر .. فالموت أقرب إلى
الشباب منه إلى سواء من مراحل لسر ، لأن الترويات
وفورات الامعمال كثيرا ما تدفع بالشباب إلى الإنتحار ..
أما في منتصف العمر ، فيبدأ المرء في المسك بالمثل العليا ،
ومن ثم يأخذ الموت في التقهقر إلى مؤخره ابدن ، كما أن تزايد
الأنواء ونهوههم بنعش الأمل في الخلود .. ثم يعود الموت إلى
نفوذه في مرحلة الشيخوخة .. وهما نلاحظ أن المرء — وده
بلغ ذروة المرمه أو الثراء ، أو الشهرة ! — لا يتألك أن
يقارن بين نفسه وبين سواء ممن على شاكلته ، ولو دون أن
يعطن .. فتجد الغنى في سن الخمسين يسائل نفسه :
« ترى ، هل يفوقنى في الثراء أحد ، ممن ملعوا الخمسين
مثلى ؟ » ..

وكذلك نلاحظ أن الوصية — التي يكتبها الثرى — تعتبر
وسيطا لمخالبه الموت ، ولو من حيث أنها معنى بعد بهاء
عمر صاحبها .. وهنا ، نجد أن تسهله يستند — بل

سترع - من اليقين بالموت ، إذ نتخذ من الوصية وسيلة
لإظهار الأثار لمن نحب ، والانتقام ممن نكره . . . وعندما
يقفل الموصي أساور من حرمهم من ميراثه ، ويتخيل لوحة
الغيظ والحسرة في موميهم ، يشعر بأنه إنما ينتقم من القدر
الذي حرمه نور الحياة قبل سواه !

الخلود .. بعد الموت !

والتفكير في خلود الاسم بعد موت صاحبه ، هو أروع
درجات السعادة لأن صاحبه لا يحفل بالموت بقدر ما يهتم
بخلود اسمه ومجده . . . ولذلك نجد بعض الأغنياء يعمدون
إلى تقديم الهبات والتبرعات . . . ويعلو الشعور بالسعادة
عند المخترع والمؤلف ، إذ يشعر بأن اسمه سيظل يدويا من
بعده . . . ولعل هذا يبدو جليا فيما كتبه « جيته » في إحدى
لحظات سعادته هذه : « أن أثار حياتي لأفانية ، لن تسي
على مر الأجيال » . . . ولقد كان مقترفاً لمنعها بالمرح
والإشراح في آخر ساعات عمره !

وهكذا نتخذ السعادة - في أواخر أيام الإنسان - تلك
الصورة التي كانت تتخذها في اللاوعي إبان الطفولة . . . فندء
الحياة ونهايتها يعلنها الظلام . . . أما منتصف الحياة فيسطع
نوره كشمس الضحى !

وعندما قال القدمون أن الإنسان لا يحس سعدا أو شغيا
حتى يموت ، لم يكونوا يتلاعبون باللفاظ . . . إذ قد يحس
المرء حياة معتمة ، ثم يهيئ مينة مناسبة تصفى على ذكره
نورا . . . تماما كما يحدث عقب أية مرحلة ممتعة ، إذ يعود
النظارة إلى دورهم وفي رؤوسهم ونموسهم آثار المشهد
الأخير !

٣ - العظمة

عظمة نابليون .. وعظمة هتلر !

في أصل أحد أيام الحرب العالمية الثانية ، وقمت سيره عند
تقعة هادئة ، منعلة ، من بقاع الساحل الغربي لأمريكا ،
وهبط منها خمسة أشخاص : فيلسوف ، وموسيقي شابة ،
ورجل أعمال وروجه - التي كانت تشغل بالتدريس -
وظلها . . . واستهوهم منظر البحر والطبيعة في الساعه التي
تسبق الغروب ، فاستلقوا على الرمال يستمتعون بهذه العتة
الصفية . . . وسرعان ما أسلمهم السكون الوداع إلى شوة
فكرية ونفسية صرغتهم عن مشاعر الحاة ، فنسوا ما لقوا
فيها من محاح وفشل . . . بل أن بعضهم نسي - وهو يتأمل
المنظر - أنه أمام المحيط الهدي ، الذي كانت بعض أرجائه
تشهد في ذلك الوقت أهوال الحرب . . .

وأخيرا ، هتف رجل الأعمال : « يا لله ! » . . . فانتبهت
الموسيقية من تملاتها ، وقالت في لهجة حاملة : « ما أروعه من
منظر ! » . . . وإذ ذاك قالت المدرسة ، وكانت تكبرها سنا :
« ما هذا منظر ، فالمنظر يوحى بالامتعال . . . أما هذا فإسميه :
الطبيعة ذاتها ! » . . . والتفتت إلى الفيلسوف تسأله رأيه ،
فأبتسم قائلا : « أنه على أية حال ، منظر عظيم » . . . ليس
كذلك ؟ »

وساد الصمت لحظة .. لم اعتدل رجل الأعمال — وكأنه بهم بمناقشة أمر خطير — وقال في لهجه من شغل بالتفكير في أمر معين : « إذن ، ما لب سسى هذا امطر عظيميا .. اترك تثارر الشمس الافة بمرجل العظيم ؟ » .

قالت الموسيقية : « الشمس عظيمة دائما .. حتى عند الموت ! » .

فقال الفيلسوف : « إن الذي لا يجمدب لانتظار في موته ، إنما يبرهن على أنه لم يكن عظيما في حياته ! » .

وهنا قالت المدرسة معترضة : « كأن كل شيء يتوقف على الساعة الأخيرة ؟ .. لا ، لست من رأيك . إليك نابليون مثلا .. لقد كانت نهايته تعسة أليمة ! » .

— بل انه ، على العكس ، مات ميتة البطل الحق .. تماما كما كان في حياته .

— بطل ؟ .. من هو البطل ؟ .. هل كل الأساطال عظماء ؟ .. وهل كل العظماء أبطال ؟

قالت الموسيقية : « حدثنا أولا عن العظمة ! » .

وعندئذ قالت المدرسة : « نعم ، هو ذاك .. ما هي العظمة يا استاذ ؟ » .

فابتنم الفيلسوف قائلا : « لشد ما نذكرننى بالمذبح حين يسأل امام المذباغ : ما هو العتباين ؟ .. ان العظمة كالجمال ،

لا يمكن تعريفها في جملة واحدة ! .. ما هي الشمس ؟ .. لو رجعت إلى دائرة المعارف لوجدت محيطها ، ودرجة حرارتها ، وبعدا عن الأرض ، وعشرات من الحقيق .. وكذلك لن تحدى شيئا عما نبصره الآن بأعيننا .. وكذلك الأمر بالنسبة للعظمة .. فهي متعددة النواحي .. » .

وهناك قالت المدرسة — وكانت تسمى « دوللى » : « كأنك ترى أن العظمة مجرد إحساس ؟ » ، فأجاب : « بل هي أكثر من ذلك ، وأقل أيضا .. إذ أنها توحد بلا إحساس .. كما أنها في الحقيقة أبعد من أن تدركها أعين إحاسيسنا ! » .. فمسائل رجل الأعمال : « حسنا .. أيهما تراه عظيما ؟ .. نابليون ، أو هتلر ؟ » .. وبادر الفيلسوف مجيبا : « نابليون بالطبع .. » . فقالت دوللى : « ربما كان هذا إحساس عام لأن هتلر عدونا .. ولكن ، كيف تثبت أنه غير عظيم ؟ » ..

سيادة الشعب الألماني .. فكرة خرقاء !

واعندل الفيلسوف في جلسته ، ومسح عدستى نظارته ، ثم تفرس في لبحر وكأنه يبحث عن شيء على صفحته . أو يستجمع شوارد ذهنه . وما لبث أن قال : « هتلر لا يملك سوى أن يحلم ، ويحمر ، ويبعد .. إن تفكيره ينحصر في تنصيب شعب معين سيادا على جميع الشعوب .. فكرة خرقاء لا تصلح لعصرنا هذا .. انه كالخثيع الذي يريد أن يعلو على كل الناس .. لا ، بل هو كالضعيف الذي يدفعه شعوره بعدم الأمن والاطمئنان إلى أن يمسك من حوله .

فلا يلبث أن يضيع هو الآخر وسط الانجرار . ولا يبقى منه شيء !

قال رجل الأعمال : « ولكن نابليون أراد هو الآخر العنك والتدمير » !

— بل كان أول ما فعله نابليون — في مساء اليوم الذي استولى فيه على السلطان — أن ألف لجنة لوضع قانون جديد .. لم يخلق الوانا من الفوضى والاضطراب ، وإنما سعى إلى وضع حد للفوضى والاضطراب .. ولا يزال قوانينه باقية ، سارية ، حتى اليوم .. بعد ١٥٠ عاما ..

وقالت الموسيقية في استياء : « إذن ماتت تعتره عظيم بسبب قوانينه ؟ »

— إنما أردت أن أسير أن هتلر لم يخلف قانونا وطمحا ، ولكنه ترك موضى واضطرابا .. ليس عليكم سوى أن تتفرسوا في صوري هتلر ونابليون ، وسبرون كل شيء في وضوح !

وقالت « دوللي » محقدة : « اتعتقد أن ملامح الشخص تقرر من قبله ؟ »

— إنها تم عنها .. أن شكل الرأس وملامح الوجه لا تكذب أبدا .. وأن رؤوس : نابليون ، والإسكندر ، وقصر ، ودانتى ، وبيتهوفن ، لتكشف لى متأمل من معالم النبوع !

قال رجل الأعمال : « ولكن ، هب أن نابليون مهد إلى التدمير كما فعل جنكيز خان .. ألا ترى أن الأفكار التي

تجول في الرؤوس — وليست الرؤوس ذاتها — هي التي تدفع أصحابها إلى العظمة ؟ »

— لا هذه وحدها ، ولا تلك وحدها . وإذا كنت قد ذكرت قوانين نابليون ، فليس معنى هذا أن العظمة تقتصر على كل من يخلف اثرا قائما .. إذ أن الآثار القائمة لا يمكن أن تبقى أبدا الدهر خالدة .. لابد أن يعدو عليها لزمان يوما .. ومن ثم فليست هناك أفعال خالدة !

العظمة .. في شخصية الرجل !

وواصل رجل الأعمال الحدال قائلا : « إذا اندثرت أعمال العظيم فما الذي يبقى من عظيمته ؟ .. ولماذا نصف إمبراطورا بالعظمة بعد أن تندثر إمبراطوريته ؟ » .. شعقت زوجته قائلا : « حقا .. لماذا نصف حمسه أو مدة من الملوك بالعظمة . ويطوى مئات غيرهم في زوايا النسيان ؟ »

قال الفيلسوف : « لأن حمسه أو سمه من الملوك هم الذين تجلت قوة شخصياتهم .. فليست الحرب و الفتوحات وحدها هي التي تخلدهم .. ومع ذلك فللعظمة ألوان عديدة تثير الناس .. من ذلك أن الناس يعجبون بكم من الطفافة والمستبدس ، رغم تمورهم من الطمع والاستبداد .. ألم يكن قيصر ونابليون — رغم أعمالهما — حكمين مستبدس .. ديكاتورين ؟ » .. فهتفت الموسيقية شدة : « كبره :

« لا .. لا أصلق هذا » .. وضحك الفيلسوف قائلا :
 « أنت تعرفون لماذا تدامع إد ؟ .. لأنها كاهنة — ستس
 بالعظمة في شخصه الرجل .. إنها لا ترى من صورة ناليون
 سوى تعبيرات عنفه ولا تفر حلالها سوى الأثر الذي كال
 يحدثه في نفوس حنوده .. ولعلها تذكر جملة أو اثنتين من
 خطبه ، ودعاية ' أو اثنتين من طرائفه ، يتخال أن حياته لم
 تكن سوى ملحمة شعرية — كما وصفا بنفسه في نهاية عمره
 — وتسي المالبس الدس قتلوا في سبيل تحقيق خطته .. إنها
 لا تذكر إلا روعة مشروعه لتوحيد أوربا وجراه في رسم
 غزواته ، وقوة جنانه ، وسرعة يده في الأمور ، ورسالته حين
 كان يقود جيشه بنفسه ، ولهجته في خطباته الغرامية ،
 وعقبرته التي مكنته من أن ينترع القاج من مدى البلبا ليضعه
 يديه على رأسه .. ومثت من الأشياء التي توحى بالعظمة
 والبطولة » .

فسألته المدرسة : « ولم لا تقول نفس القول عن هتار ؟ »

— لأنه لم تعرف عنه كلمة واحدة ، أو مشهد واحد ، أو
 إنباء واحدة ، من معالم العظمة .. لم يرو عنه ما روى عن
 ناليون مرة ، إذ مر بكوخ « شتاينويران » — الشاعر الذي
 كان قد نماه — نعهد إلى جمع طائفة من أغصان الفار —
 التي ترمز إلى العظمة — ووضعها على بابه .. لم يرو عنه
 ما روى عن ناليون حين تعرضت زوجته الثانية للخطر وهي

تصع وريثه الوحيد ، ولم يعد من سبيل إلى إنقاذ حياته
 إلا بالقضاء على الجنين ، فلم يتردد في أن يامر بانقاذ الأم
 أولا ، مع أنه لم يتزوجها إلا رغبة في الحصول على وريث ! ..
 مثل هذه الماثورات تفوق الحروب والانصارات في الإشارة
 إلى العظمة ، لأنها تثير المشاعر وتهز النفوس !

الشهرة .. دليل العظمة !

وقال رجل الأعمال : « ومن أدرانا بأن جنكيز خان لم تكن
 له مثل هذه الماثورات ، ولكنها لم تصل أينا عبر الأجيال ؟ » .
 وإذ أجاب الفيلسوف بأن هذا من سوء حظ جنكيز خان ،
 صاحبت دولي : « أمريت ؟ .. أن الأمر يتوقف على الدعاية ! »
 .. مبادر الفيلسوف قائلا : « بل هي الشهرة .. والشهرة
 التي تقاوم الزمن ، وتبقى عبر الأجيال ، خير شاهد على
 عظمة صاحبها .. »

مقاطعتة دولي قائلة : « ولم تقتصر على الحكام ، كأن لم
 يوجد بين العظماء مفانون وكتاب ومفكرون ؟ » .

— هذا ينتقل بنا إلى ميدان آخر يختلف تماما عن
 سابقة .. فان الآثار الثابتة التي يخلنها رجال الفن والمكر
 والشعر ، تحمل الحكم على عظمتهم أسهل من الحكم على
 أولئك الذين يتركون آثارا تتعرض لسمير على مر الزمن ..
 أننا لا نعرف شيئا عن « هوميروس » سوى أنه كان عبقريا

.. بل اننا لا نستطيع ان نحرم بنته كل ثم .. شخص بدا الاسم ! .. ولو لم تكن نعرف شكسبير ، ومور ، وشوبر ، ويتهون ، لجداهم في آثارهم ، دون اسمهم ، كما فعل إراء «الجندي المجهول» ... على أن هناك طريقا من الصواب تمثل عظمتهم في اشخاصهم ، لا في أعمالهم ، فهي نغمة بزوالهم .. كالمثلين والمطربين .. وما بقيت شهرة العازف الموسيقى « باجانيبي » إلا لانه أحاط نفسه بها كل جعل النساء يعتن به .. ولا خلد ذكر « كارافوا » إلا لغرامياته ..

تالت الموسيقى : « إذن ، ليس حتما على المرء ان يحب حياة فاضلة لكي يصبح عظيما ؟ »

— لا .. هناك عظمة تقسم بالعضلة حذ .. وإكر العمة — في أصلها — ليست رهنا بالأخلاق والفضيلة !

قال رجل الأعمال : « ألا ترى الماضل عظيما ؟ .. عامل اللاسلكي — مثلا — الذي يتعاني في عمله فلا يرح سببته حتى يصيبها الطوربيد فيغرق معها .. ألا تراه عظيما ؟ »

— سمه بطلا إن شئت ، ولكنه ليس عظيما .. مما كل الأبطال بعظماء !

علاقة العظمة بالجمال

وهذه صاحبة دوللي : « اشعر بانك متحير لرجال اسكر والفن ، أكثر من تحيزك لرجال العمل » .

— بل أنا بعيد عن التحيز .. لو أن عظمة « ماركس أوريلوبوس » اقتضرت على أنه كان إمبراطورا على روما ، ما بقيت طويلا .. ولكن عظمتها قامت على تملاله وملسته .. ومن ناحية أخرى ، نجد عظمة الإسكندر لا تقوم على القليل الذي عرفناه عن أفكاره .. فالمناقشة بين الفكر والعمل لا تنتهي دائما بفوز أحدهما دون الآخر ..

فقالت الموسيقى : « ولكن الإسكندر كان حملا ! » .

قالت المدرسة : « جيلا ؟ .. لو أخذنا بهذا لكان كل جميل من نجوم السينما عظيما ! »

فقال الفيلسوف : « هكذا يظنون .. ولكن ، إذا انصف أي متاح بالجمال ، فهذا ولا شك جزء لا يتجزأ من عظمتهم .. لأن الجمال يغذي الأساطير التي تؤلف قصة حياته » .

وهناك قال رجل الأعمال : « أحسب إذن أن ليس بين العظماء تقيح ؟ » .

فأجاب الفيلسوف : « هناك كثيرون .. نولتير مثلا ، ودانتى .. بل لقد كانت خلقة سقراط شهواء ، ولكن العظمة كانت تشع منهم جميعا .. » .

حياة مكتشف أمريكا .. انتهت بغلطة !

قال رجل الأعمال : « فهمت من كل هذا أن الروح الإنشائية لدى الحاكم ، أو روح الابتداء لدى الفسيفس ، هي .. سر

العظمة .. مما الذى يبين العظمة فى المعابر ، أو المكتشف ؟ » .

— الشخصية .. لماذا أصبح « كوليس » أشهر ذكرا فى العالم من « عاسكو دى جاما » ؟ .. إن الفضل يرجع إلى شخصيته ، وقصته .. كان نكرة ، يكسب دراهم معدودات من عمل شاق فى البحر ، وفى رأسه شتى الأحلام .. وقد مكث عشرين عاما يحدث القوم فى تجمس عن أحلامه ومشروعاته الخيالية ، حتى قدر له أن يؤثر على اعظم ملكة فى زمانه ، فقبلت التضحية بجواهرها وسفنها لهذا المغامر .. واكتشف « كوليس » عالما حديدا دون أن يدرك ، ثم عاد مكل بالسلسل ، وأهين ، ومات منسيا .. هذه القصة هى التى تنطق بالعظمة .. قصة انتهت بفلمة كبيرة !

واستأنف رجل الأعمال حديثه قائلا : « فهمت كذلك أنك تقرن الشهرة بالعظمة » .

— إن الشهرة هى التى تقرر — بمرور الزمن — ما إذا كان المرء عظيما .. فعنصرية الرجل قد تنسى وتتوارى بعض الوقت ، ثم تبرز أعماله وآثاره فجأة ، ماذا به يملك فى عداد العظماء .. هكذا كانت حال « كورنيكس » و « جاليليو » اللذين اتهما بأنهما دجالان افاقان ، فى بداية الأمر .. وهكذا كانت حال أكثر من فنان ورسول .. (وهكذا كانت حال « خوفو » و « رمسيس » .. وغيرهما من الفراعنة) ..

كثيرا من المنتحين يلقون من التقدير فى جيلهم موق ما يستحقون ، ثم لا يلبثون أن يروحوا بين حيات النسيان .. ولكن هناك طريقا لا يلقون حقهم من التقدير فى رواهم .. ثم يحظون بالتقدير بعد أجيال .. وهذا يعسر سر العزلة التى يلود بها رجال فى الدرجة الأولى من النبوع .. بينما يتهامت من هم فى الدرجة الثاسة على الأضواء .. قارنوا رأس وشخصية شارل الخامس ، رأس وشخصية أحمد معاصريه ، وهو « سيرار بورجيا » .. كان « شارل » عاهلا عظيما ، ولكنه كان يعيش فى عزلة .. أما « سيرار » — ابن اسفاح ! — مكر لا يقعد عن السعى للظهور .. انضروا إلى مزيج « مكل اتجلو » ، وملاح البابا « يوليوس الثانى » ، ترون الفرق بين العنصرية المنطوية ، وبين الحياة البراقة !

الرسام الذى كان يحسده الملوك !

قال رجل الأعمال : « وبمماذا تسمى أولئك الذين قدرت أعمالهم فى حياتهم ، وخلدت سيرتهم بعد موثهم ؟ » .

— أسهمهم سعداء الحظ .. لملك تفكر فى موزار ورفائيل وهاندل ؟ .. على أنك لو سألتنى عن اعظم مثال للعظيم الذى سمع بشهرة ذائعة فى حياته ، كما خلد بعد مماته لقلت انه ... فهمت الموسيقى : « لورد بايرون » .. وقالت المدرسة : « أوغسطس » .. — قد يكونا كذلك .. ولكن اهرى الكامل الذى أعنيه هو : « تيسيان » !

وبدت معالم الخيبة على وجوه الآخرين ، وقالوا : « انه غير معروف » .

— لقد كان من أعظم الرساميين الذين عرفهم الجنس البشرى ، إن لم يكن أعظمهم طرا .. وفي الوقت ذاته ، كان الملوك يجسدونه على عيشه .. كان كاهنا في كل شيء .. في الفن ، وفي الحب ، وفي الشهرة .. ولم أر مثله في عصرنا هذا سوى .. « توماس أديسون » .

فصاحت « دوللي » في خيبة ظاهرة : « ولكن .. لماذا اخترت أديسون ؟ حقيقة انه اخترع المصباح الكهربائي ، و « الفونوغراف » كما أظن أن له صلة أيضا بالسينما .. وربما بالراديو كذلك ، ولكن .. » .

— كلا .. ليس السبب هو المصباح الكهربائي ولا « الفونوغراف » .. وإنما السبب أن أديسون أوتي شخصية قوية مكتسحة تأسر كل من اتصل بها .. لقد كن هربا حين رأيته ، ولكن راحه لم ينحن قط ، بل بدا كأن الزمن يزيده استقامة وثباتا .. وضحكته الشابة ، وصوته العالي ، وبعده عن التكلف والتظاهر ، والمرح الذي يشع منه .. هذه وحدها كانت تنطق بعظمته .. فضلا عن أعماله الخالدة وآثاره العظيمة .. وأن مخیلتنا لقرط هذه الشخصية العظيمة في أذهاننا بالكتاب الذي كافحه ضد خصومه ومعارضيه .. الكفاح الذي انار للعالم سبيله !

الموت .. مفتاح لإدراك حياة الإنسان !

فقال رجل الأعمال : « اننا دائما نعكس انفسنا على عظمائنا المعاصرين .. فمن تراه عظيما بين معاصرينا ؟ » .
— لا يسعني أن أرد على هذا السؤال حتى نلتقي في سنة ٢٠٠٠ على هذا الشاطئ نفسه ! .. فلي تغير من المحيط الهادئ شيء .. أن تعاون كثير من العقول و العمل الواحد في أيامنا هذه ، يجعل من العسير اكتشاف عظمة الفرد الواحد ومدى ما أنجز من أعمال ! .. حقيقة أن عندي بعض افكار عن عطاء العصر ولكنني لا استطيع أن اتحقق من شيء .. وليس في وسع امرئ أن يحكم بعظمة زعيم معاصر ، إلا إذا عرف كل الحقائق عنه ، في حين أن جانبنا كبيرا من هذه الحقائق ما زال سرا مكتوما في الوثائق الرسمية .. ثم أن احدا لا يدرى كيف سيقدر لهذا الزعيم أن يموت .. فحياة بدون المنظر الختامى حياة ناقصة ، كتمثال أو مسرحية لم تتم !

فقالت الموسيقية : « إذن فانت تعتبر الموت جزءا من الحياة ؟ » .

— بل أكثر من هذا .. إنه المفتاح إلى إدراك حياة الرجل .. مثلا ، كيف يكون المسيح بدون منته المفجعة ؟ !
فقال رجل الأعمال ، في لهجة من لا يصدق ما يقال : « كئني بك ترى أن كل شهيد لابد وأن يكون عظيما » .

— كلا ، مطلقا .. فليس المسيح عظيما لانه صلب فقط .. وإلا لكان ضحايا النارية الأبرياء عطماء كلهم .. بل ليس المسيح عظيما لانه دعا إلى فكرة عظيمة ومدا رائع ، وإنما لانه عاش بالعمل في عكرته ودعوته .. ودمع حائه ثمنا لها !

عظمة النساء .. وراء الأبواب !

وصاحت دوللى نائمة الصبر : « لك لا تفقنا تتكلم عن الرجال فحسبي ، كما لو لم تكن هناك نساء عظيمات ! » .

— ذلك لأن عظيمات النساء شيء نادر .. والعظمة تعني أكثر تعقيدا واشد عموصا ! ولعل عظيمات التاريخ كثير ، يتحمل عامل واحد مشترك في سر عظمتهم .. ذلك أيهن جميعا كن نساء ! .. أقصد أن اثوثتهن كانت هي الحاسمة في تقرير عظمتهم ، بخلاف الحال في معظم عباقرة الرجال .. ولنا في حياة الملكات والأميرات أبرز مثال .. فكثير من العظيمة مثلا ، كانت متأثرة إلى حد كبير جدا بحياتها الجنسية .. كما أن الملكة إليزابيث — ملكة إنجلترا — كانت تسفرسل على مسيحيتها الاثوية أكثر مما تعمد إلى طنائها الملكية في أكثر من لحظة من لحظاتها الحاسمة !

فسالت المدرسة في تحد ظاهر : « ألا تظن أن دين النساء عظيمات من الصنف الباسل الجريء ! » .

— قد تجددين مثل هؤلاء في الشعوب العاطفية الشديدة الحساسية كالفرنسيين والروس .. ولكلك لن نجدى أمثال « جان دارك » بين الساكسونيين .. اننى أعجب للمرأة التي تتعنى المدا أو تمتشق السيف للدفاع عن قصة الحرية ، أكثر مما أعجب بالرجل الذى يدامع عن القضية نفسها ، لأن المشقة عندها مضاعفة ، إذ أن حمل السلاح ليس من شمة الأنثى !

— أتريد أن تقول أننا نأني في المرتبة الثانية ؟

— لا .. على العكس ! انكن تأتين في المرتبة الأولى ، فإن للنساء دائما المقدرة على أن يجعلننا نجس بهن ، وهذا شيء ينذر حدوثه بين الرجال .. ومن ثم فالمرأة لا تحتاج إلى العظمة مثلها تحتاج إلى الجمال ، والسحر ، والجادبية .. ولقد كانت النساء في مختلف العصور مبعث العبقرية والإلهام ، ولكننا لا ندرى تماما ماذا فعلن ، لأن ذلك إنما حدث وراء أبواب مغلقة دونهن ! .. على أن بعض ما أثر النساء وصلنا على نطاق ضيق ، وعن طريق المصادمة محسب .. من ذلك ما فعلته « كليوباترا » الحسناء الشاب ، عندما لبت نفسها في بساط لتتحايل على لقاء « قيصر » .. هذه عبقرية أضعتها في صف واحد مع اكتشاف كوليس للقارة الأمريكية .. على أن المرأة نادرا ما تقبى عبقريتها للناس ، إلا إذا كانت ثائرة ، تسعى إلى قلب الأوضاع ! .. فما جحيت عليه سيد العالم خلال الأربعين سنة الماضية — عندما تمسبون في أسفوف مع

الرجل — ليس بالشيء الحاسم .. أن المرأة لم تكن عظيمة قط إلا في الحياة الخاصة ، وهذا هو أسعد في صعوبة إحصاء عظيماات النساء ، وهذا هو السبب أيضا في انكم تجدوهن في القصص والروايات .. عذب مشاء غان أن يخلدمن ! .. بصوت المرأة الحافز الملهم لا يسمع إلا في خلوة .. بها كما تسمعس إلى صدى البحر يرفعها إلى اذنك !

« تم الكتاب »



الإحياء الذاتي

للباحث النفسي: ر. دي سانت-لوران

أداة تمكنك من التأثير فيمن حولك

قدم لك « كتابي » في المبدأ الماضي ، أحدث كتب النفس التي يرشدك إلى أسهل الطرق لتقوية الإرادة وتعزيزها . . . وقد ورد في سياق ذلك الكتاب ، ذكر « الإحياء الذاتي » ، كوسيلة رئيسية في سبيل خلق الإرادة لدى الإنسان ، لذلك ، رأينا أن نتبعه بالكتاب الذي تلخصه لك فيما يلي ، عن « الإحياء الذاتي » ، الذي أجمع العلماء على أنه الميزان الذي يمكن الإنسان من ضبط نفسه على طريق وسط ، بين مختلف الأفكار والآراء والاتجاهات . . . إنه الأداة التي تبرز قوة شخصيتك ومفعولها ، حتى تتمكن من التحكم في الحوادث ، بدلا من أن تنساق إليها ! . . . إنه سبيلك إلى التأثير على من حولك ، حتى تخطو إلى مصاف الزعامة . . . إن شئت أن تكون زعيما !

نتحدث عنه ولا نعرفه معرفة كافية

لا يكاد يوجد بين الوسائل التي تشاري الملاسفة — على مر العصور — في استكراها لتمكين الإنسان من تدعيم شخصيته . . . ما يعوق « الإحياء الذاتي » تأثيرا ووساطة . . . فهو السبيل إلى أن يصاعف المرء من مفعول شخصيته حتى يعذب بهجته من أن تتحكم فيه الأحداث وتسوقه بالرغم من إرادته ، وحتى يكون قادرا على أن يسيطر على نفسه في المهمات والصعوبات . . . فيستطيع أن يعالج موقفه بحيث يسيطر هو على الأحداث . . . وحتى يحمي من تأثيره على جميع من يحيطون به . . . أو يعشرونه . . . وعلى كثرة ما تردد « الإحياء الذاتي » على ألسنتنا ، ملا يزال كثير من الناس يقتصرون على معرفه سطحية به . . . ومن ثم فهم يسيئون استعمال هذا السلاح القوي ، من أسلحة الشخصية ، أو يستعملونه استعمالا خاطئا !

قوة « الإحياء الذاتي »

لذلك كان أول ما ينبغي عليك — إذا شئت أن تعيد منه — هو :

ان تفهم — قبل كل شيء — مدى ما للإحياء الذاتي من قوة !
فلنسا نغالي إذا قلنا « ان الإحياء الذاتي » . . .

يساعدك على التخلص من العيوب والنقائص والعيادات السيئة ، وأن ينمى ملكاتك المعطلة ويبرودك ملكات جديدة . ويمكك من أن تعزز شخصيتك وبموهبتها . ذلك لأن الأفكار قوى . وهى قوى فعالة . حتى لقد قاتل بعض الحسماء . أن « الأفكار تحكم العالم » ، وجاء التاريخ مصدقا لذلك . وليس بالشئ المجهول ذلك الأثر الذى كان للأفكار الفلسفية التى شاعت فى القرن الثامن عشر . الأثر الذى أدى إلى قيام الثورة الفرنسية .

وبفضل « الإحياء الذاتى » ، تستطيع أن تحول أفكارك إلى قوى فعالة تساعدك على بلوغ ما تصبو إليه من آمال
تستطيع أن تطلق ما فيها من طاقته ، على شريطه أن محسن استخدام هذه الأداة الفعالة !

وما أشبه الشخص الذى يحسن استعمال « الإحياء الذاتى » ، بالنوتى الذى يستعين بشراع فاربه ، ينشره على أكل وجه ، فإذا القارب يسرى فوق الماء سهلا سريعا . . . هل يستوى هذا بالنوتى السدى يحاول جاهدا أن يسير قاربه باستخدام المحذفين ؟ . . وما هذا الأخير سوى الشخص الذى يحاول تشكيل شخصيته بفضل قوة الإرادة وحدها !

عندما تنقلب الأفكار إلى أفعال

تصال نمحص — بفصيل وإسهاب — تلك الأعمال الغامضة ، الفعالة ، التى تتخذها الأفكار فى أفعالها :

لنفترض أننا سمحنا لمكرة معينة بأن تنفذ إلى عقلنا ، فما التأثير الذى تراها تحدثه علينا ؟ . . لسوف نبادر إرادتنا إلى معاملة هذه الفكرة ، سواء بالاعراض أو بالقبول ، نسا لما تتضمنه . فكلها بدا الشئ لخيالنا جذاب أو موافق له فهو إليه ، أراداد اسراع إرادتنا فى الانجذاب نحوه . . . وهذه ظاهرة كثيرا ما تصادفنا فى حياتنا اليومية ؟
إلى الأثر القوى الذى تحدثه فى نفسك الإعلاات الجذابة ؟ . . .
أن احياءها ينمى إلى عقلك ، فيوجهه خلال الأفكار التى تصطبغ فيه !

ثم لا يحدث كثيرا أن نرى شابا حسن النشأة ، درج بين أسرته على الاتزان والاجتهاد ، ينقلب مجأة فينساق إلى الفساد ، خارج نطاق أسرته مثل هذا الشاب يغيره السرور الذى يربفه له رفاق السوء ، ينساق لنفودهم ويحائهم ، ويحيد عن الطريق السوى .

أن الأفكار فى هذا المثال ، قد انقلبت إلى أفعال . . . ولكننا أعمال سوء ، للأسف !

الأفكار تؤثر على الحالتين النفسية والصحية

ولكن الأمر اعق من ذلك فالفكرة إذا ما نفذت إلى عقلك ، قد تغوص أحيانا إلى أعماق بعيدة ، فغور فى عقلك الباطن ، ولا تلبث أن تتدخل فى أنفصلاست العاصفة

تتولد تلك الكلمات والحركات التى يخيّل للمرء أن إرادته لا تمكّ تحكما فيها ! . . . فالتقى أو خشيّة الفشل . لا تلبث أن تبعث في المرء تشاؤما مستترا ، فيقتنع بأنه لا يستطيع النجاح في شيء ، وأنه دون سواه مقدرة . وما ذلك إلا لأن أفكار الضعف والتوجس تمكّت من نفسه . . . كذلك نراه يعمّأى الحجل . فيتولاه الاضطراب والارتباك . إذا . . . وجد في حمرة أمراد يعتقد أنه أقل منهم شأنا . مع أن هذه المصايقات لا لبث أن تختفى من نفسه — وكأنها مسها سحر خفى — إذا قدر للمثل هذا الفرد أن يعلج في تغيير رأيه . . . وفي استعادة ثقته بنفسه ! ولا يقتصر فعل الأفكار على هذه الحالات النفسية . بل أنه يمتد إلى الصحة البدنية ، فإن الحزن والهم قد يسيب أمراضا تؤدي إلى أوجم العواقب . في حين أن السؤال يساعد على مغالبة الأمراض .

والآن . . . إذا لم تكن قد استوعبت ما سبق من حديث . فنجدير بك أن تعود إلى قراءته !

ذلك لأن « الإحياء الذاتى » هو « أن تخار الأفكار ذات القوة المحفزة الدافعة ، فتحفظها في عقلك » . إذ أنها لا تلبث أن تنبه إرادتك وتبعثها على العمل ، وتولد في نفسك انفعالات مفيدة ، وتضى على صحتك آثارا طيبة !

أكد لنفسك أنك ناجح !

أن « الإحياء الذاتى » يضع في متناولك قوة معاله مطواعة ، إذ يهد السبيل أمامك لاستغلال ما للأفكار من إمكانيات وعن طريقه تستطيع أن تحصل للعقل على انطلاق كامل . بفضل تحريره من الأفكار المحزنة التى قد تكون اكتسبتها من الحوادث أو ممن يصادفك من أشخاص .

ومنهج « الإحياء الذاتى » سهل بسيط . . . فإذا شئت أن تسلكه ، فابدأ الآن ، ولا تضيع وقتا . وهناك تمرين بسيط ، لا يتطلب أكثر من أن تردد لنفسك العبارات التالية ، إما في السر ، أو همسا :

— بوسعى أن أبذل شخصيتى تماما وبسهولة . . . بالإحياء الذاتى .

— بوسعى أن أصحح عاداتى الخاطئة ، وأن أقوى شخصيتى عمليا .

— أستطيع أن أحسن مركزى ، وأن أنجح في كل ما أريد . فأتى أمتك من النجاح الذى لا مرأى فيه .

— أئننى أسير فعلا نحو النحس والفوز ، لأننى أسبل قوة الإحياء لمصالح نفسى . . . وسأزداد بهمة في غد .

— سأكتسب في كل يوم مزيدا من الإيجابية بنفسي .

كرر هذه العبارة لنفسك مرتين - في كل يوم - على الأقل . .
مرة قبل ذهابك إلى عملك في الصباح ، ومرة قبل أن تاتى إلى
مراشك . وكن مخلصا صادقا في تأكيدك بل عزمك لنفسك . في
إثباته ، وفي مقابلة لأية أفكار تكون في ذهنك .

اعرف نفسك أولا !

وهك تهرينا آخر لا بد منه :

افحص نفسك ، وسجل كتابة ما تجده من مشاعر أو عادات
سيئة تريد التخلص منها . وم تود أن تكتسبها من المشاعر
والعادات الحسنة . . أسأل نفسك :

— هل أنت ميل إلى التقاعس والخمول ؟ . . وهل يتقصك
منهج واضح تنبجه في أداء عملك . وفي مواصلة بادية
واجباتك ؟

— هل أنت هدف لنوبات من الهبوط ابندنى أو الضيق
النفسى ، تنمع بك إلى الشاؤم في كل ما سكر فيه ؟ . . اشعر
بانك أدنى من المنصب الذى تشغله ، وهل تحس بالخلل في
ملاقاتك بالغير ، وهل يثبط من عزيمتك الخوف من الفشل .
الذى تخال أنه يلازمك ؟

— هل تريد حقا أن تضاعف من مقدرتك على الجهد العقلى .
وأن تكتسب مزيدا من القدرة على التركيز . وأن تزيد من شبر
شخصيتك ؟

حدد إيجابياتك الحقيقية عن كل هذه الأسله أولا . وركز
اهتمامك على كل ما تريده مما جاء في السؤال الأخير . عبر
نلت شيئا منه ، فاسع إلى آخر . . وهكذا .

شروط لا بد منها . . إذا شئت النجاح

وللإبقاء لذاتى قواعد ، يجب أن يؤخذ على أنها شروط
للتعاون بينك وبين امكانيات نفسك . وكثير من الناس يفتلون
في تحصيل النتائج التى ينشدونها من الإيحاء الذاتى ، لأنهم
يهملون بعض هذه الشروط ، فيؤدى بهم هذا إلى أن يندوا
الثقة في « الإيحاء الذاتى » .

والواقع أن هذه القواعد سهلة ، ماتراها في امعن :

١ — يجب أن يقوم الإيحاء الذاتى على حقائق : فليس اصبر
بهذا المنهج من المبالغات ، ومن تجاوز الامكانيات العملية .

٢ — يجب أن تنقى الإيحاء الذاتى من كل فكرة غريبة عن
غايته : إذ أن المفروض منه ، هو أن تصور لنفسك أن فكرة
ما ، أو عمل ما ، ليس بالأمر العسير الأداء عليك . . ومن ثم
معليك أن تركز كل اهتمامك على هذه لفكرة ، أو هذا العمل ،
دون سواه . وإذا شئت أن تنهر الخجل ، وحب أن تتخلص
من كل فكرة توحى بالشك في نفسك ، أو بالخوف .

٣ — يجب أن يكون الإيحاء الذاتى إيجابيا : فليس تود
تؤدى إلى عكس المرغوب . . لا تقل : أنا لا أعرف الصعاب .
وإنما قل : « بوسعى أن أنظلم على الصعاب » ؟

٤ - يجب أن يكون الإحياء متبداً وحاضراً : لا تتل « لسوف أصبح .. » ، وإب قل : « إب في متناولى الآن أن أكون .. » . ذلك لأن صيغة المضارع ، تنسبك إلى العمل مورياً ، أما صيغة المستقبل فتترك مجالاً للتردد .

٥ - يجب أن يتكرر الإحياء الذاتى من وقت إلى آخر : وقد أعاد نابليون أن يقول أن التكرار هو حير قوة مؤثرة في الحديث ، إذ أنه يثب الأفكار في النفس إلى أعماق بعيدة . وهناك أوقات معينة - في اليوم - يكون الإحياء فيها أجدى منه في سواها . فإن النفس تتأثر بالإحياء عندما يكون الحسد مستريحاً ، مسترخياً ، محوطاً بالهدوء .. ولعل خير الأوقات هي التي تلى الاستيقاظ مباشرة - قبل معادرة الفراش - وقبل الاستسلام للنوم ، لا سيما وأن العقل الباطن لا يلبث - في الحال الأخير - أن يستوعب الأفكار التي توحىها إلى نفسك ، ويروح يرددها طيلة الليل !

لا تتحول عن الطريق بعد المسير فيه !

قد يستغرق منك هذا المنهج بضعة أسابيع . قبل أن تحرر تقدماً ملموساً في تكوين شخصيتك ، فلا يثبط طول الزمن من عزيمتك .. وهنا نحب أن ننبهك إلى عادة سيئة يجب أن نحلص منها أولاً - تلك هي أن تبدأ في عمك بحماس ، ثم لا يلبث هذا الحماس أن يمتد رويداً ، حتى تجد نفسك منصرفاً عن العمل قبل أن تجتئ ثماره !

ولكى تتخلص من هذه العادة ، كرر لنفسك عند الاستيقاظ - في كل صباح - وقيل النوم في كل مساء : « لك أجد لاستمرار في هذا العمل سهلاً ، وكما استبتع بإدائه . انسى لا رضى منه شيئاً إلى العد ، كما أننى أقبل عليه في كل يوم ، بنسب النشاط والتحمس ، إذ أن جهودى الأولى في العمل قد رودى بدافع لا ينفد . ولهذا فإن عبنى يبدو اليوم سهلاً ، وبفضل جهودى سيكون في القد أسهل » .

وليس معنى التكرار أن تردد العبارة بنصها هذا ، بل إن لك أن سدع لنفسك من العبارات ما يؤدى معناها ، وما يحسبها مطابقة لطروئك الخاصة ، إذ أن خير عبارات الإحياء ، هو ما كان من ابتكارك .

هذه سبيلك إلى النجاح ..

ولكى تنمى مقدرتك وكفاءتك الشخصية ، لابد لك من أن تروض نفسك على أمور ، أهمها : الإنتاج .

ذلك لأن الإنتاج هو سنة الحياة ، فلا مجال في الدنيا لعاطل . إذ أن المجتمع لا يمكن أن يستوى قائماً ، إلا إذا قام كل فرد منه بدوره الحاصل . والعمل هو أساس طليعة كل المخلوقات . في هذه الحياة الدنيا . ولعلك تجد خير المثل في خلية النحل . فهناك تخصص يجعل لكل فرد وظيفة ومهمة : الملكة تضع البيض ، والشغالة تبحث عن الأمداء فيجمع رحيقها ، وتغنى بالخلية .. أما الشغل .. بحثك عن الأمداء فيجمع رحيقها ، وتغنى بالخلية ..

أو مركز اجتماعي ، أو .. أو .. الخ . فان هذه الامكان تضاعف من اقبالك على العمل بشغف وسرور ، فليكن لك كل صعب فيه !

اقض على هذا العامل الهدام !

وفي الحياة من ضحايا الضيق النفسي والاكتئاب ، فوق ما قد يخطر بالبال ، وأن كان معظمهم يخفون ما بهم تحت مظهر من الهدوء المصطنع . ومثل هذا الصنف من الناس ، يكون مقرط الحساسية ، فهو موزع دائما بين نويات من الحماس وذكاء الهمة ، ونويات من القنوط والاستخزاء .. لا تكاد تحمله موجة ، حتى تسلمه إلى موجة مناقضة لها ، مما يحرمه من راحة البال ، واستقرار الفكر . ومثل هذه الحالات المتناقضة تشكل نشاطهم ، وتعرقل نجاحهم !

على ان بوسعك ان تتخلص من هذه الحال — إذا كتبت من اصحابها — إذا تفرغت بالايحاء الذاتي .. وأول خطوة ، في هذه السبيل ، هي ان : تحلل اسباب الضيق والاكتئاب . وسوف تجد — عندما تفحص الاسباب في هدوء وروية — ان معظمها لا يكاد يكون شيئا بذكر ، وانك ضحية اعصابك واوهامك . ذلك لان المرء مقيد في حياته بكثير من التوائه التي قد يؤدي نقص بعضها ، او الاخفاق في توفيرها ، إلى نوع من الضيق الذي يروح يتساقط في النفس بفعل « الإيحاء

نهائيه ، تكون قد أدت الدور الذي خلقت من أجله ، فيقضى عليها سكان الخلية . ومعنى ذلك ان المرء إذا انتهى دوره « ولم يشغل بنور جديد ، لم يعد أهلا لأن يعيش !

ولابد لك — إذا شئت ان تزيد من مقدرتك على العمل — من امرين : المنهج ، والنشاط .

ذلك لان جهودك تذهب هباء إذا أنت لم ترسم لنفسك — قبل بدء العمل — منهجا يتضمن الطريقة التي تؤدي بها هذا العمل والخطوات التي تتخذها في سبيل ذلك ، وترتيب هذه الخطوات . فإذا مارست منهجك ، وجب ان تتذرع بالنشاط في تنفيذه . واحرص دائما على ان لا تبدأ عملا إلا إذا انتهيت من سابقه . فان العمل الناقص يظل عبثا **يعرقل** مضيك في العمل الجديد ، او يغدو مجهودا مضيقا لا ثمرة له !

واحرص كذلك على ان تتصرف إلى العمل بكل قلبك : فلا تتشأغل عنه ، ولا تنظر إلى متاعبه ، بل أوح لنفسك بأنه ممتع ، جدير بأن تشغف به .. وابحث دائما عن نواحي الجمال فيه . ولا تنفك تردد لنفسك : « لكم احب عملي هذا .. اثنى لأعجب به ، واقبل عليه في رغبة » !

وفكر دائما في النتائج المرجوة من العمل : فان تمثل النفع الذي يعود عليك منه ، جدير بان يحبك فيه .. استعرض دائما ما ينتظر ان يجلبه عليك من كسب مادي ،

الذاتى » - ونقصد هنا الإيحاء الخاطيء الشرير - مما يؤدي إلى الانتباض .

و « الإيحاء الذاتى » كذلك - ونقصد هنا الإيحاء السليم النافع - هو دواؤك الذى يضمن لك الشفاء من هذا الداء . فكرر لنفسك مخلصاً : « ليس ثمة شيء أسهل من التخلص من ذلك الشعور بالضيق . . إن العلاج الذى لقوم به الآن إن يلبث أن يشفىنى ! » . . فإذا ما تعقبت ، فانتقل إلى درجة أخرى فى الإيحاء بأن توحى إلى نفسك بأنك فعلاً قد بدأت تشفى كأن تقول : « انى أشعر بهدوء ، وهذا الشعور يتزايد مع الوقت » . وانتقل - بعد ذلك - إلى درجة أخرى من الإيحاء أكثر تعقيداً ، فأوح إلى نفسك بأنك شفيت ، وإنك لن تعود إلى الكآبة مهما يصادفك من صعاب ، كأن تقول : « لقد شفيت الآن من المرض ، ولا يمكن لشيء أن يضايقنى ، بل أنى لالتقى الحوادث بابتسام » .

كيف تقاوم التأثيرات الخارجية ؟

بعض الناس يمضون فى السبل التى يرسوونها لأنفسهم دون ما تردد أو تكوص . ذلك لأنهم أصحاب إرادات قوية ويصعب التأثير عليهم أو إثنائهم عن أغراضهم ، سواء كان هذا التأثير من أفراد حولهم ، أو من أحداث تحيط بهم . لكن أمثال هؤلاء القوم أقلية ! . فى حين أن الغالبية من الناس ضعيفو الإرادة ، يسهل استواءهم وإثناءهم عن مقاصدهم .

فهم لذلك يشرعون فى العمل ، ثم إذا بهم يتعثرون فيسيرون فى هذا الاتجاه أو ذلك بعيدين عن غرضهم الاصيل !

فهل أنت ممن تتغير سبلهم بسهولة ؟ وهل أنت ممن بصرفون وقتهم فى حساب الوقت الذى يستغرقه عملهم ، بدلا من الانصراف بالجهد إلى ذلك العمل ؟ . . إذا كنت من هؤلاء فبادر إلى الدفاع عن نفسك ضد هذه المؤثرات الخارجية التى تحيد بك عن سبيلك ، مستغلا فى ذلك « الإيحاء الذاتى » !

وكما أن الإنسان يحرص دائما على اتقاء عدوى الأمراض المؤذية ، كذلك يخلق به أن يتقى عدوى القدوة السيئة . ذلك لأن المرء يتأثر - دون أن يظن - بالوسط الخلقى الذى يحيط به ، وإن أنكر هو هذا القاتر . . ونحن نضرب مثالا لذلك الطالب الذى يعتاد الاستكثار تحت بصر والديه ورقابتهما ، ثم يقدر له أن ينتقل إلى وسط آخر ، كأن ينتقل إلى مرحلة أخرى من التعليم ، تضطره إلى أن يقيم فى بلد آخر ، بعيدا عن أهله . . مثل هذا الطالب ، قد يضطر إلى الإقامة مع طلبة يستهويهم اللعب ، أكثر مما يستهويهم العلم . وهو قد ينكر عليهم هذا - فى البداية - وقد يقضايق من صحبتهم ، ولكنه لا يلبث أن يميل إليهم رويدا ، ودون أن يشعر . . فهو فى بادئ الأمر قد يضحك لزاحهم ، وقد لا يرى مانعا من أن يراقبهم فى لعبهم ، ثم لا يلبث أن يميل إلى مشاركتهم اللعب أثناء فراغه . . وشيئا فشيئا ، ينصرف إليهم بكل انتباهه .

كذلك يحسن بك أن تعرض عن التصح الذي يصدر من غير أهله .. فهناك هواة يوزعون نصائحهم على كل من يصادفهم ، دون أن يطلب اليهم ذلك ، إذ يخالون أن الظهور بظهر الناصحين يجديهم احتراماً ومكانة يفقدونهما .. فتجد الناجر المفلس لا يتورع عن أرشاد سواء إلى كيفية تصريف ثلوتهم المالية ، مثلاً ! .. وهؤلاء الناصحون لا يصدرن في نصيحهم عن تجربة أو خبرة ، ولا يكلفون أنفسهم عناء مشاركتك متاعبك ، لأنهم لا يهتمون بمالك أو ضررك ، وإنما الذي يهمهم حقاً ، هو أرضاء أنفسهم بانتحال مظهر الناصحين !

فإذا طرقت أذنك عبارات من أمثال هؤلاء الناصحين ، فاستعن بالإحياء الذاتي ، وابكر من العبارات ما يناقض إحياءهم ، ثم رده لنفسك .. فهذا هو خير مصلى يقيك مدواهم !

والآن .. أن الطريق إلى النجاح والفوز ، واضح أمامك ، فأقبل للفورك ولا تضيع وقتاً ، حتى لا يشلل إليك التردد :

ادرس نفسك يوماً ، لتتعرف مواطن النص فتعالجها .. وارسم لنفسك الخطة التي تتبعها في حياتك لتبلغ أهدافك ، وتجنب الخيال والمبالغة في ذلك .. ثم استغل كل ما لديك من طاقة ونشاط لتحقيق هذه الأهداف ، بادئاً بها تيسر بك الحاجة إليه ، ومعقباً بما يليه ، وهكذا .. ولا تتعجل ، فإن العجلة قد تزيغ بصرك عن غايتك ، وتحيد بك عن طريقك ..

ولتكن أدائك في كل خطوة ، هي .. « الإحياء الذاتي » !

الفهرس

صفحة

| | |
|---|-----|
| كيف تقهر « مرض » الخجل ! | ٣٩ |
| الانتصار على الخوف | ٦٥ |
| دنيا الحب .. والسعادة ! | ٨٩ |
| نحو « دائرة معارف » ، للحب والسعادة ! | ٩٠ |
| الباب الأول في الحب | ٩٣ |
| هل تصبح المرأة هي البائدة بإعلان الحب ؟ | ١١٧ |
| عندما يخرج الحب من طبيعته | ١٢٣ |
| ٢ — دنيا السعادة | ١٦١ |
| اجمع لنفسك ثروة .. من لحظات السعادة | ١٧٧ |
| ٣ — العظمة | ١٨٩ |
| الإحياء الذاتي | ٢٠٥ |
| تحدث عنه ولا نعرفه معرفة كافية | ٢٠٧ |



مختارات كتابي إصدار جديد

عزيزي القاري ..

في الكتاب السابق (رقم ٢٦ من الإصدار الجديد لسلسلة كتابي) ، قدمت لك في الجزء الأول من مجموعة موضوعات علم النفس ، العمى الميسط ، العبد عن تعقيدات الجوانب انطيمية في هذا المجال .
مختصات الكتب التالية :

١ - تعلم كيف تسترخي : غزو السعادة (لعالم الكبير برتراند راسل) : المناقصة والضجر والارهاق
٢ - كيف تقاوم الحسد والغيرة والشعور بالاضطهاد : سعادة الجسد وسعادة الروح : على حياة ايجابية
٣ - والبود ، في هذا الكتاب الذي بين يديك (الثاني من مجموعة كتب علم النفس) ، اقدرت مختصات الكتب التالية :
٤ - مركب النقص ، والعقد النفسية ، الانتصار على الخوف : الحب والسعادة : للكتاب الألماني الأشهر
٥ - اميل لود فيج :) ، وفيه يتحدث عن الموضوعات التالية : كيف تنفع في الحب : الحب معركة بين جسدين : هل
تسحب من بشيئنا ، ام من يختلف عنا : معبر المرآة واين يكمن : الشك بخصي القصرام :



٦ - الحب الأول : .. اي الجنسين اكثر استمتاعا بالحب
٧ - المرأة الجميلة لا تدفع في الحب : قصة البود ، وقصة
الامس ، ابها القوي في المرأة : الامومة ام غريزة
الجنس : ، الصداقة ، والغيرة ، والحب : .. هل هناك
صداقة بين رجل وامرأة : .. النقص ، وهل يتفرع من
روح الحب : .. هل للسعادة صلة بالفضيلة : سعادة
الاحرار ، وسعادة العبيد : .. مساعدة الطموح : في
القلق : .. هل تمتد السعادة من الاطفال او الضعفاء :
٨ - المتعة الحسية وشهوة السلطان : السعادة في الابد
والعذاب : .. الرسام الذي كان يخدمه الشوك : .. الخ
٩ - الخ : .. الانحاء الذائبة : .. كيف تنفك انت ناجح :
شروط لا بد منها اذا شئت النجاح : .. الحب في الكتب التالية
من المجموعة : كيف تقاوم القلق وتستمع بالحياة :
١٠ - كيف تظهر الخجل : .. كيف تفسر اختلافك : .. كل
جيدا ، تعنى سليما : .. من غقايا النفوس : الجامعة ،
الخائفة ، المنبوذ : .. ستر بلا الخائفة : .. هستيريا
الحب ، المكبوت عند النساء ، ناهية التخليد النفسي
١١ - فرويد : .. شواطي الحب الضارية : .. نحو رجومة
وشباب دامين : .. كيف تعيش ٣٦٥ يوما في السنة :
مشكلات المراهقة : .. كيف تصرح اولك ، ويناتك
بالحقائق الجنسية : .. العالم سنة ٢٠٠٠ : للعالم
والفيلسوف العالمي برتراند راسل : .. كيف تحصل
على الثروة في القصر وقت (نماذج من قصص نجاح
العصاميين :) .. عالم القذ (حياة بلا عناء) : .. حسب
الافلاطون (للفيلسوف الاغريقي افلاطون) : .. الخ .. الخ

عالم مراد

ص